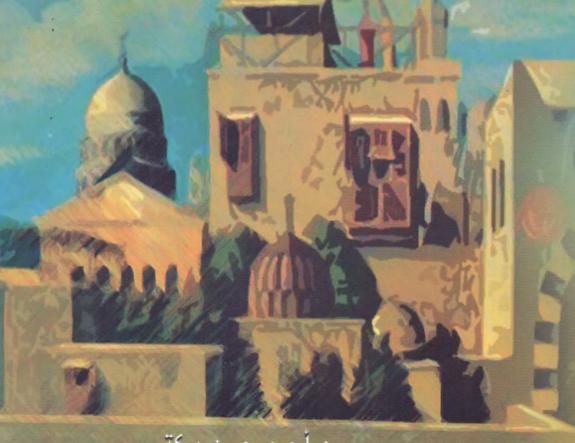


في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة ( | 101Y-17AT / - 975-YAE )



حسن أحمد حسن بركة





الهيئة المصرية العامة للكتاب

### هذا الكتاب:

يلقى الضوء على الأحوال السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، التى أحاطت بالمدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة؛ حيث فرض سلاطين الجراكسة سيطرتهم السياسيه الكاملة على مدينتى مكة المشرفة والمدينة المنورة، كما ارتبطت أحوالهما الاقتصادية بظروفهم السياسية والبيئية. وفي الحركة العمرانية حظيت المساجد الإسلامية، وخاصة المسجد النبوى، بنصيب وافر من الاهتمام، فضلاً عن منشآت غاية في الحسن حظيت هي الأخرى بالعمران أيضاً. وقيزت الحياة الاجتماعية بالهدوء بين فئات المجتمع، أما الناحية الثقافية؛ فكانت المدينة المنورة منارة للعلم والعلماء.





l

# المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

(314-476-/ 7441-11019)

تأليف حسن أحمد حسن بركة

تقديم د. حامد زيان غانم زيان



پرکة، حسن أحمد حسن،

المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسية ( ٧٨٤ ـ ٩٢١ ـ ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م)/ تأليف: حسن أحمد حسن بركة؛ تقديم: حامد زيان

غانم زيان. ـ الشاهرة : الهيشة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.

٤٠٢ص؛ ٢٤سم،

٤٠٠٠ تاسم،

تدمك ٧ ١٤ - ١٥ ٩٧٧ م٧٧

١ \_ المدينة المنورة \_ تاريخ،

٢ \_ دولة الماليك،

ا ـ زیان، حامد زیان غانم. (مقدم)

ب ـ العنوان. رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٦٧/ ٢٠١٥

I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0514 - 7

ديوي ۹۵۲،۱۲۲

#### وزارة الثقافة الهيئة المصرية العامة للكتاب رئيس مجلس الإدارة

#### د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب: المدينة المنورة في عصر

دولة سلاطين الماليك الجراكسة

(384-7784-1781-11014)

تالین: حسن احمد حسن برکة

حقوق الطبع محفوظة للهينة المصرية العامة للكتاب

الإخراج الفنى: عسلا عسادل

الهُيئَةُ المُصريةُ العامةُ للكتاب ص. ب: ٢٣٥ الرقم البريدي : ١٧٧٤ رمسيس

> www.gebo.gov.eg email:info@gebo.gov.eg

### • إهداء

#### أهدى عملى هذا:

- إلى روح عمى العزيز الدكتور/ محمود حسن بركة تذكرة للعالمين بأن مَنْ مات تبقى ذكراه في قلب محبيه عدد سنين
  - إلى ابنى الغالى أحمد قرة عيني

جزم الجميع بأن خير الأرض ما.. قد حاط ذات المصطفى و حواها ونعم لقد صدقوا بساكنها.. كالنفس حين ذكت ذكى مأواها

جزء من قصيدة للإمام المعارف بالله أبى محمد البكرى موجودة فى كتاب وفاء الوفا فى أخبار دار المصطفى على السمهودى

### تقديم

المدينة المنورة.. مدينة رسول الله ﷺ إليها تهفو القلوب من كل حدب وصوب، وإلى مسجده صلوات الله عليه تشد الرحال...

وعبر التاريخ، كان وما زال لم ينقطع اهتهام الداني والقاصي بأمر هذه المدينة، وأمر هذا المسجد الشريف، مماجعلها تبدو دائمًا كالزهرة في البستان.

منذ أن تبوأت مصر زعامة العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العباسية عام ٢٥٦هـ/ ١٢٥٨م، تشرفت بأن وقع على كاهل حكامها أمر الإشراف على المدينة المنورة ورعاية شئونها.

ولم يتوان سلاطين الماليك ـ بحرية كانوا أم جراكسة ـ الذين آل إليهم حكم مصر في بذل ما وسعهم من جهد من أجل العمل على راحة أهل المدينة المنورة والحجاج والزائرين، ولم يقصروا في تقديم العون المطلوب، وفي الإشراف على يختلف شئون الحرم المدني الشريف حتى يعم الاستقرار والأمن والأمان.

بين أيدينا دراسة قيمة عن: "المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين الماليك الجراكسة" (٩٢٣ ـ ٩٢٣ ـ ١٥١٧ م)، اعتمد فيها الباحث الأستاذ/ حسن أحمد حسن بركة على عدد كبير من المصادر والمراجع التي استطاع استخلاص مادة علمية منها، ساعدته كثيرًا على كتابة هذه الدراسة وفق منهج علمي تاريخي قائم على التحليل والتحقيق بأسلوب قويم.

تمتع الأستاذ/ حسن بركة بهدوء وخلق طيب، ومثابرة على البحث العلمي، ساعده كثيرًا على تحمل مشاق الغوص في بطون مصادر التاريخ المختلفة، مخطوطة ومطبوعة، فضلًا عن تمتعه بفكر ثاقب، ورؤية ناضجة للأحداث، كل ذلك كان عاملًا أساسيًا في إخراج هذه الدراسة في ثوب جميل.

تناولت هذه الدراسة عدة موضوعات، ففي الفصل الأول كان الحديث عن الأحوال السياسية في المدينة المنورة زمن الماليك الجراكسة، وكيف وطدوا حكمهم ونفوذهم بها، ثم تطرق إلى طبيعة علاقة المدينة المنورة بمكة المكرمة في تلك الفترة.

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن الأحوال الاقتصادية في المدينة المنورة موضحًا مختلف الأنشطة الاقتصادية بها، ودور الأوقاف في ازدهار تلك الأحوال.

وتطرق الفصل الثالث إلى البحث في الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة عارضًا لمختلف الطبقات الاجتماعية التي وجدت بها، وما كان بها من مظاهر للحياة الاجتماعية، كما تحدث عن الدور الذي قام به المجاورون في تلك الفترة.

في حين تحدث الفصل الرابع عن الحركة العمرانية بالمدينة المنورة، وما حدث من توسعات وعارة بالمسجد النبوي الشريف في تلك الفترة، وكذلك اهتمام سلاطين الماليك الجراكسة بالمساجد الأخرى، ومختلف المنشآت المدينة بالمدينة المنورة.

والفصل الخامس والأخير تناول تلك الحركة العلمية النشطة التي شهدتها المدينة المنورة في تلك الفترة، وما اشتملت عليه المدينة من دُور للعلم وخزائن للكتب (مكتبات)، وازدهار لمختلف العلوم.

وجملة القول... هنيئًا للمكتبة العربية على هذه الدراسة التي تلقى مزيدًا من الضوء على تاريخ مدينة رسول الله ﷺ.

والله ولى التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله ويركاته

أ.د. حامد زيان غانم أستاذ تاريخ العصور الوسطى كلية الآداب\_جامعة القاهرة

۱۸ جمادی الآخرة ۱۹۳۲هـ ۷ أبريل ۲۰۱۰م

#### مقدمة

إن الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة هما دُرتا العالم الإسلامى؛ ففيهما مولد الإسلام ومبعثه، فمكة المكرمة تحتضن المسجد الحرام أول بيت وضع للناس ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدَى لِلْقَالَمِينَ ﴾(١)، والمدينة المنورة حاضنة جسد المصطفى ﷺ، وفيها مسجده الذي أسس على التقوى(١) ﴿لَمَسَجِدُ أُسِسَ عَلَى التَّقُوىُ مِنْ أَوَّلِ يَوَّمُ أَنَ تَعُومَ فِيهُ فِيهِ رِجَالُ يُحِبُّونَ أَن يَنَطَهَ رُواً وَاللَّهُ يُحِبُ أُلِسَمَ عَلَى المَّقَوى فَي فِيهِ مِبَاللَّهُ عَلَى المَّعَلَقَ رُواً وَاللَّهُ يُحِبُ المُمَلِقِ رِينَ ﴾ (١)؛ ولذلك فلا غرو أن تتعلق ببلاد الحجاز أفئدة المسلمين في جميع أنحاء العالم، وكان لها في التاريخ الإسلامي شأن عظيم.

<sup>(</sup>١) (سورة آل عمران، آية: ٩٦).

وفى العصر المملوكى (٧٨٤-٩٢٣هـ ١٣٨٢-١٥١٧م)، حرص سلاطين المهاليك على الاهتهام ببلاد الحجاز ورعايتها؛ لأن القوى السياسية التى كانت تسيطر على مصر، كانت تسعى للإشراف على الحجاز؛ لتحظى بشرف رعاية المقدسات الإسلامية، ولتستكمل ركنًا أساسيًّا من أركان سيادتها فى العالم الإسلامي، فمنذ القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، كان من يهيمن على الأماكن المقدسة فى بلاد الحجاز (الحرمين الشريفين)، أو يوليهها بالرعاية الواجبة هو الأحق بالاتباع، ولذلك كان الصراع متواصلًا على نيل شرف خدمتها والسيطرة عليها.

ومما يدل على ما يتمتع به الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة من اهتهام، أن جدلًا كبيرًا حدث بين العلهاء، حول أفضلية الأماكن المقدسة على بعضها، أو بالأحرى أفضلية مكة المكرمة على المدينة المنورة، أو العكس، شارك فيه كثير من علهاء المذاهب الإسلامية، حتى أن الإمام جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، ألف في هذا الشأن رسالة صغيرة سهاها:

«الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة»(۱)، قرر فيها تفضيل المدينة المنورة على مكة المكرمة بقوله: «الذي إليه تميل النفس تفضيل المدينة»(۲).

وذلك يدل على أن المدينة المنورة كان لها فى العصر المملوكى مكانة بارزة لا ينافسها فيها إلا مكة المكرمة، وفى العصر المملوكي الثانى المعروف بعصر سلاطين الماليك الجراكسة، عاشت المدينة المنورة فترة من أهم فتراتها، ولعبت دورًا بارزًا فى الأحداث التاريخية، فلم يكن دافع سلاطين الجراكسة من السيطرة عليها دافعًا سياسيًّا فقط، وإنها اقترن ذلك بالدافع الدينى، الذى يعد من أقوى الدوافع وأهمها، كما كانت للنواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أهمية كبيرة أيضًا.

ولذلك فإن الدراسات حول المدينة المنورة تحظى بالخصوصية والاهتمام؛ لما للمدينة من أهمية كبيرة في تاريخ الإسلام، وفيها إحدى المقدسات الإسلامية التي يشد إليها

<sup>(</sup>١) السيوطى، الإمام جلال الدين السيوطى ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة، تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الأمين، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ٤٣.

<sup>(</sup>٢) السيوطى، المصدر نفسه، ص ٤٣.

الرحال، كما إنها عاصمة الدولة الإسلامية الأولى؛ ولذلك كانت موضوع هذه الدراسة، التي تم تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وخسة فصول وخاتمة، فضلًا عن بعض الملاحق وقائمة المصار والمراجع.

تناولت المقدمة أهمية الدراسة وسبب اختيارها مع دراسة تحليلية لأهم المصادر التى تم الاعتباد عليها، وفي التمهيد تناولت دراسة جغرافية المدينة المنورة، من النواحى الجغرافية والطبيعية، مع ذكر الأسماء التي شرفها الله بها، وكذلك المدينة المنورة قبل عصر المخرافية والطبيعية، مع ذكر الأسماء على فهم الكثير من الأحداث خلال عصرهم.

وتناول الفصل الأول الأحوال السياسية في المدينة المنورة؛ حيث درس النفوذ السياسي لسلاطين الماليك الجراكسة، وتحدث عن موقف أمراء المدينة من مراسم تولية الإمارة من قبل سلاطين الجراكسة، وعن العلاقات السياسية بين المدينة المنورة ومكة المكرمة.

أما الفصل الثانى فجاء عنوانه الأحوال الاقتصادية فى المدينة المنورة، فتحدث عن النشاط الاقتصادى فى المدينة المنورة بتنوعه ما بين الزراعة والصناعة والتجارة، وتحدث عن السياسة الاقتصادية للمماليك الجراكسة، وعن أثر الأوقاف والصدقات على الحياة الاقتصادية فى المدينة المنورة، وكذلك الأزمات الاقتصادية وأثرها على المدينة المنورة.

أما الفصل الثالث الذي جاء عنوانه الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة، فتحدث عن طبقات المجتمع، وعن مظاهر الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد وأطعمة وأشربة وملابس، كما تحدث عن المجاورين وأثرهم داخل مجتمع المدينة المنورة، وعن الأوقاف والحياة الاجتماعية في المدينة المنورة.

أما الفصل الرابع وعنوانه الحركة العمرانية في المدينة المنورة، فتناول عهارة المسجد النبوى الشريف، واهتهام سلاطين المهاليك الجراكسة بمساجد المدينة المنورة الأخرى، كما تحدث عن سلاطين المهاليك الجراكسة وسائر المنشآت المدنية في المدينة المنورة.

أما الفصل الخامس بعنوان الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة، فتحدث عن دُور العلم في المدينة المنورة من مساجد أهمها: المسجد النبوى الشريف، وكتاتيب ومدارس وبيوت للصوفية، كما تحدث عن خزائن الكتب، وعن أنواع العلوم، وأثر الأوقاف على الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة.

أما الخاتمة فتناولت أهم نتائج الدراسة.

### عرض لأهم مصادر الدراسة

اعتمدت الدراسة بشكل أساسى على الكثير من المصادر المخطوطة والمطبوعة، إضافة إلى كتب التراجم والرحلات، في سبيل استخلاص المادة التاريخية وإخضاعها للتحليل والنقد؛ وهي على النحو التالى:

#### أولًا \_ المخطوطات

اعتمدت الدراسة على العديد من المخطوطات منها:-

- مخطوطة "نبذة لطيفة في مباحث شريفة في تاريخ الحجاز ومعالمه" لشهاب الدين أحمد القليوبي الأزهري الشافعي، توفي أواخر شوال سنة ١٠٦٩ هـ/ ١٦٥٩م، استفادت منها الدراسة في النواحي الاقتصادية والعمرانية.
- مخطوطة "رسالة في مساجد المدينة النبوية" لإبراهيم العباسي، كان موجودًا سنة المرامة في تتبع مساجد المدينة المنورة، وما حدث فيها من عمارة في عصر سلاطين الماليك الجراكسة.
- غطوطة " رسالة فى وصف المدينة المنورة "لعلى موسى، كان موجودًا سنة ١٣٠٣ هـ/ ١٨٩٣ م، استفادت منها الدراسة فى العديد من الجوانب الاقتصادية والاجتهاعية للحياة فى المدينة المنورة.
- نخطوطة تاريخ المدينة الشريفة المسمى " التعريف بها آنست الهجرة من معالم دار الهجرة " للمطرى المعروف بجهال الدين محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى أبو عبد الله الأنصارى الخزرجى المدنى الشافعي، والمطرى نسبة إلى المطرية، التي انتقل إليها جده، ثم انتقل إلى المدينة، ولد سنة ٢٧٣هـ/ ١٢٧٥م، وتوفى سنة ١٢٧٨هـ/ ١٣٤٠م.

وغلب على هذه المخطوطة الاختصار، وتناول فيها المطرى أبرز معالم المدينة المنورة المسجد النبوى الشريف والروضة الشريفة، وكذلك آبار المدينة وعيونها وأوديتها، واستفادت منها الدراسة في تناولها لكثير من تلك الموضوعات.

#### ثانيًا - المصادر المطبوعة

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر منها:

- كتاب "الدرة الثمينة في تاريخ المدينة "لابن النجار، محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن النجار، وشهرته أبو عبد الله البغدادي، ولد سنة ٢٥٣هـ/ ١١٧٧م، و توفى ٥ شعبان سنة ٢٤٧هـ/ ١٢٤٩م، و هذا الكتاب عظيم الفائدة يحتوى على كثير من المعلومات التاريخية عن المدينة المنورة والمسجد النبوى الشريف، وهو يكاد يكون من أقدم المصادر التاريخية التي وصلتنا في تاريخ المدينة، بعد كتاب تاريخ المدينة لابن زبالة الذي ألفه سنة ١٩٩هـ، كما يعد هذا الكتاب مصدرًا مهمًا لا غنى المدينة لوي باحث أو محقق عن الرجوع إليه والاستفادة منه، واستفادت منه الدراسة في معرفة أحوال المدينة، وما يخص المسجد النبوى الشريف.

- كتاب " المغانم المطابة في معالم طابة " للفيروزآبادى، مجد الدين أبو الطاهر عمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادى الشيرازى الشافعى، المتوفى سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٥م، جاء الكتاب في ستة أبواب، وتأتى أهميته في أنه أوسع مصدر لتاريخ المدينة قبل جهود السمهودى، استفادت منه الدراسة عند الحديث عن بناء المسجد النبوى، وكذلك في تراجم من وجد في المدينة على مختلف طبقاتهم؛ فهو من المصادر المهمة في تاريخ المدينة، ويعلل الفيروزآبادى سبب كتابته لهذا الكتاب بقوله: "أنه لما زار المدينة سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٠م، لم ير كتابًا حاويًا يجمع تاريخها، فقام بوضع كتاب جامع لما ذهب في كتب المتقدمين بددًا".

- كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا " للقلقشندى، شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندى، المتوفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، ويعد من أبرز الموسوعات التى صدرت في العصر المملوكي، حيث يعطى صورة كاملة عن حضارة ذلك

العصر، ويقع هذا الكتاب في أربعة عشر مجلدًا، ويحتوى على فنون كثيرة مثل: التاريخ والأدب ووصف البلدان والمالك، فقد جمع فيه الكثير من الوثائق الرسمية والمراسلات السياسية والتقاليد والوظائف والألقاب، وقد تحقق له ذلك من خلال وظيفته كاتبًا للإنشاء سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، وموسوعته هذه تعد سجلًا ضخاً للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتاعية، وتمثل صورة حية لحضارة العصر المملوكي، حيث تضم معلومات قيمة عن طبيعة حكم أمراء الأشراف في الحرمين الشريفين، وكذلك المعاملات المالية والتقسيات الإدارية لبلاد الحجاز، وطرق الحج البرية والبحرية بين مصر والحرمين الشريفين، واستفادت منه الدراسة في التعرف على طبيعة حكم أمراء المدينة، والتعريف ببعض المصطلحات المملوكية التي وجدت بالدراسة.

- كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك "للمقريزي، تقى الدين أحمد بن على الشافعي، المتوفى سنة ١٤٤٧هم كتاب يتفوق على معظم كتب التاريخ في عصره، وقد كتبه المقريزي ليكون خاتمة مؤلفاته في تاريخ مصر، واستفادت منه الدراسة في التعرف على الأوضاع السياسية في الدولة المملوكية، والعلاقات السياسية بين السلاطين وأمراء الحجاز، وكيفية سيطرة سلاطين الجراكسة على الحجاز، كذلك ما كان يرسله سلاطين المهاليك إلى بلاد الحجاز من مؤن وهبات مالية، فضلًا عن التعرف على الهتهم بالمسجد النبوى الشريف، وكذلك أبرز المقريزي في كتابه هذا المتهام المهاليك بإصلاح ذات البين بين أفراد الأسرة الحاكمة في المدينة المنورة من البيت الحسيني.

- كتاب " إنباء الغمر بأبناء العمر " لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد العسقلاني، المتوفى سنة ١٤٤٩م ، خصصه ابن حجر للأحداث بين سنتى ١٧٣٠ - ١٨٥٠ / ١٣٣١ - ١٤٤٧م؛ أى قبل وفاته بسنتين، وقد شمل الكتاب الحوادث التى وقعت فى تلك الفترة فى أنحاء العالم الإسلامي، وركز فيه على أخبار مصر والشام، وهو يحتوى على معلومات مهمة عن أبرز مدرسى الحرمين الشريفين، واستفادت منه الدراسة فى النواحى السياسية والحضارية فى العصر المملوكي.

- كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " لابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، المتوفى سنة ٩٨٤هـ/١٤٦٩م، وهو من المصادر الموسوعية، رتبه ابن تغرى بردى على السنين، وتحدث فيه عن الأمراء والملوك والسلاطين الذين تولوا حكم مصر، كما لم يفته الإشارة إلى وفيات بعض العلماء في الحجاز، استفادت منه الدراسة في التعريف بسلاطين الماليك الجراكسة، وما قدموه من هبات وصدقات للحرمين، والتعرف على كثير من العلماء الذين ذهبوا إلى بلاد الحجاز للحج والمجاورة.
- كتاب "التحقة اللطيقة في تاريخ المدينة الشريقة " للسخاوى، شهمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى، ولد بمصر سنة ١٤٢٧م، وتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٤٩٦م، ١٤٩٦م؛ خصص السخاوى هذا الكتاب لتراجم أعلام المدينة من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من الأعلام والعلماء، ممن جاء إلى المدينة أو أقام بها، وهو مرتب على حروف المعجم. ابتدأه بسيرة نبوية مختصرة، وتحدث عن المسجد النبوى الشريف وما به من أبواب، وعن الروضة والحجرة النبوية والمنبر، وعن المدارس والأربطة والآبار والمساجد، وتطرق لأئمة المسجد النبوى والخطباء والقضاة والخدام والفراشين والنظار والمحتسبين. إلخ وقد استفادت منه الدراسة في تراجم أعلام المدينة المنورة في عصر الماليك الجراكسة، ومن المعلومات الكثيرة الواردة فيه عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كذلك في تراجم أهل المدينة وأمرائها والمجاورين بها، فضلًا عن علمائها؛ حيث يعد من أوسع الكتب وأجودها في ذلك، فقد كان السخاوى معاصرًا للأحداث؛ حيث أقام في المدينة المنورة وجاور بها، وقد أراد السخاوى لكتابه هذا أن يكون كتابًا شاملًا وجامعًا لأكبر عدد من تراجم علماء المدينة المنورة، كما اشتمل هذا الكتاب على الكثير من الحقائق التاريخية المهمة عن المدينة المنورة.
- كتاب "التبر المسبوك في ذيل السلوك" وهو للسخاوى أيضًا، رتبه السخاوى حسب السنين للدولة المملوكية، بدءًا من سنة ٥٤٨هـ/ ١٤٤١م حتى شهر ربيع الأول سنة ٥٨٥هـ/ ١٤٥٦مر ١٤٥٣م، وبه فوائد جمة عن العلاقة بين أشراف الحرمين وأمراء الحاج المصرى خلال تلك الحقبة، وقد استفادت منه الدراسة في تغطية جوانب عديدة، بالإضافة إلى الأحوال الاقتصادية.

- كتاب "إتحاف الورى بأخبار أم القرى "لابن فهد، نجم الدين عمر محمد بن محمد ابن محمد بن فهد القرشى الهاشمى المكى، ولد سنة ١٨٨ه ١٩٠٩، ١٤٩ م بمكة المكرمة، وتوفى بها سنة ١٤٨٥ م، وهو من بيت علم رحل إلى كثير من بلدان العالم الإسلامى لطلب العلم والمعرفة منها مصر والشام، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر؛ حيث اعتمد المؤلف فيه على كل من سبقه من المؤرخين سواء فى كتب السيرة النبوية أو كتب التاريخ العام، وقد ذكر اسم كل من نقل عنه وتتبع الروايات وأسندها إلى أصحابها ورتبها ضمن السياق، وهو يؤرخ للأحداث فى سنة وقوعها منتقلاً من سنة إلى أخرى لا يخرج عن أحداث مكة إلا فيها له صلة بها، وفيه يقدم صورة واضحة عن مكة المكرمة وأعها من النواحي السياسية والاجتهاعية والثقافية والعمرانية والاقتصادية، ويعتبر من أكثر المصادر التي اشتملت على معلومات قيمة بالنسبة إلى الحجاز، وقد استفادت الدراسة من المعلومات القيمة التي عرضها عن تاريخ الحجاز في فترة الدراسة.

- كتاب " وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى " للسمهودى، نور الدين على بن عبد الله ابن أحمد الحسنى السمهودى، المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

وهذا الكتاب يلقى الضوء على الكثير من أحوال المدينة المنورة العمرانية والسكانية والمالية والاقتصادية والاجتهاعية والثقافية، منذ عصر الرسول والمنهودي وحتى أوائل القرن العاشر الهجرى، وقد استفادت الدراسة عما ذكره السمهودي عن تاريخ المدينة المنورة، وعلى الأخص عصر السلطان قايتباي، كذلك كل ما يتعلق بالحرم النبوى وإصلاحاته في هذا العصر. فالسمهودي يعد بحق ألمع مؤرخي المدينة وأكثرهم استيعابًا وتوثيقًا واطلاعًا ودراية، وقد اعتمد على الخبرة والمشاهدة؛ فكان شاهدًا على الأحداث في المدينة في عصر سلاطين الجراكسة مسجلًا لها، وخاصة عصر السلطان قايتباى الذي رافقه عند زيارته للمدينة سنة ٤٨٨ه / ١٤٧٩م، وسجل السمهودي به الكثير من الإصلاحات التي أحدثت في المسجد النبوي الشريف.

- كتاب " خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى " وهو للسمهودى أيضًا، ألفه سنة الممار ١٤٨٦ م، وقد اختصر فيه كتاب " وفاء الوفا " في نحو النصف، مع جمع

مقاصده؛ حيث تصدى السمهودى لتسجيل تاريخ المدينة بطريقة لم يسبقه إليها أحد من قبل، وذلك لأنه كان شاهد عيان للأحداث، ولو لم يقم بذلك لفقد الدارسون لتاريخ المدينة مصدرًا مها لأحداثها، وقد استفادت الدراسة من مؤلفات السمهودى في دراسة أحوال عديدة في المدينة المنورة.

- كتاب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" لابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، المتوفى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م، وهو من المصادر المهمة في دراسة عصر سلاطين الماليك الجراكسة وأوائل العصر العثماني، فقد عاش طوال هذه الفترة في القاهرة، وعاصر وشاهد ما يرويه من أحداث وأخبار، وقسم كتابه المكون من خسة أجزاء إلى عهود مستقلة، تبدأ بتولى كل سلطان جديد، ويغلب على أسلوبه الإيجاز في كثير من الأحداث، فهو مصدر لدراسة الأحوال السياسية والاقتصادية في إمارة مكة في أواخر العصر المملوكي، وينفرد بمعلومات مهمة عن دور البرتغاليين في تدهور مكانة جدة في التجارة العالمية في أواخر العصر المملوكي، كما يحتوى على معلومات مهمة عن المكوس والضرائب في بلاد الخجاز، وعن تدهور مكانة بلاد الحجاز التجارية في أواخر العصر المملوكي، وقد استفادت منه الدراسة فيما يخص المنواحي المالية والتجارية.

- كتاب " الإعلام بأعلام بيت الله الحرام " للنهروالى، قطب الدين النهروالى، المتوفى سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، وتم الاستفادة منه في معرفة ما قام به السلطان قايتباى من عمارة للمسجد النبوى الشريف، فضلًا عن أوقافه وصدقاته.

### ثالثًا \_ كتب التراجـــم

تعد كتب التراجم من المصادر المهمة التى تكمل أوجه القصور فى بعض المصادر التاريخية، وذلك لأنها تحتوى على الكثير من الجوانب الحضارية، التى قد لا تتوافر فى الكتب الأخرى، إلا أنها ذات طابع خاص، حيث تتبع الأشخاص وتترجم لهم فى حياتهم العامة والخاصة، وتبرز مدى مشاركتهم فى أوجه النشاط الإنسانى والعلاقات الاجتاعية والحياة السياسية، ودورهم فى الحياة العلمية والدينية.

ومن كتب التراجم المهمة التي استفادت منها الدراسة:

- كتاب "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " للفاسى، محمد بن أحمد بن على الفاسى المكى المائك المذهب الملقب بتقى الدين، ولد في مكة سنة ٧٧هم/ ١٣٧٧ م، وتو في سنة ١٩٨٨هم/ ١٤٢٨م، وهو من أضخم وأهم مؤلفات الفاسى التاريخية، يقع في ثهانية أجزاء، تميز الفاسى فيه بالدقة والوضوح والاهتهام بالكثير من التفاصيل، وجمع فيه بالأحرف الأبجدية تراجم عدد كبير من أشراف المدينتين المقدستين وقضاتها وعلمائهها والمشاهير بها من المجاورين، والكتاب يحتوى على تراجم لعدد كبير من أمراء الأشراف بالحرمين الشريفين، كما يعطى تفاصيل عن النواحى السياسية والاقتصادية والاجتهاعية والدينية في مكة، واستفادت منه الدراسة في مناقشة الكثير من النواحى الخاصة بالعلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها بين مكة والمدينة، كذلك معرفة بعض العلماء والمجاورين، الذين جاوروا في مكة والمدينة.

- كتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة " لابن حجر أيضًا، وهو من الكتب التى تترجم لرجال القرن الثامن الهجرى من الأمراء والعلماء والقضاة، اعتمد في بعض تراجمه على تراجم من سبقوه، ثم أضاف أكثر التراجم من عنده، وبه معلومات كثيرة عن العلماء والقضاة والمجاورين في مكة والمدينة، مما أتاح الاستفادة منه في تقديم تراجم عن أمراء المدينة المنورة، ومعرفة أحوال المدينة عن طريق هذه التراجم، بالإضافة إلى أهميته في النواحي الحضارية من تراجم للعلماء، وتراجم لعدد كبير ممن أقام بالمدينة المنورة أو جاء إليها.

- كتاب " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " للسخاوى أيضًا، وهو من أهم كتب التراجم؛ حيث يضم الكثير من تراجم الأمراء الأشراف في المدينة المنورة وأعيانها والعلماء وغيرهم ممن عاشوا خلال القرن التاسع الهجرى، فضلًا عن تراجم لأمراء وسلاطين المهاليك الجراكسة، عمن كان لهم دور في حياة المدينة المنورة، واستفادت منه الدراسة في التعرف على تراجم أمراء المدينة المنورة وأعيانها والعلماء بها، وكثير عن كان بها خلال ذلك القرن، كذلك معرفة الكثير عن أحوالها السياسية والعلمية

خلال ذلك القرن، فهو يحتوى على تراجم شاملة، عنى فيه السخاوى بذكر كل ما يتعلق بالشخصيات، من حيث الولادة والنشأة وذكر مكانتهم في المجتمع الذي عاشوا فيه.

#### رابعًا ـ الرحـــلات

كان لكتب الرحالة أهمية كبيرة فى معرفة كثير من التفاصيل التى تتعلق بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية والدينية فى بلاد الحجاز بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص؛ حيث إن مؤلفيها هم شهود عيان لكل ما كتبوه ووصفوه.

ومن أهم كتب الرحلات التي سجلت بعض مظاهر الحياة في بلاد الحجاز بوجه عام والحرمين الشريفين بوجه خاص:

- رحلة ابن جبير، لأبى الحسن محمد بن جبير الكنانى الأندلسى البلنسى الأصل الغرناطى الاستيطان، المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، فرغم أن رحلة ابن جبير كانت فى تاريخ متقدم عن فترة الدراسة، فإنها احتوت على الكثير من المعلومات عن الأحوال الاقتصادية والنشاط التجارى، وعن الحياة الاجتماعية وعمارة المسجد النبوى وغيره، مما أتاح الاستفادة مما حوته من معلومات عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية بالمدينة المنورة.
- رحلة ابن بطوطة، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجى، المتوفى سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م، وهذه الرحلة هى المسهاة: "تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، تعتبر سجلًا عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتهاعية عن الحرمين الشريفين بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص، كها تحدث ابن بطوطة فى رحلته عن أهمية كل من ميناء جدة وينبع، ولا شك أن الدراسة قد استفادت من كثير مما ورد بها عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتهاعية والتجارية.
- مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، لإبراهيم رفعت باشا، استفادت منها الدراسة في العديد من النقاط التي تهتم بجوانب الحياة في المدينة

المنورة، سواء أكانت الاقتصادية أم الاجتماعية أم العمرانية أو الثقافية؛ حيث كانت سجلًا مها لكل ذلك.

- الرحلة الحجازية لولى النعم الحاج عباس حلمى باشا الثانى خديو مصر، لمحمد لبيب البتنونى، تم الاستفادة من هذه الرحلة، فيها يتعلق بجميع أوجه الحياة فى المدينة المنورة خلال عصر سلاطين الجراكسة.

لم تقتصر الاستفادة على هذه المصادر فهناك غيرها الكثير، حيث استفادت الدراسة أيضًا من العديد من المراجع العربية والأجنبية المعربة، إضافة إلى المراجع الأجنبية والرسائل العلمية للهاجستير والدكتوراه والدوريات العلمية، التي تناولت جوانب الحياة المختلفة في المدينة المنورة خلال عصر سلاطين المهاليك الجراكسة.

# • تمهید

أولًا - جغرافية المدينة المنورة ثانيًا - المدينة المنورة قبل عصر سلاطين الماليك الجراكسة

## أولًا \_ جغرافية المدينة المنورة

المدينة إحدى مدن الحجاز الجديرة بالذكر (١)، وقد اعتبرها بعض الجغرافيين العرب أحد أقسام جزيرة العرب الرئيسية، فجزيرة العرب تتضمن مدن أهمها: "المدينة ومكة واليهامة واليمن "(١).

وقد حدد المقدسى (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) الحجاز بقوله: "فأما الحجاز فقصبته مكة، ومن مدنها يثرب وينبع وقرح وخيبر والمروة والحوراء وجدة والطائف والجار والسقيا والعونيد والمححفة والقشيرة "(٢٠) وبذلك فإن المدينة مدينة حجازية، تقع بين خط طول (٣٥، ٣٦، ٤٩) درجة، وخط عرض (٣٥، ٢٨، ٢٤) درجة، أعلى هضبة ترتفع عن سطح البحر قرابة ٢٢٥ مترًا، ويحيط بها حرتان شرقية وغربية (١٤٠٠ كما يمر بها ثلاثة أودية أشهرها وادى العقيق، وتقع المدينة إلى الشهال من مكة، فهى تبعد عنها بقرابة ٤٥٠ أشهرها وادى العقيق، وتقع المدينة إلى الشهال من مكة، فهى تبعد عنها بقرابة ٤٥٠

<sup>(</sup>۱) الحجاز: بالكسر وآخره زاى وإنها سمى حجازًا؛ لأنه حجز بين تمهمة وهى السهول المنخفضة على ساحل البحر الأحمر وبين مرتفعات نجد شرقا ( ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، مادة حجاز، ص ٢١٨- ٢٢٠ اللهم المهذاني، غتصر البلدان، بيروت، دار إحياء النراث العربي، ١٤٠٨هـ ١٩٥٨م، ص ٢٦، ٢٧٠ انظر أيضًا: فليب حتى، تاريخ العرب، الجزء الأول، الطيعة الثالثة، ترجة/ محمد مبروك نافع، ١٩٥٢م، ص ٢٤، ١٤٢٠ من المين المجرب المخرافيون العرب اختلافًا كبيرًا في تعريف الحجاز وتحديده إلا أنهم مع ذلك يجمعون - تقريبًا - على أن الحجاز هو جبل السراة الذي يمتد من حدود اليمن إلى بداية الشام فيحجز بين تهامة وبين نجد ( الوهيبي، الحجاز كها حدده الجغرافيون العرب، بحث نشر في مجلة كلية الأداب، جامعة الرياض، المجلد الأولى، السنة الأولى، ١٣٩٥هـ، من ٥٣ - ٧٠.

<sup>(</sup>٢) البكرى، عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى ت ٤٨٧ هـ، معجم ما استعجم من أسهاء البلاد والمواضع، الجنوء الأول، الطبعة الشالثة، تحقيق/ مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٥٠.

<sup>(</sup>٣) المقدسى، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى ت ٣٨٠هـ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٦٩.

<sup>(</sup>٤) انظر القرى والمناطق القديمة في منطقة المدينة المنورة ملحق رقم ٣ خريطة رقم ١.

كيلو مترًا(۱)، ومساحتها أقل من نصف مكة(۱)، وأرضها فى مستوى من الأرض برية وجبلية(۱)، والغالب عليها السباخ والجزء الجنوبي من المدينة أكثرها ارتفاعًا ويعرف بالعالية، بينها الجزء الشهالي فيعرف بالسافلة(١)، وتعد قرية قباء من أهم قرى العالية، وهي على ميلين من المدينة(٥).

ويحيط بالمدينة جهتى الشرق والغرب تكوينات بركانية، نتيجة للنشاط البركانى الذى تعاقب عليها فى أزمان بعيدة، فهى تقوم فى واحة ذات تربة خصبة ومياهها غزيرة بين حرتين: واقم فى الشرق وحرة الوبرة فى الغرب؛ حيث تكتنف المدينة وديان الحرتين من الشرق والغرب، فتحيط بها من جهاتها الجنوبية والشهالية والغربية حتى تتجمع فى شهالها الغربى، وتسير معها مياه الأمطار، مما يجعل من المدينة أرض زراعة (١). وقد أتاح هذا الموقع للمدينة أن تكون ملتقى طرق القوافل العابرة للجزيرة العربية (١٠).

وأشارت المصادر التاريخية إلى أن المدينة المنورة، قد احتفظت بأهمية موقعها على طرق التجارة بين اليمن والشام، حيث كانت وميناؤها ينبع(^)، تعتبر كمحطة وسوق

<sup>(</sup>۱) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عهارة المسجد الحرام والمسجد النبوى في العهد السعودي، دراسة تاريخية حضارية، صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٥١.

<sup>(</sup>٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٠.

<sup>(</sup>٣) البعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت ٢٨٤هـ البلدان، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ص ٧٧.

<sup>(</sup>٤) السمهودى، على بن عبد الله بن أحمد الحسنى، الوفاء بها يجب لحضرة المصطفى، ضمن رسائل في تاريخ المدينة، تقديم/ حمد الجاسر، الرياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. ص ١٦١.

<sup>(</sup>٥) ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، الجزء الخامس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م، ص ٨٢.

<sup>(</sup>٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٠.

<sup>...</sup> مبدالله بن صالح الرقيبة، الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة التوسعات والتطوير، صدرت هذه السلسلة عن وزارة التعليم العالى والجامعات السعودية بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٤هـ ١٤٢٢هـ ص ١٢١١

لا) ينبع: تبعد ينبع عن المدينة بمسافة تقرب من مائة وخسين ميلًا نحو الغرب، ويطلق اسم ينبع في العهد الحاضر وقبله بزمن على ينبع الميناء وإذا أريد ينبع النخل قيل " ينبع النخل " إلا أن اسم ينبع عند إطلاقه في كتب المتقدمين يقصد به ينبع النخل لأن ينبع الميناء أو "ينبع البحر "كها تسمى أيضًا كان أقل شهرة حينذاك. انظر: حمد الجاسر، بلاد ينبع " لمخات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة " منشورات دار اليهامة للبحث والترجة والنشر، الرياض، ص ١٠- ١٢.

وميناء على الطريق البرى والبحرى بين الشرق الأقصى ومصر وأوروبا(١٠).

وللمدينة عدة أودية تجرى خلالها الأمطار والسيول، ومن أشهر تلك الأودية وادى العقيق<sup>(۲)</sup> في جهة الغرب<sup>(۳)</sup>،ووداى بطحان<sup>(۱)</sup> الذى يمر بوسط المدينة من جهة الغرب متجهًا إلى الشمال بعد التقائه بوادى مذينيب<sup>(۵)</sup> ورانوناء<sup>(۱)</sup> ويشق وادى مهزور<sup>(۷)</sup> الحرة

<sup>(</sup>١) عمر الفاروق سيد رجب، المدن الحجازية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٢٣.

<sup>(</sup>٢) وادى العقيق من أكبر أودية المدينة المنورة وينقسم وادى العقيق إلى صغير وكبير، والكبير ينقسم إلى قسمين فالوادى الصغير الذى فيه بثر رومة، والوادى الكبير به بثر عروة وقصره، ولكن يحتوى على أكثر من سبعين قصرًا من القصور الفخمة؛ حيث طيب الهواء وعذوية الماء وأما الوادى الأكبر فهو الذى فيه آبار على. انظر: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة قديهًا وحديثًا، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مائة علم على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٨٣.

<sup>(</sup>٣) اليعقوبي، البلدان، ص ٧٢.

<sup>(</sup>٤) وادى بطحان يأتى من الحلاتين حلاتى مصعب على سبعة أميال من المدينة، ثم يصل إلى وادى جفاف شرقى مسجد قباء وأول بطحان قرب الماجشونية وآخره فى غربى مساجد الفتح من الناحية الغربية. انظر: السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٨٣؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، ص ٢٩٠.

<sup>(</sup>٥) وادى مذينيب وهو شعبة من سيل بطحان وفى زمن السمهودى كان يشق من الحرة الشرقية قبلى بنى قريظة حيث يمر بقرية قديمة شرقى العهن والنواعم، ثم يتشعب إلى أن تلقاه شعبة من مهزور ويصبان معًا فى بطحان كها ذكر المطرى أن مذينب شرقى جفاف يلتقى هو وجفاف أى الذى هو أصل بطحان فوق مسجد الشمس، ثم يصبان فى بطحان ويلتقيان مع رانوناء ببطحان فيمران بالمدينة غربى المصلى. انظر: السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٥٣، ١٨٥، ١٨٦؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة، ص ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٢

<sup>(</sup>٦) وادى رانوناء يأتى من مقمة فى جبل يقع فى يهانى عير من حوس شرقى الحرة، ثم يصب على قرين صريحة أى المعروف بقد نقرن الضرطة، ثم على سد عبد الله بن عمرو بن عثمان أى المعروف بسد عنتر، ثم يتفرق فى الصفاصف فيصب بالعصبة، ثم يستبطنها حتى يعترض قباء يمينًا، ثم يدخل عوسا أى المعروفة بحوسا ثم يعطن بذى خصب ثم يغترن بذى صلب ثم يستبطن يعطن بذى خصب ثم يغترن بذى صلب ثم يستبطن السرارة التى ببنى بياضة ثم يمر على قعر البكرة أى ببنى بياضة أيضًا، ثم يفترق فرقتين فتمر فرقة على السرارة التى ببنى بياضة وتصب فى سكة الخليج حتى تفرغ فى وادى بطحان وتصب الأخرى فى وادى بطحان. انظر: ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى، تاريخ المدينة المنورة، الجزء الأول، تحقيق/ بطحان. انظر: ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى، تاريخ المدينة المنورة، الجزء الأول، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هم/ ١٩٧٩م، ص ١٦٠ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٣، ص ١٧٧٠ انظر أيضًا: أحد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة، ص ٢٠٠٠

<sup>(</sup>۷) وادى مهزور قال ابن شبة أن سيَل مهزوز يأخذ من الحرة الشرقية والشعبة التى تلقى مذينب من مهزوز وكانت تصب زمن السمهودى فى بطحان وذكر الزبير بن بكار أنه يلتقى سيل العقيق ورانون أذاخر وذى صلب وذى ريش وبطحان ومعجب وهزور وقناة بزغابة وسيول العوالى يلتقى بعضها مع بعض

الشرقية إلى العريض(١) الذي يلتقي بوادي بطحان في اتجاه الشيال(٢).

كما يقع فى شمال المدينة وادى قناة (٢) الذى يأتى ماؤه من شرقها، حيث تجتمع مياه هذه الأودية فى مكان يقال له الغابة (١).

أما مناخ المدينة فهو مناخ صحراوي، فلم يكن لنزول الأمطار مواسم محددة، ولذلك كانت المدينة تتعرض في بعض الأوقات للجفاف والقحط(٥).

وكان لتوافر مثل هذه الظروف الطبيعية، أن تميزت المدينة على غيرها من مدن الحجاز، بكثير من المميزات التي كان لها أثرها على انتشار الزراعة بها، فيحيط بها البساتين والنخيل والقرى التي تتميز بكثرة مزارعها المعتمدة على مياه الآبار (١٠)، وقد ضمت المدينة العديد من القرى المشهورة، نذكر منها قباء (١٠) ؛ حيث الحدائق التي تحتوى على أنواع من أشجار

في العقيق. انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص ١٦٨؛ السمهودي، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٨٨، ١٨٧.

<sup>(</sup>١) العريض: تصغير عرض وهو وادى بالحرة شرقى المدينة به جملة آبار وزروع ويبعد عن المدينة قرابة خمسة كيلو مترًا. انظر: الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٣٦٠.

<sup>(</sup>٢) عبد القدوس الأنصارى، آثـار المدينـة المنورة، الطبعـة الثالثـة، المكتبـة السلفية، المدينـة المنـورة، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م، ص ١٨٠ – ١٨٨.

<sup>(</sup>٣) يسمى بالشظاة أيضًا وفى القاموس أنه عند المدينة يسمى قناة ومن أعلى منها عند سد نار الحرة يسمى بالشظاة كها يروى ابن زبالة أن سيل قناة إذا استجمعت تأتى من الطائف وهو أحد فحول أودية الحجاز فيأتى من المشرق حتى يصل السد الذى أحدثته نار الحرة وانقطع هذا الوادى بسببه وقد انحرف عدة مرات منها فى سنة ١٩٠هـ وأخرى سنة ١٧٠هـ وكذلك فى سنة ٣٧٧هـ انظر: السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٨٤؛ انظر أيضًا: أحد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة، ص ٢٩٤، ٢٩٤.

<sup>(</sup>٤) اليعقوبي، البلدان، ص ٧٢.

الغابة: هي اسم موضع قرب المدينة من جهة الشيال على ثمانية أميال منها على نحو بريد من ناحية الشيال. انظر: العباسي، عمدة الأخبار، ص ٣٨١، ٣٨١.

<sup>(</sup>٥) عبد الله عبد العزيز بن إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول على الطبعة الأولى، الناشر عبادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢١.

<sup>(</sup>٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٠.

العنب والرمان والليمون والموز والنخيل المفتخر وغيرها(١)، وهناك خيبر(٢) وهي قرب المدينة ذات نخيل وحدائق(٢)، والصفراء(٤) وهي كثيرة المزارع والمياه والحدائق(٥)، وبها أيضًا وادى القرى(١) كثير النخيل والبساتين والعيون(١)، وهناك غيرها من القرى.

أما عن أسماء المدينة (^)، فيذكر المؤرخون المسلمون أنها عرفت بيثرب (^) نسبة إلى يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وبه سميت يثرب و بادى العقيق ضمن نصر سميت يثرب و بادى العقيق ضمن نصر

الرابع، شرح وتعليق/ محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٧-١٤هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٩٤.

<sup>(</sup>١) مؤلف مجهول، رسالًة في وصف المدينة المنورة، مخطوطة رقم ( ١٦٤٤ تاريخ)، ميكروفيلم رقم (٣٠٧٧٩)، دار الكتب المصرية، ورقة ٧.

<sup>(</sup>۲) خيبر: بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر قال الزجاجي: سميت بخيبر بن قانية وهو أول من نزلحا وهي بلدة بالقرب من المدينة قال ابن سعيد: طولها أربع وستون درجة وست وخمسون دقيقة وعرضها سبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة وهي بلدة عامرة آهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجرى. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

<sup>(</sup>٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

<sup>(</sup>٤) الصفراه: مؤنث أصفر واد على ست مراحل من المدينة كثير المزارع والمياه والحدائق وقد ذكر القلقشندى أن بعض أهل الحجاز أخبره أن به أربعة وعشرين نهرًا على كل نهر قرية وعيونه تصب فضلها إلى ينبع. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

<sup>(</sup>٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

<sup>(</sup>٦) القرى: بضم القاف وفتح الرآء المهملة وألف فى الآخر وهى جمع قرية وفى " الروض المعطار " أنها مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون وذكر القلقشندى أن بعض أهل الحجاز أخبره أن به عيونًا كثيرة عليها عدة قرى فخربت لاختلاف العرب وهى الآن خراب لا عهار بها ولو عمرت أغنت أهل الحجاز عن الميرة من غيرها. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٦.

<sup>(</sup>٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٦.

 <sup>(</sup>٨) المدينة هي مدينة الرسول ﷺ بحيث إذا قبل المدينة غير مضافة ولا منسوبة علم أنها هي قال الله تعالى:
 ﴿ يَعُولُونَ لَمِن تَجَمَّنَ ۚ إِلَى الْمَدِينَ قِ لِيُخْرِجَ ﴾ الأَغَرُّيمُ إَا اللَّهَ ثَالَمَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

<sup>(</sup>٩) ورد فى الصحيح النهى عن تسميتها بيثرب كأنه من الثرب وهو الفساد أو من التثريب وهو التوبيخ وكان الرسول يكره الاسم الخبيث وأخرج أحمد عن البراء بن عازب رَمَيَزَفَئَيَّ قال: قال النبي ﷺ " من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل هى طابة ". انظر: السيوطى، الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة، ص ٢٤، ٢٥.

<sup>(</sup>۱۰) السمهودي، وقاء الوفا، ج ١، ص ١٥٦.

أورده ابن زبالة (١) جاء فيه: " أنا عبد الله رسول الله سليمان بن داوود إلى أهل يثرب "(١) وللمدينة المنورة كثير من الأسماء، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وقد أوصلها السمهودى إلى نيف وتسعين، ومن أشهر أسمائها ما ذكره القرآن الكريم (١)، فالقرآن الكريم سماها المدينة قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَهِن رَّجَعُنَ آ إِلَى المَدِينَةِ النَّحْرِجَ الْأَعَرُ مِنْهُ الْمَدِينَةِ اللَّهُ وَمِمَّنَ حَوْل كُمُ مِن الْأَعْرابِ مُنافِقُونٌ وَمِن أَهْلِ المَدِينَةِ ﴾ (١) الأَعْرابِ مُنافِقُونٌ وَمِن أَهْلِ المَدِينَةِ ﴾ (١) .

وذكر ياقوت فى "معجم البلدان " أن للمدينة تسعة وعشرين اسبًا فهى: "المدينة وطيبة وطابة والمسكينة والعذراء والجابرة والمحبة والمحببة والمجبورة ويثرب والناجية والموفية وأكالة البلدان والمباركة والمحفوفة والمسلمة والمجنة والقدسية والعاصمة والمرزوقة والشافية والخيرة والمحبوبة والمرحومة وجابرة والمختارة والمحرمة والقاصمة وطبابا "(۱)، وهذه الأسهاء الكثيرة تدل على شرفها وفضلها ومكانتها التي عرفها لها الكثيرين.

### ثانيًا \_ المدينة المنورة قبل عصر سلاطين الماليك الجراكسة

المدينة المنورة طوال تاريخها مهوى أفئدة المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي،

<sup>(</sup>۱) ابن زبالة، عمد بن الحسن بن أبى الحسن القرشى المخزومى المدنى أبو الحسن وقيل أبو عبد الله ويعرف بابن زبالة بفتح الزاى وتخفيف الموحدة أى على زنة سحابة أحد كبار الإخباريين الذين برزوا في القرن الثاني المجرى ومهدوا الطريق أمام المؤرخين الكبار الذين جاءوا من بعده كها أنه يعد أول من صنف كتابًا شاملا في أخبار المدينة المنورة. انظر: الحافظ بن ماكولا، الإكبال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسهاء والكنى والنساب، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، تحقيق/ عبد الرحمن المعلمى، د.ت،، ص ١٧٣٤ الذهبى، شمس الدين بن محمد بن أحمد، المشتبه في الرجال أسهاؤهم وأنسابهم، الجزء الأول، تحقيق/ على عحمد البجاوى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت،، ص ٤٠٣؛ ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ح ١٠ مى ل.

<sup>(</sup>۲) آلسمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ١٥٨، ١٥٩.

<sup>(</sup>٣) إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، الجزء الأول، القاهرة، ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٥ م، ص ٤٠٧.

 <sup>(</sup>٤) (سورة المنافقون، آیة ٨).

<sup>(</sup>٥) (سورة التوبة، آية ١٠١).

<sup>(</sup>٦) ياقرت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٣؛ السيوطى، الحجج المبينة، ص ٢٠٥.

نظرًا لأهميتها الدينية والتاريخية والخضارية، ولمكانتها المتميزة في نفوس المسلمين جميعًا. فمنذ أن أقام الرسول على الدولة الإسلامية ثابتة الأركان، وجعل حاضرتها المدينة المنورة، نالت المدينة شهرتها العظيمة، وعندما استولى الأمويون على الخلافة قاموا بنقل عاصمة الخلافة إلى دمشق، ليكونوا قريبين من أنصارهم، وأصبح الحجاز ولاية تابعة للدولة الأموية يضم مكة والمدينة والطائف(۱).

وطوال العصر العباسى لم يعدل العلويون عن اعتقادهم أنهم أحق بالخلافة من أبناء عمومتهم العباسيين، فكانوا يثورون فى وجه الدولة كلما سنحت لهم الفرصة، وعندما ضعفت الدولة العباسية، فى العصر العباسى الثانى ( ٢٣٢-٢٥٦هـ/ ٨٤٦-١٢٥٨م)، أدرك الأشراف العلويون (٢٦، أن الوقت مناسب للخروج على طاعة العباسيين والاستقلال عنهم فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى (٣).

حيث يذكر ابن خلدون: أن العلويين المقيمين بها - أى المدينة - استغلوا ضعف الخلافة العباسية آنذاك، فتولوا إمارتها وظلوا يخطبون للعباسيين، وقد تداول الإمارة فيها بنو الحسين بن على بن أبى طالب، وبنو جعفر بن أبى طالب رَضِيَالْهُ فَيُكَا، إلى أن استطاع بنو الحسين الانفراد بالسلطة وإجلاء بنى جعفر؛ حيث سكنوا بين مكة والمدينة، وبقى بنو الحسين يحكمون المدينة منفردين بها(1).

<sup>(</sup>۱) عمد الخضرى، عاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ( الدولة الأموية )، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ٦٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٥٦٠.

<sup>(</sup>۲) لقب الشريف يطلق على الرجل الماجد الكريم أو من كان كريم الآباء، ثم أطلق على من كان من آل بيت الرسول في ومن الناس من قصره على ذرية الحسن والحسين رضى الله عنها ولعل الضعف الشديد الذى انتاب الدولة العباسية وظهور الدولة الفاطمية وقوتها هو الذى جراً على إطلاق لقب الشريف على من كانوا يتتمون إلى نسل على من السيدة فاطمة بنت الرسول في وحين قامت دولة الأشراف بالحجاز أصبح يطلق على الأسرة الحاكمة لقب "الأشراف" أما غيرهم من العلويين فكانوا يطلقون عليهم لقب "السادة". يطلق على الأسرة الحاكمة لقب "الأشراف "أما غيرهم من العلويين فكانوا يطلقون عليهم لقب " السادة". انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق د/ عمد حميد الله، دار المعارف، د. ت.، ص ٢٠ انظر أيضًا: آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ترجمة/ عمد عبد الحادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦ه م/ ١٩٤٧م، ص ٢١١ البرادعي، الدرة السنية في أنساب الحسنية والحسينية، ص ٤.

<sup>(</sup>٣) عبد العزيز بن فهد، عز الدين بن عبد العزيز بن عمر بن محمد ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م، غاية المرام بأخبار البلد الحرام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٤٨١.

<sup>(</sup>٤) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوى السلطان الأكبر،

كها بدأ اهتهام الفاطميين ببلاد الحجاز، منذ خلافة المعز لدين الله الفاطمى؛ حيث أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة، وحذف اسم الخليفة العباسى من الخطبة فى كل من مكة والمدينة، وعمل المعز على تثبيت سلطته على هاتين المدينتين بالأموال التى صار يرسلها إليهها. ففى سنة ٩٥٩هـ/ ٩٦٩م، أرسل المعز كها يقول المقريزى "عسكرًا وأحمال مال عدتها عشرون حملًا للحرمين وعدة أحمال متاع "(١)، وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين فى بلاد الحجاز.

ولعل مما دفع أشراف مكة والمدينة إلى إعلان التبعية للفاطميين، هو قلة موارد الحجاز الاقتصادية، فقد وجدوا المساعدة من الدولة الفاطمية الغنية بثرواتها المادية والبشرية، مما أثر على علاقة العباسيين بالأشراف، فلم يستطع العباسيون استهالة الأشراف إلى جانبهم، حيث كان الفاطميون يغدقون عليهم الأموال والهدايا الكثيرة.

لذلك تمكن الفاطميون من فرض سيطرتهم على الحجاز، كما أنهم دافعوا عنه ضد القرامطة(٢).

الجزء الرابع، الطبعة الأولى، تحقيق/ خليل شحادة، مراجعة/ سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٣٩–١٤٢.

<sup>(</sup>۱) المقريزي، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على ت ٨٤٥هـ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأثمة الفاطميين الخلفا، الجزء الأول، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ١١٧١ انظر أيضًا: محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، تقديم د/ عصام عبد الرءوف الفقى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٩٣٠.

<sup>(</sup>٢) القرامطة: فرقة من فرق الإسهاعيلية تنسب إلى دعاتها حمدان بن قرمط وكان هذا الرجل أكارًا بسيطًا بعثه أحد كبار الدعوة الإسهاعيلية ليدعو نيابة عنه في بلده فبنى مركزًا لدعوته قرب الكوفة سهاه " دار الهجرة " واتخذه مكانًا للدعوة؛ حيث دخل كثير من الناس في دعوته وبعد وفاته ذهب جماعة من أصحابه إلى البحرين على الساحل الشرقى لبلاد العرب فاستطاعوا نشر دعوتهم هناك وتمكن زعيمهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي من إقامة دولة للقرامطة جعل عاصمتها مدينة الأحساء وشملت هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين وفي عهد ابنه أبي طاهر سليان الذي تولى زعامة القرامطة سنة ٥ ٥ هـ/ ١٧ م ألتي القرامطة الرعب في جزيرة العرب كلها حيث اعترضوا ركب الحاج العراقي عند عودته من مكة سنة ١٢ هـ/ ٤٢ م فاوقعوا منهم ألفي رجل ونهبوا القافلة وأخذوا إبل الحاج جميعها والأمتعة والأموال والنساء وترك باقى الحجاج فهات أكثرهم جوعًا وعطشًا وتكرر ذلك منهم كما أن أبي طاهر القرمطي استولى على مكة سنة ١٣ ٩٠ م بعد أن قتل الحجاج يوم التروية الثامن من ذي الحجة وقتلوا في المسجد الحرام نحو ألف وسبعهائة وقبل ثلاثة عشر ألفًا من الرجال والنساء وهم متعلقون بأستار الكعبة المسجد الحرام نحو ألف وسبعهائة وقبل ثلاثة عشر ألفًا من الرجال والنساء وهم متعلقون بأستار الكعبة المسجد الحرام نحو ألف وسبعهائة وقبل ثلاثة عشر ألفًا من الرجال والنساء وهم متعلقون بأستار الكعبة ابن طاهر البغدادي ت ٤٢٤هـ الفرق بين الفرق، تحقيق/ طه عبد القاهر، أبو منصور عبد القاهر، ابن طاهر البغدادي ت ٤٢٩هـ الفرق بين الفرق، تحقيق/ طه عبد الرؤوف، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ابن طاهر البغدادي ت ٤٢٩هـ الفرق بين الفرق، تحقيق/ طه عبد الرؤوف، مؤسسة الحلبي، القاهرة،

حتى نجحوا فى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى (۱)، فى استهالة القرامطة إلى جانبهم وإثارة حفيظتهم على العباسيين (۱)، إلا أن الأمر لم يستمر للفاطميين، حيث نجح العباسيون فى إعادة بسط نفوذهم على الحجاز بعد منافسة شديدة معهم، وقد أدت الشدة العظمى فى مصر على عهد المستنصر بالله الفاطمي، وما تلاها من ضعف سلطة الخلفاء، إلى ترجيح كفة العباسيين فى بلاد الحجاز، وكانت الدولة الفاطمية فى أواخر عهدها، قد شغلت بالفتن نتيجة للصراعات بين رجال الدولة، فلم تعد تهتم بعودة الخطبة لها فى الحجاز (۱).

وفى العهد الأيوبى كان الحجاز في عهد صلاح الدين الأيوبى، تحكمه أسرة بنى هاشم في مكة، بالإضافة إلى بنى مهنا من آل الحسين فى المدينة، وكانوا يخطبون للعباسيين فى أواخر العصر الفاطمى، لذلك لم يرسل صلاح الدين حملة للقضاء على أشراف الحجاز الشيعة، لكنه استهال أمراءها وأغدق عليهم الأموال والهدايا، حتى أذنوا له أن يجعل على المدينة الشريفة جماعة من قبله، فقرر بالمدينة أربعة وعشرين خادمًا خصيًا وجعل عليهم شيخًا من الخدام، كما أوقف على مجارى المدينة بلدين من أعمال الصعيد بمصر وهما نقادة وقبالة، وكان شيخ الحرم النبوى إذا قدم من المدينة على الملوك، يقومون له ويجلسونه إلى جانبهم ويتبركون به، لقرب عهده من تلك الأماكن الشريفة، واستمر الأمر على ذلك إلى أيام الملك الأشرف برسباى (۱).

د. ت.، ص ١٦٩ – ١٧٧٤ المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأثمة الفاطميين الخلفا، ج ١، ص ١٦٠ عمر ابن فهد، محمد بن محمد بن محمد بن فهد الشهير بعمر توفى ١٨٥هـ إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الجزء النانى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٣م، ص ٣٦٩ - ١٣٧٠ أبو الفدا، عهاد الدين إسهاعيل ت ٧٣٧هـ المختصر في أخبار البشر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية، القاهرة، د. ت.، ص ٧٤.

<sup>(</sup>١) العزيزُ بالله ( مزار أَبو منصور ): تولى الخلافة الفاطمية سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م بعد وفاة أبيه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي.

 <sup>(</sup>٢) صبحى عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، العربى للنشر والتوزيع،
 د. ت.، ص ٩٩؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافي والاجتماعى، الجزء الرابع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٥٦.

<sup>(</sup>٣) صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ١٣٩، ١٤٠.

<sup>(</sup>٤) ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ۱، ص ۱۵٪ انظر أیضًا: صبحی عبد المنعم، العلاقات بین مصر والحجاز، ص ۱٤۷.

وطوال تاريخ المدينة المنورة فى العهد الأيوبى، ظلت الخلافات قائمة بين أمراء. مكة وأمراء المدينة المنورة(١)، وقد بلغ النفوذ الأيوبى فى الحجاز ذروته عن طريق الفرع الأيوبى الذى حكم اليمن(١).

حيث أوجدوا نوابًا لهم في مكة، فصاروا لذلك القوة المسيطرة على إمارة الحرمين، إلا أن الأيوبيين انشغلوا بالصراعات فيها بينهم عن الاهتهام ببلاد الحجاز (٢٠).

وفى العصر المملوكي البحرى، سعى سلاطين المهاليك إلى وضع ركيزة قوية لحكمهم، بإحياء الخلافة العباسية في مصر ٢٥٩هـ/ ١٢٦١م، بعد سقوطها بثلاث سنوات في بغداد ٢٥٦هـ/ ١٢٥٨م، واستطاع الظاهر بيبرس<sup>(١)</sup> أن يبايع الخليفة المستنصر بالله العباسي بالخلافة، ومن ناحية أخرى قام الخليفة بتقليد بيبرس السلطنة، حيث صار

<sup>(</sup>١) الفاسى، تقى الدين عمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الجزء السابع، تحقيق/ فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٥٩٠.

<sup>(</sup>۲) ترقى صلاح الدين الآيوبى دون أن يضع نظامًا خاصًا لولاية العهد ونشأ عن ذلك قيام النزاع والخلاف ببن أولاده وإخوته وأحقاده فاستطاع العادل أخو صلاح الدين أن يضم إليه الشطر الأكبر من الدولة الأيوبية، وتولى اليمن أحد فروع الأسرة الأيوبية حيث كان صلاح الدين قد أرسل أخاه سيف الإسلام طغتكين لتولى اليمن وضبط الأمور وإعادة سلطة الأيوبيين عليها ويعد وفاته تولى ابنه المعز إسماعيل الذى جساهر بالتشيع عاشجع الزيدية على بيعة الإمام عبد الله بن حزة سنة ٩٣هم فلما تولى أخاه الناصر أيوب بن طغتكين حاول وأنصاره الحد من نفوذ الإمام عبد الله بن حزة لكنه مات مسمومًا عما أضعف من نفوذ الأيوبيين في اليمن حتى تنبه السلطان العادل إلى خطورة الوضع بالنسبة إلى الأيوبيين في اليمن وخشى من زوال نفوذهم فاستقر وأيه على إنفاذ حملة بقيادة حقيده المسعود لاستعادة سلطانهم بهذه البلاد فسار المسعود إلى اليمن وصنعاء وسائر عالك المسعود إلى اليمن وصنعاء وسائر عالك اليمن، انظر: ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي ت ٣٤هه / ١٣٤٣م، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، اليمن. انظر: ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي ت ٣٤هه / ١٣٤٣م، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تقيقية مصطفى حجازى، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٧٨ - ٨٨؛ المقريزى، الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، لجنة التأليف والترجة والنشر، ١٩٤٥م، ص ٢٥، ٧٧.

<sup>(</sup>٣) الجزيري، عبّد القادر بن محمد الأنصاري ت ٩٧٧هـ درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار البيامة، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٥٨٨.

<sup>(3)</sup> الظاهر بيبرس: هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحى النجمى البندقدارى التركى ولد في حدود سنة ٢٢ هـ/ ٢٢٣ م بصحراء القبجاق وأخذ من بلاده صغيرًا وبيع بدمشق فنشأ بها ثم اشتراه الأمير علاء إيدكين البندقدارى الصالحى وبقى في ملكه إلى أن قبض الملك الصالح نجم الدين أيوب على إيدكين وصادره وأخذ بيبرس ضمن ما أخذه منه ثم أعتقه الملك الصالح وقدمه على طائفة من الجمدارية وظل يترقى ضمن أمراء الماليك حتى استطاع أن يتولى حكم مصر سنة ١٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م بعد مقتل الملك المظفر قطز. انظر: ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٩٤- ١٠ العينى، بدر الدين محمد بن على، عقد الجان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق/ عمد عمد أمين، الميثة المصرية العامة للكتاب، حوادث سنتى ١٥٥، ٢٧٦ه.

يتولى السلطنة بتفويض من الخليفة، كها فوض إليه: "البلاد الإسلامية وما يضاف إليها وما سيفتح عليه من البلاد الكفرية "(۱)، وبذلك أضفى بيبرس على نفسه وعلى حكمه صبغة شرعية. وأراد بيبرس أن يعرف سائر الأمراء مدى شرعية حكمه، فجمعهم بضاحية المطرية القريبة من القاهرة؛ لكى يسمعوا جيعًا تفويض الخليفة للسلطان بحكم "... الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية وما يتجدد من الفتوحات غورًا ونجدًا... "(۱).

حيث تطلع سلاطين المهاليك إلى السيطرة على الحرمين الشريفين، لما لهما من أهمية سياسية ودينية واقتصادية، فضلًا عن أن الظروف كانت مهيأة بسبب الصراع الدائم بين أمراء بلاد الحجاز، فقد لجأ بعضهم إلى سلاطين المهاليك في مصر طلبًا للمساعدة، مما أتاح للظاهر بيبرس التدخل في شئون الحجاز سعيًا للسيطرة عليه.

كها تلقب سلاطين المهاليك بلقب "خادم الحرمين الشريفين"، وذلك لإطفاء الشرعية على حكمهم، وكان أول من تلقب بهذا اللقب السلطان الظاهر بيبرس (٢٠)، كذلك ذكر اسم الظاهر بيبرس في الخطبة في الحرمين الشريفين، ونقش اسمه على السكة منذ سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م (٢٠).

ومنذ ذلك بدأت حقبة تاريخية جديدة فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث ارتبطت تلك البلاد بمصر ارتباطًا وثيقًا لمدة زادت على القرنين من الزمان<sup>(٥)</sup>.

<sup>(</sup>١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٨٣؛ انظر أيضًا: سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمهاليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، ١٩٩٦م، ص ٢٠٦.

 <sup>(</sup>٢) قاسم عبده قاسم، على السيد على، الأيوبيون والمهاليك ( التاريخ السياسى والعسكرى )، الطبعة الأولى،
 عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م، ص ١٥١.

<sup>(</sup>٣) كان أول من تلقب بلقب خادم الحرمين الشريفين هو السلطان الظاهر بيبرس عرف ذلك من نقش موجود بقلعة دمشق تاريخه ٢٥٦هـ/ ١٢٦٠م. انظر: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثانق، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٦٨؛ حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة الماليك الثانية، ص ١٥٥.

<sup>(</sup>٤) اليوسَفَى، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، الطبعة الأولى، تحقيق/ أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٩١.

<sup>(</sup>٥) الفاسى، تقى الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الجزء الثانى، دار الكتب العلمية، د. ت.، ص ١٩٤٤ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، الجزء الرابع، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣م، ص ٣٦؛ عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ١، ص ٤٨١.

# • الفصل الأول

## الأحوال السياسية في المدينة المنورة

أولًا - النفوذ السياسى لسلاطين الماليك الجراكسة ثانيًا - أمراء المدينة المنورة ومراسم تولية الإمارة ثالثًا - العلاقات السياسية بين المدينة المنورة ومكة المكرمة

## أولًا - النفوذ السياسي لسلاطين الماليك الجراكسة

#### \* طبيعة النفوذ السياسي

تتمثل طبيعة النفوذ السياسى لسلاطين الماليك الجراكسة، في العديد من الأمور لعل منها تعيينهم لأمراء المدينة المنورة، ومع ذلك لم يكن السلطان المملوكي مطلق اليد في اختيار أو تعيين أي أمير، بل كان مقيدًا بأن يكون أمير المدينة المنورة من الحسينيين؛ أي من سلالة الحسين بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكان يخطب باسم السلطان المملوكي على منابر المدينة المنورة (۱۱)، كها احتفظ سلاطين المهاليك في الوقت ذاته بلقب سلطان مصر والحجاز؛ حيث لقب السلطان برقوق (۱۱) الذي ارتقى الحكم

<sup>(</sup>۱) ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، الجزء الأول، تحقيق/ محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص ٢٩٧٠ انظر أيضًا: على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ٥٥.

<sup>(</sup>۲) الظاهر برقوق: هو الظاهر برقوق بن آنص العثماني اليلبغاوي الجركسي الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد أول ملوك الجراكسة بمصر تولى يوم الأربعاء ١٩ رمضان سنة ١٩٨٤م / ١٣٨٨م وخلع سنة ١٩٧هم / ١٩٧هم وسجن بالكرك، فكانت مدة سلطته الأولى ست سنين وبعض الأشهر، ثم أعيد مرة أخرى في ١ رمضان سنة ١٩٧٩م نفس السنة وتوفى في سنة ١٠٨هم / ١٣٩٨م وكانت مدة ولايته الثانية عشر سنين إلا بعض الأيام وإجمالي ولاياته ست عشرة سنة وأيامًا وله العديد من الإنشاءات وله أوقاف كثيرة منها على الحرمين لقراء القرآن الكريم وغيرهم. انظر: الملطي، عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي ( ١٤٤٥ - ١٩٨هم)، نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، الطبعة الأولى، تحقيق/ محمد كمال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٠٤ ١هم/ ١٩٨٧م، ص ١١٥، ١١٥، ١١٩ كيال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٠٤هم / ١٩٨٩م، ص ١١٥، ١١٨، ١١٩ ابن حجر العسقلاني، الدرك الكامنة بأعيان المائة الثامنة، الجزء الرابع، دار الجيل، بيروت، د. ت.، ص الاسحاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحن ت ١٠٩هم / ١٤٩٦م، الضوء اللامع لأهل القرن التاسم، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٤٤ ما اللامع لأهل القرن التاسم، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٤٤ ما ١٩٠٥م، الضوء اللامع لأهل الترب

سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م بسلطان مصر والحجاز (١)، كما كان برقوق من سلاطين الماليك الذين حملوا لقب خادم الحرمين الشريف(٢).

حيث وجد سلاطين الجراكسة نظام الأشراف نظامًا وراثيًا مستقرًا، فلم يحاولوا تغييره، ومن فكر منهم فى ذلك وجد كثيرًا من الصعوبات، فاكتفوا بتشديد قبضتهم عليهم (٣)، مع تركهم إدارة المدينة المنورة كليًّا للأشراف (١). إلا أنهم كانوا يراقبون ما يقوم به أمراء المدينة، ويستمعون إلى الشكاوى ضدهم، وقد يستجيبون لها، وذلك بعزل من كثر ظلمه منهم، فأسهموا بذلك فى إنهاء الكثير من الاضطرابات التى وجدت فى المدينة المنورة (٥).

وكانت طريقتهم المفضلة في عزل أي أمير أو مكافأته، هي أن يتم استدعاؤه إلى مصر، وكان الأمير عندما يستدعي، يسترجع ما قام به وهل من بينه ما يغضب السلطان، فإن لم يكن شيئًا من ذلك سافر إلى مصر فاستقبل بالحفاوة، وأما إذا كان مغضوبًا عليه فكان إما أن يعزل ويتولى غيره مكانه، إما أن يتم سجنه في أحد سجون مصر فترة قد تطول أو تقصر حسبها تقتضيه سياسة السلاطين، ونادرًا ما كان يقتل أحدهم من جانب السلاطين، فقد كانوا يستخدمون بعض الأمراء مرة أخرى لتحقيق سيطرتهم، وتهديد الأمير الجديد إذا حاول أن يعصى أوامرهم.

<sup>(</sup>١) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤ ٣٤؛ انظر أيضًا: حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة الماليك الثانية، تقديم د/ عمد مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٥٥٠.

<sup>(</sup>٢) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة الماليك الثانية، ص ١٥٥.

<sup>(</sup>٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص٥٥.

<sup>(</sup>٤) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، الجزء الأول، ترجمة د/ على عودة الشيوخ، تعليق د/ محمد السرياني، د/ معراج نواب مرزا، مراجعة د/ محمد إبراهيم على، صدر بمناسبة مرور ماثة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٨٠.

<sup>(</sup>٥) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص٤٣٧؛ انظر أيضًا: عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، عبلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الخامس، ربيع الثاني - جادي الآخرة ١٤٢٤ هـ/ يونيو - أغسطس ٢٠٠٣م، ص ٥٠.

كها تردد على مصر الكثير من أمراء الأشراف، إما سعيًا وراء تولية الإمارة، إما رغبة في الاحتفاظ بها، وكان من مظاهر سيطرة المهاليك الجراكسة على أمراء المدينة أيضًا، احتكام هؤلاء الأمراء إلى السلطان المملوكي فيها يقع بينهم من خلافات (١١).

والملاحظ أن سلطة سلاطين الماليك على أمراء المدينة، في كثير من الأوقات كانت سلطة اسمية، حيث كان أمير المدينة هو الذي يتولى الإشراف التام على أمورها دون الرجوع إلى السلطان، كذلك فإن سلاطين الماليك كانوا بعيدين تمامًا عما يحدث داخل المدينة من أحداث، وكثيرًا ما كانوا يصدرون قرارات التولية، دون معرفة بأمور المدينة، بل وكثيرًا ما كان اتخاذ هذا القرار غير حكيم، عما كان يحدث حروب وفتن بين أمراء الأشراف في المدينة، فعندما كان يذهب أحد الأشراف إلى القاهرة، ويشتكي من أخيه أو ابن عمه، ويطلب من السلطان تعيينه أو إشراكه في الإمارة، كان السلطان المملوكي يستجيب له دون أن يعرف الأوضاع داخل المدينة، عما كان سببًا في حدوث كثير من الفتن بينهم (٢).

## \* الأحوال السياسية في المدينة مع بداية سلطنة الماليك الجراكسة

من خلال تتبع الأوضاع السياسية فى المدينة المنورة أواخر القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى، يتضح أن الصراع على السلطة بين أشراف الأمراء كان على أشده، كما أنه كان سمة بارزة للحياة السياسية فى المدينة فى ذلك الوقت (٣٠). ولما كانت بداية سلطنة الماليك الجراكسة فى مصر هى باستيلاء السلطان برقوق على السلطنة، الذى لم يكن على دراية بأمور أسرة الأشراف فى المدينة، لذا عندما وفد عليه جماز بن هبة (١٠)

<sup>(</sup>١) على بن حسين السليهان، العلاقات الحجازية، ص ٥٥، ٥٦.

<sup>(</sup>٢) السَّخَاوى، التحقة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٥٨؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

<sup>(</sup>٣) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي ( دراسة تاريخية وثائقية حضارية)، الطبعة الأولى، إصدار خاص بمناسبة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٧١.

<sup>(</sup>٤) جماز بن هبة بن جماز بن منصور تولى إمارة المدينة في ذي القعدة سنة ٧٨٣هـ ثم اشترك معه ابن عم أبيه في سنة ٧٨٥هـ محمد بن عطية بن منصور ووليها مرة أخرى سنة ٧٨٩هـ ثم سجن بالإسكندرية سبع

استقبله واستجاب لطلبه، وأصدر له مرسومًا بتعيينه أميرًا على المدينة، وعاد جاز مع ركب الحبح لموسم ذى القعدة سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م (١)، وفى تلك الفترة كان أمير المدينة عطية بن منصور بن جاز قد توفى (٢)، واستولى على الإمارة أخيه نعير (٣)، الذى أرسل إلى السلطان برقوق يطلب منه تثبيته فى الإمارة، ولكن السلطان كان قد أصدر مرسومًا بتعيين جماز بن هبة، لذلك بعد أن عاد جماز إلى المدينة حاملًا مرسوم السلطان بتعيينه أميرًا (١٠)، نشب بينه وبين نعير قتال انتهى بوفاة نعير (٥). وبعد أقل من سنتين من تسلم جماز بن هبة للسلطة استطاع ابن عم أبيه محمد بن عطية، أن يستصدر هو الآخر مرسومًا من السلطان برقوق بإشراكه فى الإمارة مع جماز، فأذعن جماز فى البداية، ثم أخذ فى الكيد له، إلى أن استطاع طرده من المدينة (١)، ويتضح من هذا أن المدينة المنورة عانت من الصراع على الإمارة منذ بداية عصر الماليك الجراكسة.

وفى بداية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى عاشت المدينة المنورة حياة هادئة، حتى كانت علاقاتها حسنة مع سلاطين الماليك في مصر، أثناء إمارة ثابت بن

سنوات ثم أطلق سنة ٨٠٥هـ وقتل فى سنة ٨١٢هـ وقد ولى المدينة ثلاث مرات. انظر: عمر بن فهد، اتحاف الورى، ج ٣، ص ٢١٤؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧؛ المقريزى، السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٠٩٧.

<sup>(</sup>١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ص ٢٧٢.

<sup>(</sup>٢) عطية بن منصور بن جماز تولى إمارة المدينة في الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٥٩هـ ومات سنة ٣٨٧هـ بالمدينة كانت سيرته عطرة ومناقبه عديدة. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٧؛ ابن تغرى، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، الجزء الرابع، تحقيق د/ نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٨٦م، ص ١٩٧

 <sup>(</sup>٣) نعير بن منصور بن جماز تولى إمارة المدينة في ذي القعدة سنة ٧٨٣هـ بالوكالة وكان ينوب عن أخيه عطية
 ابن منصور وقتل سنة ٧٨٣هـ بعد يومين من دخول جماز المدينة. انظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١٠
 ص ٤٢٧ . ٤٢٨.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧٤.

 <sup>(</sup>٥) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ٤٣٨؛ انظر أيضًا: عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المنورة
 اهـ ١٤١٧هـ، سلسلة كتب تواريخ المدن (٣)، دار كتان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا،
 ص ٢٨٧.

<sup>(</sup>٦) ابن الصيرف، الخطيب الجوهرى على بن داوود، ت ٩٠٠ه نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان، الجزء الأول، تحقيق/ حسن حبشى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٢٤.

نعير بن جماز (١١)، الذي حسن العلاقة مع أهل السنة، لكنه تغير في آخر ولايته (٢)، فتقدم أهل المدينة بشكوى ضده إلى السلطان الناصر فرج الذي عزله وأطلق سراح الأمير جماز ابن هبة، وأعاده إلى إمارة المدينة المنورة (٢). لكن الأمير ثابت بن نعير لم يرض بها حدث، وحاول أخذ الإمارة من الأمير جماز مرة أخرى، وأرسل رجاله إلى السلطان المملوكي للتوسط في ذلك.

ويذكر السخاوى أن السلطان الناصر فرج ( ٨٠٦-٨١٣هـ)(1)، قال لهم اقتتلوا فمن غلب كان هو الأمير(٥)، ولكن عبد الباسط بدر يشكك في هذه الرواية، ويعدها من خيال القصاصين، حيث لم يذكرها أحد غير السخاوى، ولا يعقل أن يبلغ العبث بالسلطان هذا الحد، ذلك لأن السلطان المملوكي لن يترك أمر مدينة رسول الله على للحرب والقتال بين أمراء الأشراف، وخاصة أن السلطان الناصر فرج، كان قد أنهى الحدب في مكة وعين عليها الأمير الحسن بن عجلان(١)، فكيف له أن يسمح أن تحدث

<sup>(</sup>۱) ثابت بن نعیر بن جماز بن منصور بن جماز تولی إمارة المدینة قرابة سنة ۷۸۹هـ و ما بعدها وعزل عنها بهجاز سنة ۲۰۸هـ، ثم أعید واقتتلا ومات ثابت سنة ۲۱۸هـ فی صفر. انظر: السخاوی، التحفة اللطیفة، ج ۱، ص ۴۳۶۶ السخاوی، الضوء اللامع، ج ۱، ص ۴۵۰ المقریزی، السلوك، ج ۲، ق ۱، ص ۴۵۹ ابن تغری، المنهل الصافی، ج ۲، ص ۴۸۵ ابن تغری، النجوم الزاهرة، ج ۲۳، ص ۱۷۳.

<sup>(</sup>٢) كان آمراء المدينة المنورة من الأشراف الحسينين وقد بدأت مذاهب أهل السنة منذ أواخر القرن السابع الهجرى تكتسب قوة نتيجة دعم سلاطين الماليك لها وقد مال بعض الأمراء الأشراف إلى مذهب أهل السنة ومن هؤلاء كان ثابت بن نعير بن جماز وفعل ذلك بعض الأمراء إرضاءً لسلاطين الماليك الذين كانوا يدعمون أهل السنة.

<sup>(</sup>٣) المقريزى، السلوك، ج ٣، ص ٩٧ • ١؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص • ٥.

<sup>(</sup>٤) الناصر فرج: هو فرج بن برقوق بن آنص الملك الناصر زين الدين آبو السعادات بن الظاهر تولى السلطنة مرتين مثل والده الظاهر برقوق الأولى يوم الجمعة في نصف شوال سنة ١٠٨هـ وخلع منها في سنة ١٠٨هـ فكانت سلطنته ست سنين وخسة شهور، ثم أعيد في ٥ جادى الآخرة سنة ١٨٨هـ ومات بدمشق في ١٦ صفر سنة ١٨هـ، وكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وعشرة شهور وإجمالي ولاياته نحو أربع عشرة سنة. انظر: الملطى، نزهة الأساطين، ص ١٢٠ ـ ١٢٢.

<sup>(</sup>٥) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٦.

<sup>(</sup>٦) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى، يعود نسبه إلى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى المكى يلقب بدر الدين أمير الحجاز مكة والمدينة فى قرابة سنة ١٨هـ ولى أمرة مكة من غير شريك نحو إحدى عشرة سنة ووليها سنة وسبعة أشهر شريكًا لابنه السيد بركات تولى الإمارة سنة ١٩٩٨هـ/ ١٣٩٤م وتوفى سنة ٩٨هـ/ ١٤٢٥م، انظر: الفاسى، العقد الثمين، ج ٤، ص ٨٦؛ عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٧٤٠ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ٢٣، ص ١٦.

هذه الخلافات في المدينة المنورة، كها يذكر أيضًا أن التعيين جاء عن طريق دبلوماسية رجال الأمير جماز بن هبة في القاهرة(١).

كان لهذه الأحداث أثر سيئ على الأمن والاستقرار في المدينة، فقد وجد البعض في ذلك فرصة للإغارة على المدينة ونهبها.

من ذلك يتبين أن صراع الأمراء فى ذلك الوقت كان على أشده، كما كان من نتيجته قيام الأمير جماز بن هبة بفرض المكوس والجبايات ومصادرة الأغنياء فى المدينة، فحاول خصومه استصدار مرسوم من السلطان بعزله، وكان السلطان الناصر فرج قد مل من مشكلات إمارتى مكة والمدينة وصراع أفراد الأسرة الواحدة، ونتيجة لثقته بحسن بن عجلان الذى كان مسجونًا لديه ولاه إمارة مكة، وكلفه بالإشراف على إمارتى المدينة وينبع ومتابعة أميريها(٢).

#### \* توطيد النفوذ السياسي

أدرك سلاطين الجراكسة الأهمية القصوى لبلاد الحجاز، فعملوا على إرسال الحاميات العسكرية إليه، ليضمنوا سيطرتهم عليه من جهة، ولنشر الأمن والاستقرار من جهة أخرى (٣)، وحتى تكون هذه الحاميات شوكة في جانب أمراء الأشراف لضهان ولائهم (١)، فأمن الناس على حياتهم وممتلكاتهم، بفضل هيبة هؤلاء السلاطين التى تفرض على الأمراء العمل على حل مشكلاتهم، وعلى قطّاع الطرق من البدو التردد قبل الهجوم على قوافل الحجاج أو على أهل المدينة (٥).

<sup>(</sup>١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٩.

<sup>(</sup>٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٤٠؛ انظر أيضًا: أحمد السباعي، تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الجزء الأول، الطبعة السادسة، مطبوعات نادى مكة الثقاف، مكة، ٤٠٤ هـ / ١٤٠ م. ص ٢٩٠٤ عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٠.

<sup>(</sup>٣) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكَّة، ج ١، صَ ١٩٩.

<sup>(</sup>٤) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ١١٩.

<sup>(</sup>٥) على بن حسين السليان، العلاقات الحجازية المصرية، ص١٣٨.

حتى أن بعض أمراء المدينة استعان بسلاطين الماليك، ومنهم ثابت بن نعير بن هبة ابن جماز سنة ٩ ٨٢هـ/ ١٤٢٥م، الذى استعان بالسلطان الأشرف برسباى (١٠). فأرسل له قوة مسلحة بقيادة بكتمر السعدى (٢٠)، لتقويته ونصر أهل السنة، وقد أتاح ذلك للمدينة فترة استقرار سياسى، وإن لم تخل من اضطرابات متقطعة حول تولى الإمارة (٢٠).

كها أرسل السلطان جقمق ( ٨٤٢-٨٥٧هـ)(١٠)، حامية إلى بلاد الحجاز عبارة عن خسين فارسًا بقيادة الأمير سودون الذي لقب (ناظر الحرمين الشريفين)(٥)، وقد أقامت تلك الحامية في المدينة أكثر من سنتين، ولعل السبب المباشر لإرسال تلك الحامية جريمة ارتكبها أحد الأشراف، وكادت بسببها أن تحدث فتنة بين الشيعة والسنة، حيث اغتيل عمد الكهال أبو الفضل أحد أعيان السنة وأمير المدينة سليهان بن غرير (١) غائب عنها.

فجاء نائبه حيدرة بن دوغان (٧) إلى موقع الحادث للقبض على الجاني، ولكن دون جدوى، فسافر شقيق المقتول إلى القاهرة، وأخبر السلطان الظاهر عما يلاقيه أهل السنة

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٧١؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٥.

<sup>(</sup>٢) بكتمر بن عبد الله السعدى: عملوك سعد بن غراب ترقى إلى أن سفره السلطان إلى صاحب اليمن، ثم عاد فتأمر وتوفى سنة ١٩٨١هـ/١٤٢٧م. انظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٥٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٧.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٧١.

<sup>(</sup>٤) الظاهر جقمق: هو جقمق العلائى الظاهرى الجركسى الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد تسلطن يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول سنة ١٩٤هـ/ ١٤٣٨م وليس له من الآثار شيء معتبر غير ترميم بعض الأمكنة وبناء رصيف بولاق وقرر بعض الصدقات لأهل الحرمين وقرر لحم رواتب الذخيرة وتوفي ليلة الثلاثاء ٣ صفر سنة ١٨٥٧هـ، وكانت مدته أربع عشرة سنة وعشرة شهور ويومين. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٤٧٤ الملطى، نزحة الأساطين، ص ١٣٤، ١٣٥.

<sup>(</sup>٥) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٩.

<sup>(</sup>٦) سليمان بن غرير بن هيازع بن هبة بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب تولى إمارة المدينة سنة ٨٤٢هـ بعد عزل أميان أواخر سنة ٨٤٢هـ واستمر إلى أن توفى سنة ٨٤٦هـ. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٤.

<sup>(</sup>۷) حيدرة بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب تولى إمارة المدينة وكالّة واصالة سنة ٢٤٨هـ وتوفى سنة ٢٤٨هـ انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٤٠، الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٦٨ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٠٢ المقريزى، السلوك، ج ٣، ص ٩٨٥.

من بعض الأشراف ولذلك أمر جقمق بإرسال مجموعة من الجند لتعزيز الأمن فى المدينة، وقد جهزهم بها يحتاجونه، فمكثوا في المدينة أكثر من سنتين(١).

لكن ابن الصيرف فى نزهة النفوس والأبدان، يذكر خبر سفر تلك الحامية ضمن أحداث سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، عند ذكره لزيارة بعض الحجاج للبقيع فى تلك السنة، حيث خرج عليهم جماعة من العربان الرافضة وقتلوا ثلاثة من عماليك السلطان المرافقين لقافلة الحجاج(٢٠).

ويمكن القول إن تلك الحاميات المملوكية، كانت ترسل إلى الحجاز سنويًا وتقريبًا بنفس الأعداد المرسلة، وقد زادت أعدادها في بعض الأوقات، بما أعطى هذا الاختلاف في تاريخ سفرها.

وكان لموسم الحج أثره الكبير فى توطيد النفوذ السياسى لسلاطين الجراكسة، حيث حرصوا على الاستفادة منه فى الدعاية السياسية، فقاموا بالاهتمام بكل ما يتعلق بالأماكن المقدسة، وتوفير الراحة للحجاج، وإزالة العقبات التى تعترض طريقهم (٣)، فأمن الحجاج على أموالهم ومتاعهم، ولم يكن ذلك من الأمور اليسيرة، وفى بعض الأحيان اعتمد السلاطين على بعض القوى المحلية فى تحقيق الأمن، حتى أن الأمن كان ينعدم كلما أعربت هذه القوى المحلية عن تذمرها وسخطها (١).

وعما يدل على ذلك الاستحواذ أنه كانت هناك قوة عسكرية عملوكية ترسل إلى الحجاز خلال فترة الحج، كان الهدف منها هو حراسة قافلة الحاج أثناء حجهم (٥)، وفي كثير من الأحيان كان يقود قافلة الحاج أحد الأمراء، وتضم مجموعة من الماليك يتزايد عددها

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٢٥.

<sup>(</sup>٢) ابن الصيرف، نزهة النفوس والأبدان، ج ٤، ص ١٤٢.

<sup>(</sup>٣) أحد عمر الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية ( ٣٠١ - ٤٨٧هـ)، عهادة شنون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، الملكة العربية السعودية، د.ت.، ص ١١٤.

<sup>(</sup>٤) عمد عبد اللطيف هريدى، شنون الحرمين الشريفين في العهد العثاني في ضوء الوثانق التركية العثانية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، القاهرة، • ١٤١هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢١.

<sup>(</sup>٥) ك. منوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج١، ص ١٩٩٠.

ف حالة الضرورة(١١)، مما منح سلاطين المهاليك والركب المصرى مكانة كبيرة فى العالم الإسلامى، فكان أكبر ركب للحج وأكثرها تنظيمًا وأعظمها أبهة(٢).

كما أن نفوذ سلاطين الماليك فى بلاد الحجاز، كان يشمل إلى جانب النفوذ السياسى جانبًا دينيًا، يتمثل فى ذكر أسمائهم والدعاء لهم على منابر مكة والمدينة، وذلك لحاجتهم إلى سند شرعى يستند إليه حكمهم، وكان أهم رموز تأكيد ذلك النفوذ هو الدعاء لهم على منابر الحرمين الشريفين (٢)، حيث كان للخطبة فى المواسم والتى تتم على أساس دينى، الكثير من الأهداف والأغراض السياسية والدعائية لسلاطين الماليك (١).

ومما يدل على ما وصل إليه نفوذ سلاطين الجراكسة فى بلاد الحجاز، أنه فى عصر السلطان قايتباى(٥)، أرسل الشاه حسن الطويل سلطان العراقين وهو فى أوج قوته،

<sup>(</sup>۱) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر الماليك الجراكسة، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الأداب، جامعة عين شمس، إشراف أ.د/ حسن حبشي، ديسمبر ١٩٦٩م، ص ٧٣.

 <sup>(</sup>٢) كان ركب الحبح المصرى فى العصر المملوكى أكثر ركبان الحبح انتظامًا وعناية وأمنًا للأسباب الآتية:
 ١ - إن بلاد الحجاز كانت تابعة من الناحية السياسية للدولة المملوكية.

٢- قيام سلاطين المهاليك بالعناية بطريق الحبج المصرى وذلك بتوفير سبل الراحة للحجاج أثناء قطعه
 وحمايتهم من اعتداءات الطريق وإرسال المبرات إلى أهل الحرمين من أوقافها في مصر وقيامهم بإرسال
 المحمل الذي يحمل كسوة الكعبة المشرفة.

٣- التعاق قوافل الحجيج الأخرى وخاصة من بلاد المغرب والشام (طريق غزة - العقبة) بقافلة الحج المصرى لتضمن وصولها سالمة إلى الحرمين الشريفين كها أن حجاج الشرق فى بعض الأحيان كانوا يأتون إلى مصر ليسيروا مع قافلة الحج المصرى إلى الحرمين الشريفين وفى السنوات التى يخرج فيها للحج أحد السلاطين - قايتباى هو الوحيد من سلاطين الجراكسة الذى قام بالحج - أو إحدى زوجاته وكذلك أحد كبار أمراء المهاليك كانت تزداد العناية بركب الحج المصرى سواء من حيث توفير الأقوات والمياه أو الحراسة على طول امتداد الطريق، الأمر الذى كان يستفيد منه عامة الحجاج فيقطعون الطريق إلى مكة المكرمة فى راحة وأمن وطمأنينة. انظر: آمنة حسين عمد على جلال، طرق الحج ومرافقه فى الحجاز فى المكرمة فى راحة وأمن وطمأنينة. انظر: آمنة حسين عمد على جلال، طرق الحج ومرافقه فى الحجاز فى المحصر المملوكى (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ/ ١٥٨٧) رسالة دكتوراه فى التاريخ الإسلامي، إشراف أ. د/ أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالى، المملكة العربية السعودية، ٧٠ ٤ ١هـ/ ١٩٨٧) ص. ١٥٠٥.

<sup>(</sup>٣) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٧٢٤.

<sup>(</sup>٤) سليمان صالح كمال، [مارة الحيج في العصر العباسي ( ١٣٢-٢٤٧هـ)/ ( ٧٤٩-٨٦١م )، رسالة ماجستير في الحضسارة والنظسم الإسسلامية، حسامعة أم القسرى، المملكة العربية السعودية، إشراف د/ السيد محمد أبو العزم داود، ٨٠٤١هـ/ ١٩٨٨م، ص ٧٧.

<sup>(</sup>٥) الأشرف قايتباي: هو قايتباي المحمودي الظاهري الجركسي الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر تسلطن

حملة عسكرية مع قافلة الحج سنة ١٤٧٧هـ/ ١٤٧٣م، ومعها كسوة للكعبة منقوش عليها اسمه (۱)، ودخل الجيش المدينة المتورة، وطلب الخطبة باسم الملك العادل حسن الطويل خادم الحرمين الشريفين، وعندما توجهت الحملة إلى مكة، بعث قضاة المدينة المنورة إلى شريف مكة محمد بن بركات، وأبلغوه بها حدث في المدينة (۱)، فخرج محمد ابن بركات بعسكره إلى بطن مر (۱) لقابلة المحمل قبل دخول مكة، وقبض على أمير المحمل العراقي والقاضي المرافق له وكبار أعيانهم، وقام بإرسال أمير المحمل والقاضي إلى السلطان قايتباي، الذي أمر بحبسها في أبراج القلعة، إلى أن شفع فيها الأمير يشبك المدودار، حيث أطلق السلطان سراحها، ولم يتدخل أحد بعد ذلك في سلطان الدولة المملوكية على بلاد الحجاز (۱).

في يوم ٦ رجب سنة ١٨٧هـ/ ١٤٦٧م، أنشأ برج الفنار بالإسكندرية والقبة المعظمة والمقصورة الحديد المسبك على قبر النبي ﷺ ورخم مسجده وجدد عهارة الجامع الأموى بدمشق بعد حريقه وأنشأ العديد من المنشآت العلمية في مصر والشام والحجاز وتوفي يوم السبت ١١ ذى القعدة سنة ١٩٠١هـ/ ١٤٥٩م فكانت مدته تسمًا وعشرين سنة وأربعة شهور واحد وعشرين يومًا. انظر: الملطى، نزهة الأساطين، ص ١٤٦- ١٤٤٦ انظر أيضًا: عبد الوازق القرموط، العلاقات المصرية العثمانية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢١.

<sup>(</sup>۱) عن مطالبة بعض حكام المسلمين بكسوة الكعبة ذكر أنه بعد وفاة تيمور لنك سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م تولى ابته شاه رخ الحكم والذي بدأ صفحة جديدة في العلاقات مع دولة سلاطين الماليك، فأرسل إلى السلطان برسباى سنة ١٨٣٨هـ/ ١٤٢٩م يطلب السياح له بكسوة الكعبة إلا أنه في البداية لم يتلق جوابًا على طلبه جيث خشى برسباى من أن يكون وراء طلب شاه رخ أطباع يريد تحقيقها في الشام والحجاز لكنه لم ييأس فتكررت مطالبته بكسوة الكعبة وأخيرًا أجاب برسباى على شاه رخ بأن "العادة جرت أن لا يكسو الكعبة إلا ملوك مصر والعادة قد اعتبرت من الشرع في مواقع " وعندما تولى جقمق السلطنة بعد برسباى وافق سنة ١٤٥٨هـ/ ١٤٤٤م على السياح لشاه رخ بكسوة الكعبة بشروط أن تكون الكسوة من الداخل أي تحت كسوة السلطان إلا أن السلطان جقمق نتيجة استياء المسلمين أمر ينزع كسوه رخ سنة ١٥٥هـ/ ١٤٥٢م وبقيت كسوة السلطان. انظر: المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ١٣٢٢ انظر أيضًا: سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والماليك في مصر والشام، ص ٢٧٩ - ٢٨٣٠

<sup>(</sup>٢) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكية في مصر والشام، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، إشراف أ.د/ حسن حبشى، ١٩٧٣م، ص ٢٢٠.

<sup>(</sup>٣) مر: واد من أودية الحجاز إلى الشهال من مكة على طريق حجاج مصر والشام يسمى عند أهل الحجاز بوادى فاطمة. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٦٤، ٢٦٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٤، ٢٦٥، ١٦٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٠.

<sup>(</sup>٤) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغوري، ص ٢٢١.

إن دل هذا على شيء، فإنها يدل على قدر النفوذ السياسى الكبير لسلاطين المهاليك الجراكسة على الحرمين بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص، حتى أنهم دافعوا عن ذلك النفوذ فى وجه كل من فكر أن يكون له أى وجود ولو رمزى فى تلك الأماكن.

وكان لأمير الحج المصرى مكانة عظيمة، حيث يعيينه السلطان المملوكى من كبار الأمراء (١)، كما كان يقره السلطان فى بعض الأحيان فى تعيين أمراء الحرمين الشريفين (٢)، فضلا عن أنهم كانوا عينًا للسلطان المملوكى، ينقل إليه بصفة منتظمة ما يدور من أحداث، حتى يتمكن السلطان عن طريقهم من مواجهتها قبل استفحالها (٢).

وفى بعض الأحيان كان يشعر أمراء الحاج المصرى، بأنهم أعلى قدرًا من أمراء المدينة، فيقومون بفرض بعض الأموال على أهلها سواء للخزانة أو لأنفسهم، مما أثقل على أهل المدينة (1)، وقد نبه بعض السلاطين عليهم لتجنب تلك الأعمال، ومن ذلك أنه في شوال سنة ٤٤٨ه خرج محمل الحاج في صحبة الأمير تمر باى رأس نوبة النوب (0)، وأمير الأول سودون قراقاش، وكان السلطان جقمق قد رسم لها أن لا يكلفا كل من أمير مكة وأمير المدينة وأمير ينبع بدرهم واحد، وكتب لهما بذلك وذكر ابن الصيرفى عن ذلك "وما أحسن هذا لوعملوا به ودام "(1).

٤٩

المدينة المنورة

<sup>(</sup>۱) أمير الحج: يسمى أمير الركب وهو الذى يقوم بالسفر مع ركب الحجاج من مصر إلى البلاد العربية ويقود الركب ويحافظ على الحجاج في سفرهم من قطاع الطرق ويعمل على سلامتهم حتى عودتهم إلى بلادهم. انظر: البقلى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٤٨. وكان تعين أمير الحج في العصر المملوكي يتم ليلة المولد النبوى فإذا ما اجتمع الأمراء لدى السلطان في هذه الليلة ليسمعوا القرآن الكريم وقصة المولد النبوى الشريف وحان وقت إدارة الشراب الحلال بدأ الساقى بالسلطان ليشرب من الكوب بضع وشفات قليلة ثم يأمر بالباقى إلى من يريده أميرًا للحج فإذا ما أعطى الكوب عرف أنه أمير الحج المختار وشفات قليلة ثم يأمر بالباقى إلى من يريده أميرًا للحج فإذا ما أعطى الكوب عرف أنه أمير الحج المختار فذا العام، فيقوم أمير الحج للسلطان شاكرًا، ثم تنهال عليه التهنئة من جميع الحاضرين ومنذ ساعتئذ يعد عدته للسفر دون أن يكون له قانون معين يسير عليه ويعينه على أداء عمله أصحابه وعبوه فيقدمون له المال والغلال والهدايا، وكان منصب أمير الحج مطمعًا وبحالا للتنافس والتناحر عليه. انظر: إبراهيم حلمى، المحمل، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت. ص ٩٥.

<sup>(</sup>٢) سليمان صالح كمال، إمارة الحج، ص ٥٩.

<sup>(</sup>٣) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغوري، ص ٢٢١.

<sup>(</sup>٤) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٠٠.

<sup>(</sup>٥) رأس نوية النوب: لقب كمن يتحدث عن عاليك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم ويجمع على رؤوس نوب. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٥.

<sup>(</sup>٦) ابن الصيرف، نزهة النقوس والأبدان، ج ٤، ص ٢١٢، ٢١٣.

كذلك كان للعامل الاقتصادى دوره فى توطيد النفوذ المملوكى فى بلاد الحجاز، وتمثل هذا العامل فى التزامات سلاطين الجراكسة تجاه أهل المدينة؛ حيث كانوا يرسلون الكثير من الصدقات والهبات، كما أوقفوا العديد من الأوقاف عليهم، كل ذلك جعل أهلها بوجه عام وأمراء الأشراف بوجه خاص يخلصون للسلاطين ويدعون لهم، كما أنها ساعدت سلاطين الجراكسة على تثبيت نفوذهم والظهور بمظهر التقوى والورع أمام جميع المسلمين فى العالم الإسلامى(۱)، فكانت رمزًا لرضا السلطان، وتستخدم فى الغالب أثناء تعيين الموظفين المرموقين أو خلال موسم الحج(۱).

ولعبت الرشوة دورًا كبيرًا في علاقة دولة الماليك الجراكسة بأمراء الحجاز (٣) حيث صارت الرشوة عاملًا مها من عوامل العزل والتولية، فبعد أن كان قبول الهدية من أمير مكة يعتبر تفضلًا من السلطان المملوكي وتنازلًا، صارت الأموال في أيام الماليك الجراكسة شرطًا مها من شروط التولية وسببًا من أسباب العزل (١٤)، فبها حصل الحسن ابن عجلان أمير مكة سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م، على مرسوم بمشاركة ابنه أحمد لأخيه بركات في الحكم، وأن يلقب الحسن بنائب السلطنة بالأقطار الحجازية (٥)، وبها تولى خشرم بن دوغان (١١ الإمارة في المدينة في شوال سنة ٨١٩هـ/ ١٤٢٥م، بعدما تعهد

<sup>(</sup>١) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، الرياض، ١٦ ١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٠٠٠.

<sup>(</sup>٢) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٨.

<sup>(</sup>٣) اكتسبت الرشوة صفة الشرعية والرسمية زمن الجراكسة؛ حيث ذكر المقريزى عن السلطان الظاهر برقوق ما نصه: "وحدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل فلا يكاديل أحد وظيفة ولا عملا إلا بهال فترقى الأعمال الجليلة والرتب السنية الأرذال " ولعل بما يعطى دليلا آخر على تفشى الرشوة والجهر بها زمن السلطان برقوق ما تضمته رسالة تيمور لنك له فى ربيع الآخر سنة ٩٩٦هـ/ ١٣٩٤م وجاء فيها "... وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام وضيعتم جميع الآنام وأخذتم أموال الأيتام وقبلتم الرشوة من الحكام " انظر: المقريزى، السلوك، ج ٣، ص ٢٦٨٤ انظر أيضًا: أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة زمن سلاطين المهاليك ( دراسة عن الرشوة )، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ٢١، ٣٢.

<sup>(</sup>٤) أحد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة، ص ٦٦.

<sup>(</sup>٥) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة الماليك الثانية، ص ١٥٩.

<sup>(</sup>٦) خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب تولى إمارة المدينة في أواخر سنة ٨٢٩هـ وقتل سنة ٨٣٢هـ انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٩ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٢٠٤ المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٨١٥.

بتقديم خسة آلاف دينار للسلطان المملوكى لقاء توليته الإمارة (١٠٠٠ إلا أنه لم يستطع الوفاء، فأمر السلطان الأشرف برسباى بالقبض عليه، وأقام بدلًا منه مانع بن على (٢٠) وهو بذلك يكون قد اشترى الإمارة، وكانت هذه أول مرة تتحول فيها إمارة المدينة إلى وظيفة تعطى مقابل التعهد بدفع مبلغ من المال (٢٠)، حيث ترتب عليها أن تولى الإمارة الأثرياء من الأشراف الذين عملوا على إرضاء السلاطين ببذل المال الوفير وتقديم الهدايا (٤٠).

ومثل هذه الحالات عما يسيء إلى أهل المدينة، حيث كان بعض السلاطين يتعجل في إصدار مراسم تعيين الأمراء في المدينة، بمشاورة من مستشاريه، ودون معرفة بالظروف والصراعات الدائرة فيها، فضلًا عن أن هذه المراسم كانت تسهم في تأجيج الصراعات بين أمراء المدينة (٥).

ولذلك استمرت إمارة المدينة المنورة مضطربة بين أمراء الأشراف، فخلافاتهم على الإمارة لم تنته، وبما يعجب له أن سلاطين الماليك في مصر، أصبحت إمارة المدينة بالنسبة إليهم تأخذ ببذل المال للسلطان المملوكي، وهذه الظاهرة انتشرت في عصر سلاطين الجراكسة بصورة لافتة للنظر، فأصبح كل من يعطى الأموال للسلطان يستطيع أن يأخذ المنصب الذي يريده (۱۱)، وسواء أكانت تلك السياسة من جانب أمراء الأشراف أم من جانب سلاطين الماليك، فإنها لا تتناسب مع الشرف العظيم للمدينة المنورة، فكان المفروض على كل منها أن يحافظ على هذا المقام، وعلى السلطان المملوكي أن يتابع أخبار المدينة المنورة، نظرًا لأهميتها عند المسلمين، ويعين من يراه جديرًا بتولية شرف هذه الإمارة، بدون تدخل للمال في ذلك التعيين، ولكن الذي كان يحدث في بعض الأحيان على العكس من ذلك.

<sup>(</sup>۱) ابن تغری، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٢٢، ١٢٣.

<sup>(</sup>٢) أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة، ص ٦٥.

<sup>(</sup>٣) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٩٢.

<sup>(</sup>٤) أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطَّلة، ص ٦٦.

<sup>(</sup>٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٤١؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٥٠.

<sup>(</sup>٦) على بن حسين السليان، العلاقات الحجازية المصرية، ص٥٦.

كما أن بعض أمراء الأشراف في صراعهم على إمارة المدينة اتخذ نوعًا جديدًا من الصراع، كالسعى لدى بعض من المقربين عند السلطان الملوكي أو ما يمكن أن نطلق عليه طريقًا دبلوماسيًا، حيث كانوا يتنافسون لاسترضاء السلطان المملوكي في مصر كي يستصدروا مرسومًا منه بتعيين أحدهم أميرًا أو عزل الأمير الموجود في الإمارة (١١) وسواء أكان تدخل سلاطين الماليك للإصلاح أم العزل أم التولية، فقد كان الهدف الأول والأخير هو الحفاظ على المصالح الاقتصادية والسياسية والهيبة الدينية، وأما عن الأمراء فلم يكونوا مهمين بالنسبة إلى سلاطين الماليك، إلا بقدر ما كانوا يدفعون لهم من أموال (١٢).

من خلال ما سبق يمكن القول إن العلاقات بين أمراء المدينة وسلاطين الجراكسة، كانت قائمة على أساس الوضع الاقتصادى والاستقرار الداخلى، بحيث يمكن القول إنه متى توفر الاستقرار وعم الرخاء الاقتصادى أصبحت المدينة إمارة هادئة، وعندما يتزعزع الوضع الداخلى، نجد أن أشراف المدينة يسارعون إلى الاستنجاد بسلاطين الماليك ضد بعضهم البعض، فالوضع الاقتصادى هو الذى يحكم قوة علاقة المدينة بمصر (٦).

إن السلطنة المملوكية استطاعت أن تبقى على نفوذها على الحرمين الشريفين بصفة عامة والمدينة المنورة بصفة خاصة، من خلال اتباع سياسة العزل والتنصيب بين الأشراف، فلا تبقى أحدهم فى الولاية مدة طويلة – إلا فى ظروف نادرة – حتى لا تعطى لهم فرصة لتقوية مركزهم وتثبيت أقدامهم، ووجد رجال السلطان فى عمليات العزل والتنصيب موردًا مها من موارد الكسب، إذ أن الشريف المعزول سرعان ما يبذل أقصى ما فى وسعه بكل الطرق والوسائل العادية وغيرها ليعود إلى الإمارة.

كما اتبع المهاليك سياسة الازدواج في الحكم، فكانت تعهد بالإمارة لاثنين من الأمراء، لتجعل كل فرد رقيبًا على الآخر ولإبقاء النزاع والفتنة بينهم، حتى لا تتحد

<sup>(</sup>١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٩.

<sup>(</sup>٢) على بن حسين السليان، العلاقات الحجازية المصرية، ص٥٧.

<sup>(</sup>٣) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٨١.

كلمتهم تحت زعامة واحدة تصبح خطرًا يهدد نفوذ السلطنة في بلاد الحجاز، وفي بعض الأحيان كانت تعاملهم معاملة طيبة، فقد تحتاج إلى تنصيبهم في المستقبل(١٠).

خلاصة القول إنه تحقق لسلاطين الجراكسة نفوذ سياسى قوى على المدينة المنورة، حيث كان هناك شعور واحد عند كل من السلطان المملوكي وأمراء المدينة، أنه لا إمارة لمن لم تعينه السلطنة بالقاهرة، ولا أمير إلا من أسرة الأشراف، سواء أكان من الإخوة أم الأعهام أم غيرهم.

#### ثانيًا \_ أمراء المدينة المنورة ومراسم تولية الإمارة

تولى إمارة المدينة المنورة خلال عصر سلاطين الماليك الجراكسة عدد من أمراء الأشراف، كانت لهم مواقفهم تجاه مراسم تولية الإمارة (٢٠)، وتردد على مصر مركز السلطنة المملوكية، كثير من أمراء الأشراف سعيًا وراء تولية الإمارة، أو رغبة فى الاستمرار فى ولايتها (٢٠)، وفى كثير من الأوقات كانت سلطة سلاطين الجراكسة، على أمراء المدينة سلطة اسمية؛ حيث كانوا كثيرًا ما يصدرون قرارات التولية دون معرفة بأمورها، وقد تسببت مثل هذه القرارات فى كثير من الحروب والفتن بين الأمراء بها (١٠)، فمع بداية عصر سلاطين الجراكسة وقع بسببها صراع بين كل من نعير بن منصور بن جماز (٥٠)، وجماز بن هبة (٢٠)، حيث سارع جماز بالسفر إلى السلطان برقوق، الذى أصدر

<sup>(</sup>۱) سليمان عطية، سياسة المهاليك في البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباى ١٢٥٠-١٤٣٨م، وسالة دكتوراه، إشراف دكتور/ محمد مصطفى زيادة، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣٣١، ٣٣٢.

<sup>(</sup>٢) انظر نسخة تقليد بإمارة المدينة المنورة ملحق رقم ٤.

<sup>(</sup>٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص٥٦.

<sup>(</sup>٤) السخاوى، التحقة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٥٨؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٤٨.

<sup>(</sup>٥) هو نعير بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن الحسين بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين. انظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧.

<sup>(</sup>٦) هو جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن

مرسومًا بتعيينه أميرًا على المدينة سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، فلما علم نعير بخبر المرسوم، المتنع عن تسليم الإمارة لجماز (١)، إلا أن هذا الصراع قد انتهى بموت نعير (٢).

لكن الأمر لم ينته عند ذلك ففى سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م اشترك مع جماز بن هبة فى الإمارة، ابن عم أبيه محمد بن عطية بن منصور، حيث استطاع محمد بن عطية استصدار مرسوم من السلطان برقوق بإشراكه فى الإمارة، وأذعن جماز في أول الأمر، ولكنه أخذ يكيد له حتى أحاط به وطرده من إمارة المدينة، فذهب محمد بن عطية إلى السلطان بمصر وشكا له جماز، فأصدر السلطان مرسومًا بعزل جماز بن هبة، وتعيين محمد بن عطية فى سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م، وحتى يمنع السلطان الأمير جمازًا من الاعتراض، أرسل محمدًا مع الركب المصرى، وأخرج جمازًا من المدينة، فكانت الإمارة لمحمد بن عطية (٣)، لكن جمازًا عاد للإمارة بعد بضعة شهور لوفاة الأمير محمد، وأرسل للسلطان للسلطان بسترضيه ويستصدر منه مرسومًا بتعيينه (١٠).

ذكر المقريزى أن الأمير جمازًا بن هبة، تولى إمارة المدينة المنورة ثلاث مرات آخرها سنة ٥٠٨هـ/ ١٤٠٩م، وقتل في جمادى الآخرة سنة ١٨١٨هـ/ ١٤٠٩م، وكانت وكانت جماز للإمارة متقطعة، سعى خلالها أمراء آخرون إلى استصدار مرسوم من السلطان المملوكي بانتزاعها منه أو الاشتراك معه، ووقع بينه وبين بعضهم قتال (٢٠).

قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسيني. انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ١٦٤؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧.

<sup>(</sup>١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٢.

<sup>(</sup>٢) عارف أحمد عبد الغني، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٨٧.

<sup>(</sup>٣) ابن الصيرف، نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ١٢٤؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٢، ٢٧٢.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٤١؛ ابن الصيرف، نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ١٣٨.

<sup>(</sup>٥) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٤٧.

<sup>(</sup>٦) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٣.

وخلال هذه الفترة دخلت المدينة المنورة طورًا جديدًا، ففي سنة ١٨هـ/ ١٤٥٨ فوض السلطان الناصر فرج الأمير الحسن بن عجلان (١٠ أمير مكة المكرمة سلطنة الحجاز بأسره مكة والمدينة وينبع وخليص (٢٠ والصفراء (٢٠) وأعهالهم (١٤٠)، لذلك عندما كثرت الشكوى من جهاز نتيجة لما قام به من فرض المكوس والجبايات ومصادرة بعض الأغنياء، قرر الحسن بن عجلان عزله وتولية ثابت بن نعير (٥٠)، وأرسل إلى السلطان المملوكي لاستصدار مرسوم بذلك، فاستجاب السلطان وأرسل له مرسومًا بتفويضه بتعيين أمير المدينة، وفقًا لصلاحياته التي منحه السلطان إياها، لكن ثابت توفى، فقرر الحسن بن عجلان تعيين شقيقه عجلان بن نعير (٢٠ أميرًا على المدينة في آخر ربيع الثاني سنة ١٨٥هـ/ ١٤٠٨م.)

<sup>(</sup>۱) هو حسن بن عجلان بن رميئة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن ابن عبد الكريم بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى المالكى يلقب بدر الدين. انظر: الفاسى، العقد الثمين، الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى المالكى يلقب بدر الدين. انظر: الفاسى، العقد الثمين، ح ٤، ص ٢٨٠ ابن قهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٣٨٥.

<sup>(</sup>٢) خليص: حصن بين مكة والمدينة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٧. وكها عرف " معجم البلدان " خليص بأنها حصن كذلك فعل " تاج العروس شرح القاموس " فقال: ( خليص كزبير حصن بين عسفان وقديد على ثلاث مراحل من مكة شرفها الله تعالى " وتعريف " تاج العروس " وإن يكن غير كاف ولا واف بالمراد فإنه مع ذلك أدق نوعًا ما من تعريف " معجم البلدان ".

<sup>(</sup>٣) الصفراء: قرية بين المدينة وينبع. انظر: ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢٢٤.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧٧؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٧٤.

<sup>(</sup>٥) هو ثابت بن نعير بن جماز بن منصور بن جماز بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود ابن قاسم بن عبيد الله بن الحسين بن زين الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين عن الله بن أبى طالب الحسينى عز الدين أبو قيس. انظر: السخاوى، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ١٩٥ النصوء اللامع، ج ١، ص ١٥٠ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٧٠ الدليل الشافعي، ج ١، ص ٢٣١.

<sup>(</sup>٦) هو عجلان بن نعير بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا ابن داود بن قاسم بن عبدالله بن عبيدالله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ح ١٥، ص ١٥٠؛ المضوء اللامم، ج ٥، ص ٢٥.

<sup>(</sup>٧) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ٤٣٩.

إلا أن الأمور لم تستمر على حالها، حيث عاد إصدار مرسوم تولية أمير المدينة للسلطان المملوكي دون وساطة من أمير مكة، وذلك أن الأمير سليهان بن هبة بن جماز (۱٬۰) كان أميرًا على المدينة ونائبًا للحسن بن عجلان أمير الحجاز سنة ١٨٥هـ/ ١٤١٢م (٢٠)، لكنه أخذ يسيء لأهل المدينة ويستولى على أموالهم، وتوالت الشكاوي حتى بلغت السلطان المؤيد شيخ في مصر، الذي أمر أمير الركب المصرى بالقبض على الأمير سليهان وإحضاره إلى القاهرة (٢٠). فقام أمير الحاج المصرى بتعيين ابن أخيه غرير بن هيازع (١٠)، بدلًا منه، وذلك في سنة ١٨٥هـ/ ١٤١٢م (٥٠)، فكان ذلك نهاية لنفوذ حسن بن عجلان في تولية أمراء المدينة، حيث استعادت المدينة المتورة استقلالها عن مكة، وارتبطت بالقاهرة ارتباطًا مباشرًا (١٠).

ومن الجدير بالذكر أن تولية أمراء الأشراف لإمارة المدينة المنورة، لم يكن مستقرًا على حال، فحينًا تصدر مراسم التولية من السلطان المملوكي مباشرة، وحينًا آخر تكون بمعرفة أمراء مكة نيابة عن السلطان المملوكي، لذلك لم يكن الحال في المدينة مستقرًا طوال الوقت، حيث لم يستقر الحال لغرير بن هيازع فتم عزله، وتولية عجلان بن نعير بتدخل من أمير مكة الحسن بن عجلان عند السلطان المؤيد المملوكي، لكن الأمر لم يستقر لعجلان بن نعير، حيث استطاع غرير بن هيازع، استصدار مرسوم من السلطان بتنصيبه أميرًا على المدينة، وكان موعد تنفيذ هذا المرسوم قدوم الركب المصرى للحج

<sup>(</sup>۱) هو سليان بن هبة بن جاز بن منصور بن جاز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب الحسيني. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٩٧ المقرود اللامع، ج ٣، ص ٢٩٧ المقروزي، السلوك، ج ٤، ص ٢٩٧.

<sup>(</sup>٢) عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المتورة، ص ٢٩٥.

<sup>(</sup>٣) الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٠ ٤٤؛ السخاوي، التحفة اللطيفة ج ٢، ص ١٨٤.

<sup>(</sup>٤) هو غرير بن هيازع بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن داود الحسين ابن قاسم بن عبد الله بن الحسين بن إلى الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: السخاوى، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ١٩٥ المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ١٩٧ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٦٢.

<sup>(</sup>٥) السخاوي، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ٢٢٤.

<sup>(</sup>٦) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٧.

فى ذى الحجة سنة ٨٢١هـ/ ١٤ م، حيث كان أمير الركب المصرى هو من يقوم بمراسم التقليد، فيقرأ المرسوم السلطانى على منبر المسجد النبوى الشريف، ويلبس الخلعة للأمير الجديد (١) واستمر الحال على ذلك ما بين عزل أمير وتولية أمير، بل إن بعضهم أخذ إمارة المدينة اغتصابًا لحين ورود مرسوم التولية، فحدث نتيجة لذلك كثير من الفتن والصراعات.

بل إن بعض أمراء الأشراف في سبيل استصدار مرسوم بتولى إمارة المدينة المنورة، تعهد بتقديم مبلغ من المال للسلطان المملوكي، فقد حاول خشرم بن دوغان (٢٠ خلال إقامته في القاهرة استصدار مرسوم من السلطان لتولى الإمارة إلى أن تقلدها سنة الامدر ١٤٢٥م، فيذكر المؤرخون أن خشرم تعهد بتقديم خسة آلاف دينار للسلطان لقاء توليته الإمارة، وهذه أول مرة تتحول فيها إمارة المدينة المنورة إلى التزام ووظيفة تعطى مقابل التعهد بدفع المال، وكان هذا الأسلوب غالبًا ما كان يؤذي من تعهد به (٣)، وكثيرًا ما كان هؤلاء الأمراء في تلك الحالة لا يستطيعون الوفاء بها التزموا به تجاه السلطة المملوكية، فقد عجز خشرم نتيجة لوقوع الصراع بينه وبين عجلان بن نعيرعن الوفاء بها التزم به للسلطان، لذلك أرسل السلطان برسباى حملة للقبض عليه، وقد ذكر السخاوي وابن تغرى بردى أن ذلك كان في برسباى حملة للقبض عليه، وقد ذكر السخاوي وابن تغرى بردى أن ذلك كان في يتولى حفظ الأمن واستقرار الأمور في المدينة لفترة، ثم يرسل إلى السلطان طالبًا إصدار مرسوم سلطاني بتوليته الإمارة، ويستمر كذلك إلى أن يأتي مرسوم السلطان بتوليته هو أو تولية غيره من الأمراء الأشراف.

<sup>(</sup>۱) السخاوى، التحقة اللطيفة، ج ٣، ص ١٧٧؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٧.

<sup>(</sup>۲) و خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن حسين بن مهنا بن حسين بن مهنا بن عبد الله بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسيني. انظر: السخاوى، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ٢٠٤.

<sup>(</sup>٣) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٢٧؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٢٢، ١٢٣؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٩٢.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٣١٩؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣١١.

واتخذ بعض أمراء الأشراف السعى لدى بعض من المقربين عند السلطان المملوكى للتوسط لديه لاستصدار مرسوم لهم بتولى الإمارة، وذلك لأنهم وجدوا أن هذا الطريق في بعض الأحيان هو الطريق الموصل إلى الإمارة، دون الدخول في صراعات مع الأمراء الآخرين. سلك هذا الطريق الأمير ضيغم بن خشرم (۱۱)، فهو من وجهة نظره الطريق الأنسب لتولى الإمارة، حيث رحل إلى مصر ووسط الوسطاء إلى السلطان المملوكي، واستطاع بعد سنتين أن يستصدر مرسومًا بعزل زهير بن سليان (۱۲) وتوليته - ضيغم بن خشرم - مكانه، وكان وصول هذا المرسوم إلى المدينة في شهر شوال سنة ابن سليان سليان سلك نفس الطريق أيضًا، حيث وسط بعض حاشية السلطان المؤيدين له في مصر، حتى يشفعوا له عند السلطان الظاهر خشقدم، فيا لبث السلطان أن أصدر مرسومه أواخر محرم سنة ١٤٦٥م بعزل ضيغم بن خشرم، وإعادة الأمير زهير إلى الإمارة "كل الإمارة").

هذا كان حال إمارة المدينة المنورة في عصر سلاطين الماليك الجراكسة، حيث يتم تولى الإمارة، إما مباشرة من السلطان المملوكي في القاهرة، أما بتفويض من السلطان المملوكي لأمراء مكة، ففي كثير من الأوقات فوض السلطان المملوكي أمراء مكة سلطنة الحجاز، ومنها إمارة المدينة المنورة، وفي أحيان أخرى كان أحد الأشراف يتولى أمور المدينة، ويرسل إلى القاهرة لطلب مرسوم التولية من السلطان المملوكي.

<sup>(</sup>۱) هو ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن الحسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن الحسين بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٩٧٥.

<sup>(</sup>٢) هو زهير بن سليان بن حبة بن جاز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن عبد الله ابن الحسين بن زين الحسين بن جعفر بن عبد الله ابن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسيني. انظر: السخاوى، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٥٨٠ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٦٤..

<sup>(</sup>٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ٢؛ التحقة اللطيقة، ج ٢، ص ٨٥.

## ثالثًا \_ العلاقات السياسية بين المدينة المنورة ومكة المكرمة

حرصت دولة سلاطين الجراكسة على وضع الحجاز كله تحت قيادة واحدة قوية، حتى لا يتعدد الأمراء فيضطرب الأمن. ولما كانت مكة هى أقوى مدن الحجاز، لذلك فوض سلاطين الجراكسة أمير مكة على سلطنة الحجاز، ويوضح ذلك السمهودى عند حديثه عن الحسن بن عجلان أمير مكة بقوله: "اتفق في سنة إحدى عشرة وثهانهائة أن فوض الناصر فرج الحسن بن عجلان الحسنى سلطنة المملكة الحجازية كلها والنظر في إمرة المدينة "(۱)، حتى كان تاريخ المدينة المنورة في ذلك العصر في كثير من فتراته مرتبطًا بتاريخ مكة.

فالمدينة المنورة مع بداية حكم سلاطين الماليك كانت إمارة مستقلة عن مكة يحكمها أمراء من آل مهنا الحسينين (٢)، وحرص أمراء المدينة على إقامة علاقات حسنة مع أمراء مكة من آل عجلان، ذلك لأنه أثناء ولاية ثابت بن نعير بن جماز لإمارة المدينة، زار الأمير حسن بن عجلان المدينة، فاستقبله الأمير ثابت وأكرمه، وكان لهذا الاستقبال أثره الكبير في نفس الأمير حسن، عندما تولى الإشراف على ينبع والمدينة (٢)، ويدل ذلك على أن العلاقات بين مكة والمدينة المنورة، لم تكن في مجملها علاقات خلاف وتنازع وإنها تخللها الكثير من العلاقات الطيبة.

#### \* مكة تفرض نفوذها على المدينة المنورة

كانت الصراعات التي تحدث بين أشراف الأمراء في المدينة للسيطرة على الإمارة، قد أدت إلى ضعف مركز المدينة السياسي في مقابل مركز مكة.

ففي بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي كان جماز بن هبة، قد نجح في استعادة إمارة المدينة سنة ٩٠٨هـ/ ١٤٠٦م، وكان السلطان الناصر فرج قد فوض

<sup>(</sup>١) السمهودي، خلاصة الوناء، ج ١، حوادث سنة ١١٨هـ.

 <sup>(</sup>٢) العينى، عقد الجهان في تاريخ أهل الزمان، ص ٤٢٨؛ انظر أيضًا: عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٥٠.

<sup>(</sup>٣) عمر بن نهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤٢٢.

الحسن بن عجلان أمير مكة فى الإشراف على إمارتى المدينة وينبع، لذلك عندما زادت شكاوى أهل المدينة من جماز، قرر حسن بن عجلان عزله، وإعادة ثابت بن نعير إلى الإمارة، ووافقه السلطان الناصر فرج على ذلك لثقته به، إلا أن الأمير ثابت بن نعير توفى، فقرر حسن بن عجلان تعيين شقيقه عجلان بن نعير أميرًا على المدينة فى آخر ربيع الثانى سنة ١٨٨هـ/ ١٨٥٨م (١٠).

ويوضح المقريزى أنه فى سنة إحدى عشرة وثمانهائة أن حسن بن عجلان، استناب عجلان بن نعير عوضًا عن أخيه ثابت بعد موته، فثار أخوهما جماز، فكتب إليه حسن أخرج بسلام وإلا فأنا قاصدك، فأظهر جماز الطاعة، ثم نهب من حاصل الحرم شيئًا كثيرًا(١٠). فأرسل الحسن إلى المدينة عسكرًا، وصلوا إليها بعد خراب البصرة – على حد تعبير النهروالي – وولى عليها عجلان بن نعير سنة إحدى عشرة وثمانهائة (١٠).

إلا أن الأمير عجلان بن نعير اشتد على أهل المدينة، فعملوا على الحصول على موافقة أمير الركب المصرى الأمير بيسق ())، بأن يوصى أمير الركب الشامى بمساعدتهم فى القبض على عجلان حتى سلم للأمير بيسق، الذى سلمه للأمير حسن بن عجلان الذى شفع له (٥)، وعزل عجلان عن الإمارة (١).

بتعيين عجلان بن نعير أميرًا للمدينة بتفويض الحسن بن عجلان، صارت المدينة تابعة اسميًا لإمارة مكة، فكان يتم ذكر اسم السلطان المملوكي على المنابر أولًا، ثم الأمير حسن بن عجلان، ثم أمير المدينة عجلان بن نعير، وكذلك الدعاء لهم كل يوم بعد صلاة المغرب على سدة المؤذنين، إلا أن الحسن بن عجلان، لم يكن في إمكانه التدخل

<sup>(</sup>١) الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ١٤٣٩ انظر أيضًا: أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٩٠.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، التحفة اللطيَّفة، ج ١، ص ٢٨٨.

<sup>(</sup>٣) النهروالي، محمد بن أحمد بن محمد النهروالي ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢ م، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق د/ على محمد عمر، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ص ٢٠٥٠.

 <sup>(3)</sup> بيسق الشيخى: أمير أخور - كلمة أخور فارسية معناها الإسطيل وأضيفت مرتبة أمير أخور ومهمته إدارة الإسطيلات السلطانية والإشراف عليها وكان يعاونه عدد من أصحاب المراتب الأدنى من أمراء الطبلخانة - الظاهرى برقوق نفى إلى بلاد الروم فى الدولة المؤدية وله آثار بمكة والمدينة، وكان عبًا للمال مع البر والصدقة تأمر على الحاج وتوفى سنة ٢٨٥هـ. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٢، ٢٣.

<sup>(</sup>٥) ذَلك أن الأمير الحسن بن عَجّلان أمير مكة كان متزوجًا بـ اموزة ابنة الأمير عجلان بن نعير.

<sup>(</sup>٦) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٧٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٦، ص ١٠٤.

فى تصرفات أمير المدينة أو مراجعتها، كما أن التعيين في المناصب العليا الأخرى كان يتم من القاهرة مباشرة (١٠).

ويمكن أن نلاحظ من خلال تولى الحسن بن عجلان لسلطنة الحجاز، أنه كان بيده تعيين أمير المدينة، وأن المدينة المنورة كانت تابعة لإمارة مكة، وذلك أمر مخالف لما كان عليه الأمر في بعض الأوقات<sup>(٢)</sup>، حيث كان أمراء مكة يتبعون أمراء المدينة المنورة<sup>(٢)</sup>.

إلا أن الأمر لم يستمر على ذلك، ففى سنة ١٥هـ/ ١٤١٢م تولى إمارة المدينة المنورة الأمير غرير بن هيازع، خلفًا للأمير سليهان بن هبة، وكان تعيينه من السلطان المملوكى بالقاهرة مباشرة دون تدخل لأمير مكة نهاية لسلطة أمير مكة الحسن بن عجلان فى تعيين أمراء المدينة، وبذلك استعادت المدينة استقلالها عن مكة، وارتبطت بالقاهرة مباشرة (١٠).

من خلال تتبع أمراء المدينة في عهد أمير مكة الحسن بن عجلان ومن جاء بعده، نجد أن سلطتهم على المدينة لم تكن سلطة حقيقية، بل إن العديد من الأمراء كانوا يستولون عليها بالقوة، ولم يهب أمير الحجاز لنجدة أمراء المدينة الذين عينوا من قبله، وذلك يبين إلى أي مدى كانت علاقة أمراء مكة بالمدينة المنورة (٥).

واستمرت علاقات أمراء المدينة بأمراء مكة غير مستقرة في كثير من الأوقات، وإن تخللها الود في بعض الفترات، ذلك لأنه عندما تولى ضيغم بن خشرم الإمارة سنة عمد الإمارة سنة عمد الله الود في بعض الفترات، ذلك لأنه عندما تولى ضيغم بن خشر وأمير مكة، غير المدينة على العلاقات الحسنة مع أمير مكة محمد بن بركات، الذي أصبح مقربًا من السلطان قايتباي، فعندما كان محمد بن بركات يزور المدينة كان ضيغم يتحاشى مقابلته، حيث كان يسافر خارج المدينة ويترك نائبه لمقابلة أمير مكة، وكان لذلك أثره في نفس محمد بن بركات.

<sup>(</sup>١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٦.

<sup>(</sup>٢) حيث كانت مكة المكرمة في العصر الأموى تتبع أمراء المدينة المنورة.

<sup>(</sup>٣) عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٩٤.

<sup>(</sup>٤) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٧.

<sup>(</sup>٥) عارف أحمد عبد الغني، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٩٤.

<sup>(</sup>٦) السخاوى، التحقة اللطيفة، بج ٢، ص ٢٥٢.

وعندما وقعت حادثة مقتل القاضى الزكوى بن صالح فى المدينة المنورة سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م (١)، طلب السلطان قايتباى من أمير مكة محمد بن بركات التحقيق فيها (٢)، الذى جاء فى السنة التالية للحادثة بجيش، ولكنه عاد لمكة وترك فى المدينة الجيش فيه السيد مجول بن صخرة الحسنى الينبعى والشريف قسيطل (٣).

واقترح على السلطان عزل الأمير ضيغم وتولية قسيطل بن زهير بن سليان، فجاءت مراسم السلطان بذلك مع ركب الحاج في سنة ٩٨٨هـ/ ١٤٧٨م من الدينة، يتحقق نوعًا ذلك يتضح أنه عندما تكون العلاقات حسنة بين أمراء مكة وأمراء المدينة، يتحقق نوعًا من الاستقرار السياسي في المدينة، أما عندما تحدث الخلافات، والتي يكون من نتيجتها عدم الاستقرار والرغبة من جانب أمير مكة في إحداث تغيير في المدينة بعزل الأمير الذي يضايقه وتعيين آخر مكانه.

كما نلاحظ أن أمير الحجاز وهو أمير مكة محمد بن بركات قد عادت إليه سلطاته مرة ثانية على المدينة المنورة منذ عصر السلطان قايتباى، بل قبل السلطان قايتباى منذ سنة ٩٥٨هـ/ ١٤٥٥م، فأصبح أمير الحرمين والحجاز، ويؤكد ذلك أن أمير مكة أصبح المسئول عن تعيين أمير المدينة، ثم يأتى بعد ذلك المرسوم من السلطان المملوكى في مصر بالتعيين الرسمى (٥).

#### \* زيادة نفوذ أمراء مكة على المدينة المنورة

بعد وفاة أمير المدينة زبيرى بن قيس في رمضان سنة ٨٨٨هـــ/١٤٨٣م، قام

<sup>(</sup>١) كان سبب هذه الحادثة هو أخذ دار لأشراف العباسيين، فجاء أمير الحج المصرى وحاول التحقيق فى الحادثة، ولكن أمير المدينة ضيغم بن خشرم هرب من أمير الركب المصرى فكان أن طلب السلطان من الأمير محمد بن بركات التحقيق.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٨.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٢.

<sup>(</sup>٥) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢١٠.

أمير مكة والحجاز محمد بن بركات، بتعيين ابنه حسن بن زبيرى إلى أن جاء المرسوم السلطاني<sup>(۱)</sup>.

فكانت نتيجة ذلك أن تقلصت سلطات الأمير حسن بن زبيرى، حتى إن أمير مكة ذكر اسمه فى الخطبة بعد السلطان المملوكى، وقبل أمير المدينة (")، فمع أن الحسن ابن زبيرى هو المتصرف الحقيقى فى شئون المدينة، لكنه يخضع لإشراف أمير مكة، فلا يستطيع أن يعين أحدًا فى المناصب المهمة إلا بعد موافقة أمير مكة أو إجازته، فصار بذلك أمير المدينة نائبًا لأمير مكة يذكر اسمه فى الخطب بعد السلطان وأمير مكة، كما تقلص دخله وصارت حصته محدودة من الجبايات وصندوق الصدقة، بينها كان هو المتصرف الوحيد بدخل الإمارة (")، مما دفعه إلى القيام بأمور شنيعة فى المدينة منها سرقة الحرم النبوى الشريف، وذكر أن الذى دفعه إلى ذلك هو الأمير محمد بن بركات بسبب تقلص سلطاته وفقره (1).

وبعد حادثة حسن بن زبيرى هذه وهروبه من المدينة، اختار أهلها أمير مكة محمد ابن بركات أميرًا للمدينة، ولكن السلطان المملوكي أرسل للأمير محمد بن بركات، لاختيار أمير آخر للمدينة (٥) إلا أنه بعد وفاة محمد بن بركات، استطاع الأمير فارس ابن شامان أن يحكم المدينة حكمًا ذاتيًا دون تدخل من أمير مكة (٢)، فقد انشغلت مكة بمشكلاتها الداخلية من حروب بين أولاد محمد بن بركات من أجل السيطرة على ولاية الحجاز (٧).

وفى زمن السلطان الغورى فى سنة ٩١٥هـ/ ٩٠٥م، فوض شريف مكة وأعطاه عدة امتيازات، منها أن يتولى أمر البلاد الحجازية حتى ينبع (٨)، فقام الشريف بركات بن محمد بتعيين الأمير ثابت بن ضيغم بن خشرم أميرًا على المدينة نائبًا عنه.

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٨.

<sup>(</sup>۲) السخاوي، المصدر نفسه ر، ج ١، ص ٤٧٩.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ٢، ص ٩٩٥.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ٤٤٧٩ السمهودي، وفاء الوقا، ج ٢، ص ٥٩، ٥٩١.

<sup>(</sup>٥) السخاوي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٩٢.

<sup>(</sup>٦) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٢٨.

<sup>(</sup>٧) أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج١، ص ٣٠٩.

<sup>(</sup>٨) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغوري، ص ٢٢٣.

كها أنه فى سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م وصل مرسوم من السلطان المملوكى للشريف بركات بن محمد، يطلب فيه من الشريف إرسال اسم من يراه أهلًا لإمارة المدينة بعد معاينة الواقع فى المدينة، وأخذ رأى القضاة، وفى رجب سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م أرسل الشريف بركات ولده السيد أبا نمى والشريف عرارا وقاضى القضاة الشافعى ابن ظهيرة للمدينة، فاجتمعوا واتفق رأيهم على إمارة ثابت بن ضيغم، فولوه وعادوا بعدها لمكة (۱).

وفى سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م وبتفويض من السلطان الغورى، أصبح شريف مكة صاحب الأمر والنهى في البلاد الحجازية (٢).

وظلت المدينة المنورة تابعة لمكة حتى نهاية العصر المملوكي سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م، حيث أرسل أمير مكة إلى السلطان العثهاني سليم الأول، مفاتيح الحرمين الشريفين في دلالة على الولاء للعثمانيين (٢٠).

من خلال ما تقدم يتبين كيف كان أمراء مكة والمدينة يتنازعون أمر ولاية المدينة، مما ساعد في الكثير من الأوقات على عدم استقرار الأمور في بلاد الحجاز، وقد سهل ذلك لسلاطين الماليك نشر نفوذهم في تلك البلاد، ومع ذلك يمكن القول إنه رغم خلافات أشراف المدينة المنورة - لكن بالمقارنة بمشكلات مكة وثوراتها - تظهر المدينة بصورة هادئة ومطمئنة أكثر من مكة.

<sup>(</sup>١) عارف أحمد عبد الغني، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٣٠.

<sup>(</sup>٢) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغوري، ص ٢٢٣.

<sup>(</sup>٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٩٠؛ أنظر أيضًا: عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٥.

# • الفصل الثاني

# الأحوال الاقتصادية في المدينة المنورة

أولًا \_ النشاط الاقتصادي في المدينة المنورة

ثانيًا \_ السياسة الاقتصادية للماليك الجراكسة

ثالثًا \_ أثر الأوقاف والصدقات على الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة

رابعًا ـ الأزمات الاقتصادية وأثرها على المدينة المنورة

## أولًا \_ النشاط الاقتصادي في المدينة المنورة

كان لطبيعة أرض المدينة المنورة أثره الكبير فى تمتعها بتربة زراعية جيدة، فهى تقع داخل واحة خصبة ومياهها غزيرة بين حرتين (()، حرة واقم فى الشرق وحرة الوبرة فى الغرب، وهناك أيضًا مياه الأمطار، كل ذلك جعل من أرض المدينة جنة خضراء؛ حيث يحيط بأكثرها بساتين ونخيل، كما أن القرى المحيطة بها تتميز بكثرة مزارعها لاعتمادها على مياه الآبار (٢).

#### (١) الزراعــة

أهم ما يميز المدينة المنورة الزراعة، حيث الأراضى فيها قسهان الأول: منها الرمال البيضاء الخالية من الأملاح، تغطيه أشجار النخيل والعنب وأغلبه فى شرق المدينة، وأما القسم الآخر: فهو ذو تربة سوداء يزرع فيه القمح والشعير وغيرها(٣)، وحيث إن معظم أهل المدينة كانوا يعملون فى الزراعة، فمنهم من كان يملك الأراضى الواسعة يزرعها لحسابه أو يزارع عليها غيره أو يؤجرها، وغيرهم لم يكن له أرض يملكها فيزرع

الحرة كما فى معجم ياقوت أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار وهذه الحرات مقذوفات بركانية وقد عدياقوت فى معجمه نحو تسع وعشرين حرة أشهرها حرة واقم، وهى التى تنسب إليها وقعة الحرة.

<sup>(</sup>٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٠.

<sup>(</sup>٣) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، إشراف د/ محمد صبحى عبد الحكيم، د. ت.، ص ١٣٧.

فى أرض غيره مزارعة أو كراء (١١)، وزراعتهم تعتمد على مياه العيون والآبار والأمطار، حيث يمثل المطر المصدر الرئيسي لمياه الري(٢٠).

#### \* مصادر المياه وتنوعها

تميزت المدينة المنورة بتعدد مصادر المياه بها، وقد وصفها ابن حوقل بقوله: "وهى أقل من نصف مكة، وهى سبخة الأرض، وبها نخيل كثيرة، ومياه نخيلها وزرعها من الآبار يسقون بها... وبقربها مزارع فيها ضياع لأهل المدينة..."(").

وعلى ذلك فمياه المدينة أحسن حالًا من مياه مكة، وذلك لكثرة الآبار والعيون بها، وقد حظيت تلك الآبار والعيون على مر العصور بالعناية على يد الخلفاء والسلاطين وغيرهم، وفي العصر المملوكي ازدادت العناية بتوفير مصادر المياه في المدينة المنورة (١٠).

تعددت آبار المدينة المنورة فيذكر ابن حجر في " تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار": "أن الآبار بطيبة نحو عشرين بيرًا "(٠).

المشهور من هذه الآبار سبعة، يذكرها أبو اليمن بن الزين المراغى(١) بقوله:

<sup>(</sup>۱) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 81٤٠هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٩٤.

<sup>(</sup>٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٤٦؛ انظر أيضًا: عمر الفاروق سيد رجب، الحجاز، أرضه وسكانه، دراسة أيكولوجية، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٧٦.

<sup>(</sup>٣) أبن حوقل، محمد بن على بَن حوقل البغدادى ( ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م )، صورة الأرض، القسم الأول، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٦٧م، ص ٢٨.

<sup>(</sup>٤) آمنة حسين محمد على جلال، طرق الحج ومرافقه فى الحجاز فى العصر المملوكى ( ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٨ -١٢٥٨ م.) رسالة دكتوراه فى التاريخ الإسلامى، إشراف أ.د/ أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٣٨.

<sup>(</sup>٥) النابلسي، عبد الغنى إسماعيل النابلسي المتوفى ٢١١٤هـ الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحبجاز، تقديم وإعداد د/ أحمد عبد المجيد هريدي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المضرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٢٦٤.

<sup>(</sup>۲) هو محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر أبو اليمن المراغى (ت ٨١٩هـ) ثولى الخطابة والإمامة والقضاء في المدينة وهو أحد أربعة إخوة ولدوا بالمدينة واسم كل منهم محمد بْن أبي بكر، ويعسرف كل منهم بابن المراغى ترجم له ولإخوته السخاوي. انظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٦١ - ١٦٧.

### فعندتها سبع مقالًا بلا وهن كذا بصة قل بئر حاء مع العهن(١)

# إذا رمت آبار النبسى بطيسة آريس وغرس "رومة" وبضاعة

وكانت لا يزال بعضها موجودًا خلال عصر سلاطين الماليك الجراكسة فبئر آريس (٢) يذكرها ابن النجار بقوله: "وهذه البئر مقابلة مسجد قباء وعندها مزارع ويستقى منها وماؤها عذب "(٢) لكنها تهدمت وبنى بأعلاها مسكن لمن يقوم على الحديقة ويخدم مسجد قباء (١).

لكن العياشى يذكرها فى رحلته إلى المدينة المنورة (٥)، وأن ماءها غزير وقد جعل لمائها نفقًا حتى يتصل ماؤها بالعين الزرقاء (١) مما يدل على أن هذه البئر قد تم إعادة تجديدها.

<sup>(</sup>۱) الحسينى، محمد كبريت بن عبد الله الحسينى ( ۱۰۱۲-۱۰۷۰ هـ)، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، الجزء الأول، تحقيق د/ عائض الردادى، الطبعة الأولى، صفر ۱٤۱۹هـ/ مايو ۱۹۹۸م، ص ۴۷۰؛ النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ۳٦٤.

<sup>(</sup>٢) الأريس فى لغة أهل الشام الفلاح وهو الأكار وجمعه آريسون وآرارسة وآرارس وهما فى الأصل جمعا آريس كسكيت مشددة الراء. انظر: الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٢٦.

آريس: تسمى أيضًا بثر الخاتم لسقوط خاتم الرسول ﷺ فيها وتسمّى أيضًا بثر النبى، وقد تغلب اسم بثر الخاتم على الأسهاء الأخرى. انظر: على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، د. ت.، هامش ص ١٧٢.

<sup>(</sup>٣) ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود بن النجار ٥٧٣-٦٤٧هـ، الـدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تقديم وتحقيق وتعليق/ محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، من تراث الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ١٠٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٠٠٣.

<sup>(</sup>٤) الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ٢٧.

<sup>(</sup>٥) العياشى، أبو سالم عبدالله بن أبى بكر العياشى يعرف بعفيف الدين ولد سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م، وقد قام العياشى، أبو سالم عبدالله بن أبى بكر العياشى يعرف بعفيف الدين ولد سنة ١٠٧٧ هـ ورحلته الثالثة وهى المقصودة عرفت باسم " ماء الموائد "؛ حيث دخل العياشى المدينة يوم الخميس الثانى من عوم سنة ١٠٧٣هـ ومكث بها سبعة أشهر ونصف. انظر: محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة أبى سالم العياشى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الحادى والعشرون، ربيع الثانى- جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ مايو ، ويوليه ٢٠٠٧م.

<sup>(</sup>٦) محمد القاضى، المدينة المنورة في رحلة أبي سالم العياشى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الحادى والعشرون، ربيع الثاني - جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ مايو - يولية ٢٠٠٧م، ص ١٢.

أما بئر غرس<sup>(۱)</sup> فهى تقع بقباء شرق مسجدها، بعد نصف ميل جهة الشهال<sup>(۱)</sup>، وكانت قد خربت فاشتراها الخواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكى شهاب الدين أحمد القوانى<sup>(۱)</sup> وأحاط بها حديقة، وجعل لها درجًا ينزل إليها من داخل الحديقة وخارجها وأنشأ بجانبها مسجدًا وأوقفها سنة ١٤٧٧هـ/ ١٤٧٧م.

بثر رومة تقع في عرضة العقيق الكبرى بالمدينة المنورة (٥)، ويذكر الحسيني أن حول بثر رومة آبار طيبة الماء عجيبة الوضع والبناء (١).

بئر بضاعة تقع غربى بئر حاء إلى جهة الشهال (٧)، وفى العصر المملوكى صارت لشيخ الخدام شاهين الجهالي (٨)، الذى اشتراها واشترى حديقتين إحداهما شهال البئر، والأخرى فى جنوبها وجعلهها واحدة (٩)، وكانت خلال القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى داخل منطقة ينتشر بها مزارع وحقول لأهل المدينة (١٠).

<sup>(</sup>۱) بثر غرس بالغين المعجمة المضمومة والراه الساكنة والسين المهملة وضبطه بعضهم بالتحريك والفتحات كشجر ويقال الأغرس والصواب فتح الغين المعجمة وسكون الراء.وقد أوصى الرسول بيخ فقال: "إذا أنا مست فاغسلوني بسبع قرب من بيرى بير غرس ". انظر: النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٤ وذكر ابن النجار: "وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل وهي في وسط الشجر وقد خربها السيل وطمها وفيها ماء أخضر إلا أنه عذب طيب وريحه الغالب عليه الأجون وذرعتها فكان طولحا سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء وعرضها عشرة أذرع ". انظر: ابن النجار، الدرة الثمينة، ص ٢٠١.

<sup>(</sup>٢) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٤.

<sup>(</sup>٣) آمنة حسين جلال ، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٤٢. واختلفت المصادر والمراجع في لقب الخواجة حسين بن المجواد المحسن الخواجكي شهاب الدين أحمد فقد جاء لقبه عند النابلسي في رحلته ( الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥) ( العاوان ) أما على حافظ في ( فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٧٤ ) فكان لقبه (القازاني) وذكره السمهودي في ( خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٤٠ ) وأحمد ياسين الخياري في ( تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ٢٥٧ ) بلقب ( القاواني ) . .

<sup>(</sup>٤) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٤٠، ١٤١؛ النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥؛ الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٧٧؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ٢٥٧ آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٤٢؛ على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٧٤.

<sup>(</sup>٥) آمنة حسين جلال، طرق الحيج ومرافقه، ص ٢٤١.

<sup>(</sup>٦) الحسيني، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٢٧٥.

<sup>(</sup>٧) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٣؛ انظر أيضًا: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٩٠.

<sup>(</sup>٨) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٦.

<sup>(</sup>٩) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ٢، ص ١٢٩؛ انظر أيضًا: على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص

<sup>(</sup>١٠) - الفيرروز آبادي، المغانم المطابة، ص ٣١.

بئر بصة (١) تقع قريبة من البقيع على طريق قباء (٢) في حديقة كبيرة والحديقة والبئر وقف على الفقراء الزائرين وقفها شيخ الخدام عزيز الدولة ريحان البلاذي الشهابي (٣).

بئر حاء (١) تقع شمالى المدينة بعد سورها شرقى بئر بضاعة (٥) ، و فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى آلت إلى نساء من النويريين من مكة - نسبة إلى أسرة النويرى - وتم وقفها على الفقراء المساكين، فأصبحت تعرف ببئر النويرية، كانت البئر مفتوحة للناس إلى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى (١).

بشر العبهن(٧) قال المطرى: "بشر العبهن معروفة بالعوالي مليحة ومنقورة

<sup>(</sup>۱) بثر بصة بالباء الموحدة وتخفيف الصاد المهملة وقال المجد بتشديدها وهي قريبة من البقيع على طريق قباء بين نخل وقد هدمها السيل وفيها ماء أخضر وقد عمرت بعد ذلك وكان بالقرب منها بئر أصغر منها ويحيط بها حديقة كبيرة وقد بني قاضي المدينة زكى الدين بن أبي الفتح بن صالح - الزكوى بن صالح - عل هذا الأطم منزلًا حسنًا وجعل للبتر الصغرى درجًا ينزل إليها منه وعمر البئر الكبرى، وكان طولها أحد عشر ذراعًا منها ذراعًا منها ذراعًا منها ذراعًا ماه وعرضها تسعة عشر ذراعًا وهي مبنية بالحجارة. ووقع الاختلاف في أيها هي بئر بصة هل هي البئر الكبرى أم هي الصغرى فعرض البئر الصغرى ستة أذرع وهي التي تلي أطم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدرى وقال ابن زبالة في الأطم المذكور "أنه الذي يقال لبئره البصة أطم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدرى والكبرى في حديقة كبيرة محوطة وأن مشايخ المدينة صححوا أن بئر البصة هي الكبرى القبلية. انظر: النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ١٣٦٥ الحسيني، الجواهر الثمينة، أن بئر البصة هي الكبرى القبلية. انظر: النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ١٣٦٥ الحسيني، الجواهر الثمينة، ع ١٠ ص ٢٧٠؛ السمهودي، خلاصة الوفاء ج ٢، ص ٢١٧؛ انظر أيضًا: آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٣٨، ٣٣٩؛ على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٧١.

<sup>(</sup>٢) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥؛ الحسيني، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٢٧٧.

<sup>(</sup>٣) ذكره السمهودي باسم: عزيز الدولة ريحان البديري الشهابي شيخ الخدام. انظر: السمهودي، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٢٧.

<sup>(</sup>٤) وبثر حاء بفتح الباء الموحدة وكسرها وبفتح الراء وضمها وبالمد فيها وبفتحها والقصر من البراح وهى الأرض المنكشفة وقيل جاء على وزن حرف الحجاء في المدينة مستقبلة المسجد، فالاسم مركب فقرب الراء بحسب العامل وأنكر بعضهم إعراب الراء وقال هي مفتوحة على كل حال واختلف في حاهو رجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه البير وهي قريبة من سور المدينة وماؤها عذب. انظر: النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥.

<sup>(</sup>٥) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٢٩.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ٢، ص ١٣٣؛ الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ٣٨؛ انظر أيضًا: على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٦٩.

 <sup>(</sup>٧) اختلف في السابعة من الآيار فقيل هي العهن وهو المشهور عند أهل المدينة، وقيل بئر السقيا، وقيل بئر جل
 ولا تعرف وجهتها فضلًا عن عينها. وعن بئر العهن يذكر السمهودي أنها تسمى أيضًا بئر اليسيرة وأن

فى الجبل، وتقع فى جهات ابن الزمن متولى عهارة المسجد النبوى فى عصر السلطان قايتباى"(١).

وهناك آبار على وفى منطقتها توجد آبار كثيرة عذبة تسقى بها النخيل والخضر الكثيرة (٢٠). كما تم حفر آبار أخرى نتيجة لانتشار التوسع الزراعى فى ضواحى المدينة المختلفة، خاصة منطقة وادى العقيق (٢٠)، حيث تستخدم فى سقى أراضى أهل المدينة ومواشيهم.

أما العيون التى استخدمها أهل المدينة للشرب والزراعة، وتمثل أحد الموارد المائية فمنها عين الأزرق أشهر عيون المدينة أجراها مروان بن الحكم عامل معاوية بن أبى سفيان على المدينة (1) فكانت فاتحة لعصر جديد في حياتهم، حيث نقلتهم من الاستقاء من الآبار إلى الاستقاء من المناهل الفياضة دون تكلفة (۵)، وفي عصر سلاطين الجراكسة أجراها السلطان قايتياى سنة ٦٨٨هـ/ ١٤٨١م على يد ابن الزمن (۱)، واستمرت تلك العين طوال العصور التالية.

كذلك هناك عيون وادى حمزة التى تبلغ قرابة الأربعين عينًا أو يزيد، تقع شرقى المدينة وتسير نحو الغرب نحو وادى حمزة (٧). بالإضافة إلى غيرها مثل عين السلطان وعين الشهداء.

النبي ﷺ نزل عليها وكان اسمها عسرة فسهاها اليسيرة وأنه توضأ منها وبصق فيها وأنها في منازل بني أمية من الأنصار. انظر: الحسيني، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٢٨١.

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٦.

<sup>(</sup>٢) عبد الكريم كريم، بلاد الحجاز في المخطوطات المفربية المدونة خلال القرنين الحادى عشر والثاني عشر للهجرة، عبلة التاريخ العربي، العدد الخامس، ١٠٨ هـ/ ١٩٩٨م، الرباط، المملكة المغربية، ص ١٠٩٨.

<sup>(</sup>٣) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

<sup>(</sup>٤) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٣٠.

<sup>(</sup>٥) عمد عمد حسن بحرية شراب، تاريخ المدينة المنورة في العصر الأموى، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، إشراف د/ على حسنى الخربوطلى، ١٩٨١هـ/ ١٩٨١م، ص ٣٣٨.

<sup>(</sup>٦) دحلان، أحمد زيني دحلان ت ١٢٠٤ هـ خلاصة الكلام في أخبار أمراء البيت الحرام، القاهرة، ١٣٠٥ هـ. ص ٧١.

<sup>(</sup>٧) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٣٣.

إضافة إلى الأمطار التى كانت مصدرًا من مصادر المياه للمدينة المنورة، التى تعتمد عليها فى زراعتها أو تربية الحيوان، حيث كانت تتجمع فى الأودية المختلفة، التى من أهمها وادى قناة ووادى العقيق ووادى مزينيب ووادى مهزوز ووادى القرى ثم بطحان وغيرها(۱).

# \* الستربسة والأراضى الزراعسية

اشتهرت المدينة المنورة بأنها واحة زراعية تتوافر فيها التربة البركانية الخصبة والمياه، هما ساعد على توافر الأراضى الزراعية، فانتشرت الزراعة فى المناطق المحيطة بها فى بطون الأودية والقرى (٢) والواحات التابعة لها (٢)، وتعتبر المنطقة الجنوبية من أجود أراضى المدينة؛ حيث يكثر بها السباخ، وإذا حرثت جيدًا وخصبت فإن إنتاجها ذو جودة عالية، وكذلك المنطقة الشهالية الغربية ووادى العقيق ومنطقة العيون التى تعتبر من أكثر مناطق المدينة موردًا ونخيلًا، وهناك المناطق الشرقية التى تجود أراضيها إذا حرثت وخصبت ووفرت لها المياه (١).

وأبرز الأراضى الزراعية فى المدينة العوالى التى وصفها الفيروزآبادى بقوله: "أنها ضيعة عامرة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال، وذلك أدناها وقيل أبعدها "(٥)، وحدد كل من الفيروزآبادى والسمهودى العوالى بأنه ما كان جنوب المدينة باتجاه مكة ويقابل العوالى فى الجهة الأخرى من المدينة السافلة، وتقع على طريق الشام؛ حيث يوجد بها كثير من الحدائق (٢)، ويحدد الفيروزآبادى أبرز محاصيل العوالى بقوله: "إن جليل شجرها النخيل وتحف بها محاصيل زراعية أخرى كالقرع واللفت والجزر"، وهناك كثير من المزارع

<sup>(</sup>١) عبد الله بن صالح الرقيبة، الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة، ص ١٢٢.

<sup>(</sup>۲) محمد محمود خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز فى عصر دولة المهاليك ( ٦٤٨–٩٢٣هـ/ ١٢٥٠–١٥١٧م)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٧٨.

<sup>(</sup>٣) محمد خلف العناقرة، المرجع نفسه، ص ١٧٨.

<sup>(</sup>٤) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٧.

<sup>(</sup>٥) الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ٢٨٦.

<sup>(</sup>٦) الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص ٢٨٦؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج ٤، ص ٢٦١.

المحيطة بالمدينة والتي يطلق عليها حدائق، وتشتمل كل حديقة أو عدة حدائق على بثر خاصة، بل إن بعضها يسمى باسم البئر الواقع بها، كحديقة بئر آريس التي كانت في زمن الفيروزآبادي لأشراف بني الحسين وحديقة بئر البصة (۱۱)، وحديقة بئر زمزم بالحرة المعروفة ببئر فاطمة نسبة إلى فاطمة بنت الحسين بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه (۱۱). ويذكر القيسي أن المدينة عندما زارها كانت محاطة ببساتين نخل أهمها ما كان في الجنوب والشرق أي في قباء والعوالي، فكان النخيل على كثرته يشكل حدائق متصلة على الطريق بين المدينة وقباء (۱۱)، حيث كان لسقوط الأمطار في بعض الفصول، ووجود ينابيع المياه وسهولة استخراج الماء من الآبار، ووجود أراضي خصبة صالحة للزراعة، مما أدى إلى إنتاج أنواع مختلفة من المزروعات، وتربية أعداد مهمة من الماشية (۱۱). وقد أتاحت تلك العوامل من تربة جيدة، ووفرة للعيون والآبار على ازدهار الزراعة بها.

## \* المحاصيل والمزروعات المختلفة

تتنوع المحاصيل الزراعية في المدينة المنورة نتيجة لعمل أهلها بالزراعة، ومنها القمح الذي لم تكن زراعته واسعة بها؛ لأنه من الزراعات التي تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه (٥٠)، بالإضافة إلى الذرة التي تعتبر الغذاء الرئيسي لأهل المدينة، نظرًا لقلة إنتاج

<sup>(</sup>۱) المراغى، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق/ محمد عبد الجواد الأصمعى، الطبعة الثانية، المكتبة العلمية، المدينة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٤٤، ٢٨٦؛ الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٢٥٠ السمهودى، وفاء الوفاء ج ٣، ص ٩٤٨.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، المصدر تفسه، ج ٤، ص ١١٤٠.

<sup>(</sup>٣) ليلى سعيد سويلم الجهني، رحلة القيسى إلى المدينة المنورة المسياة " أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب "، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد السادس، رجب - رمضان٤٢٤ هـ/ سبتمبر - نوفمبر ٢٠٠٣م، ص ١٣١.

<sup>(</sup>٤) عبد الكريم كريم، بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية، ص ١٠٨.

<sup>(</sup>٥) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٨٠.

القمح، وتزرع الذرة في الصفراء (١) وخيبر (١). أما الشعير الذي يعتمد عليه أهل المدينة كغذاء رئيسي مع الذرة؛ حيث كان يسد جانبًا كبيرًا من احتياجاتهم (١)، فزراعتها تحتاج إلى كميات قليلة من المياه، فضلًا عن أنها يزرعان في العادة في ضواحي المدينة وينبع (١).

أما النخيل فتعد المدينة المنورة من أهم مناطق زراعته في بلاد الحجاز، يأتى بعدها الطائف ثم جدة ومكة (٥)، وقد انتشرت زراعته في المناطق القريبة من المدينة مثل خيبر، التي انتشرت بها زراعته، وكانت هناك مزارع للنخيل في وادى العقيق (١)، كما تكثر زراعته بالصفراء لكثرة العيون في تلك المنطقة التي تصب في ينبع (٧)، وكانوا يزرعون منه أنواعًا كثيرة بلغت نحو ١٧٧ نوعًا، منها نوع الحرة وتبلغ ٧٧ نوعًا يأكل منه أهل المدينة ويهادون، ومنها أنواع تسمى لون وتقارب المائة، وهذه يأكل منها عرب الجبال لرخص شمنها أمنها أنواع تسمى لون وتقارب المائة، وهذه يأكل منها عرب الجبال لرخص ثمنها (٨). والتمر باعتباره محصولًا مهمًا يدخل في تجارة المدينة الداخلية وخصوصًا عند وفود الحجاج إليها، وكان يزرع معه عادة بعض الخضراوات والبقوليات تحت أشجاره لسد حاجاتهم وبيع الفائض منه في الأسواق (٩).

<sup>(</sup>۱) الصفراه: عرض كبير من أعراض المدينة فيه أودية وقرى يقع بين ينبع والمدينة وماؤه يجرى على ينبع. انظر: حمد الجاسر، بلاد ينبع، لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، منشورات دار البهامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص ١٩٥٥؛ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٦.

<sup>(</sup>٢) صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٦.

<sup>(</sup>٣) آيوب صبرى باشا، مرآة جزيرة العرب، الجزء الأول، ترجمة د/ أحمد فؤاد متولى، د/ الصفصافي أحمد المرسى، دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٩٧٠ صبحى عبد المنعم، العملاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٦.

<sup>(</sup>٤) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٨٠.

<sup>(</sup>٥) عمر الفاروق، الحجاز، أرضه وسكانه، ص ٢٩١ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٧.

 <sup>(</sup>٦) الفرع: قرية من نواحى المدينة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة وبها نخيل ومياه
 كثيرة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥٢.

<sup>(</sup>٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

<sup>(</sup>٩) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٩١.

وهناك أيضًا العنب فزراعته تجود فى المدينة، حيث يزرع على مساحات واسعة (١٠)، ومنه أنواع كثيرة مثل المدنى وهو على أنواع البرنى ويقال له المراودى، وهو أجودها لرقته وحلاوته، ومنه البيض وهو دونه فى الجودة، ومنه السكر وهو متوسط، ومنها الحجازى وهو على أنواع، منه البياضى ويختلف فى الرقة والغلظة، ومنه السوادى وهو أحسن منه، ومنه الخمرى وهو أجوده وكانت أحسن أنواع العنب تزرع فى حدائق قباء ثم العالية ثم جفاف (٢).

بالإضافة إلى هذه المحاصيل كانت توجد محاصيل أخرى، مثل القت (البرسيم)، ويستخدم كعلف للحيوانات (٢٠)، وكذلك الباذنجان والسلجم (اللفت) والجزر والكرنب (١٠) والرمان والبرتقال والخوخ والموز والبطيخ والليمون الحلو والمالح والأضالي (٥) والورد والياسمين والنعناع والفل والطماطم والملوخية والبامية والقرع الكوسى والأسناني الكبير الحلو والخس وجميع أنواع الخضار (١٠). وقد فاضت هذه المحاصيل في بعض الأوقات عن حاجتهم، فقاموا ببيعها إلى المدن المجاورة مثل مكة والطائف، وفي أحيان أخرى لم تكن تكفى حاجة أهل المدينة (٧).

وقد اعتمد أهل المدينة المنورة في تلك الفترة على مجموعة من الأدوات الزراعية، التي ساعدت على ازدهار الزراعة منها الفأس أو الكرزن ومنها ما يشبه المطرقة، ويستخدم في قطع الأشجار، ومنها العريض الذي يستعمل في تقليب الأرض للزراعة (^).

<sup>(</sup>١) محمد بحرية شراب، تاريخ المدينة المنورة في العصر الأموى، ص ٢٩٩٠.

<sup>(</sup>٢) الحسيني، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٤٠٤، ٥٠٤.

<sup>(</sup>٣) عمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٨٠.

<sup>(</sup>٤) ابن جبير، أبى الحسين محمد بن أحمد بن جبير ٥٤٠- ٦١٤هـ/١١٤٥ ١-١٢١٧م، رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٩٧ انظر أيضًا: صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٧.

<sup>(</sup>٥) نسبة إلى أضاليا ببلاد الأناضول.

<sup>(</sup>٦) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٧.

<sup>(</sup>٧) عمد بحرية شراب، تاريخ المدينة المنورة في العصر الأموى، ص ٣١٥ - ٣١٧.

 <sup>(</sup>٨) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على ت ٧١١هـ/ ١٣١١م، لسان العرب، الجزء الثالث، إعداد/ يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.، ص ٣٥٨.

وهناك المحراث وهو عبارة عن آلة من الحديد أو الخشب تجرها الجمال أو الأبقار أو الحمير، ويستخدم في شق الأرض لتصبح صالحة للزراعة(١١).

أما الدلو أو السانية فيستخدم فى استخراج المياه من الآبار، وتتكون السانية من مجموعة من الأوعية مربوطة بالحبال تنزل إلى البئر وتسحب مرة أخرى بعد امتلائها، تستخدم فى رى البساتين والمزارع (٢٠). ومنها آلة الدرس وتستخدم بعد نضوج المحصول فى درس الحبوب؛ حيث تجر الحيوانات لوحًا خشبيًا يوجد بأسفله قطع الحديد كالسكاكين، لفصل الحب عن القش وتنعيم القش، ويذرى بعد ذلك بمذراة خشبية، لفصل الحب عن التبن ويجمع كل منها على حدة (٣٠).

كما وجد فى المدينة ثروة حيوانية، لعلها تمثلت فى الإبل فكان لأهل المدينة ثروة منها، يتم تربيتها (1) على ما ينبت من الأشجار والشجيرات الرعوية، واستخدمها أهل المدينة فى التنقل، وفى نقل المياه من الآبار لرى الأراضى الزراعية، وقد ذكر السمهودى أنه كان يُستخدم أربعون بخيتًا (٥) لرى مزرعة واحدة (١).

كما كانت الخيل تربى فى بادية بلاد الحجاز، وتباع فى الأسواق، ومنها أسواق المدينة (۱) فذكر القلقشندى عن خيل الحجاز: "وبه من الخيل ما يفوق الوصف حسنه، ويعجز البرق إدراكه"(۱).

أيضًا من الحيوانات التي حرص أهل المدينة على تربيتها الحام والدجاج والأبقار،

<sup>(</sup>١) فالح حسين حسين، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموى، مطبعة دار الشعب، عمان، ١٩٧٨م، ص. ٧٨.

<sup>(</sup>٢) الفيزورآبادي، القسامسوس المحيط، الجسزء الأول، المؤسسة العربية للطباعة، بيروت، د. ت، ص ١٠٩.

<sup>(</sup>٣) جميل حرب محمود حسين، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، الطبعة الأولى، دار تهامة، جدة، السعودية، ١٨٥ جيل حرب محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٨٧.

<sup>(</sup>٤) جميل حرب محمود حسين، المرجع نفسه، صن ١٢٤؛ محمد خلف العناقرة، المرجع نفسه، ص ١٨٧.

<sup>(</sup>٥) البخت: كلمة أعجمية تعنى الإبل الخراسانية. ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٩.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، وفاء الوفاء يج ٣، ص ١٠٥١.

<sup>(</sup>٧) السمهودي، المصدر نقسه، ج ٢، ص ٧٥٤.

<sup>(</sup>٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٥٤.

<sup>(</sup>٩) محمد خلف العناقرة، الحياة الآقتصادية في الحجاز، ص ١٨٩.

وعلى العموم لم تكن المدينة المنورة بلاد رعوية فى الأساس، ولذا اقتصرت تربية الكثير من الحيوانات على المناطق المحيطة بها(١)، وقد تبع توافر هذه الثروة الحيوانية تنوع المنتجات الحيوانية مثل اللحوم الجيدة والألبان وغيرها(٢).

#### (٢) الصناعــة

لم تزدهر الصناعة في المدينة المنورة بنفس درجة ازدهار الزراعة، وذلك لما تتطلبه الصناعة من توافر المواد الخام التي لم توجد بالمدينة المنورة، لذلك استمرت الصناعة في المدينة بسيطة ويدوية.

رغم ذلك وجدت بعض الصناعات، مثل: صناعة الحلى والجواهر، وذلك لتوافر معدن الذهب بالقرب من المدينة وبين ينبع والمروة (٢)، وتنوعت أنواع الحلى التى كانت تصنع منها الخواتم والخلاخيل والأقرطة والعقود من الذهب والفضة والأساور وبعض من الأحجار الكريمة (١)، وكان لتلك الصناعة سوق خاص بها بالقرب من سوق العطارين في المدينة المنورة، وعن أعداد القائمين على هذه الصناعة، ذكر أنه كان في قرية زهرة إحدى قرى المدينة ثلاثة مائة صائغ (٥).

عن صناعة التعدين والأسلحة فكانت حرفة الحدادة من الحرف الشائعة في بلاد الحجاز، لذلك قامت صناعة بعض الأسلحة، مثل السيوف في مكة والمدينة (١٠)، وصناعة

<sup>(</sup>١) عمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٩٠.

<sup>(</sup>٢) عواطف عمد يوسف نواب، الرجلات المغربية والأندلسية، ص ٢٤٢.

<sup>(</sup>٣) العباسى، الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسى ت ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م، عمدة الأخبار في مدينة المختار، الجزء الحامس، تصحيح وتحرير الألفاظ الشيخ / محمد الطيب الأنصارى، أوضح غوامضه وأضاف إليه ناشره السيد/ أسعد طرابزونى، طبعه/ أسعد طربرازونى الحسينى، د. ت، ص ٣٣١.

<sup>(</sup>٤) عائشة بنت عبدالله باقاسى، بلاد الحجساز فى العصر الأيوبى (٧٦٥-١٤٨هـ/ ١٧١ - ١٢٥٠م)، الطبعة الأولى، منشورات نادى مكة الثقاف، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٧٥.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، وفاء الوفاءج ٤، ص ١٢٣٠.

<sup>(</sup>٦) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٨٣.

السهام التى تصنع برقم المدينة (١)، وصناعة الدروع والخناجر والنبال وأدوات الفلاحة مثل: المحاريث والفئوس ومناجل الحصاد (٢)، كما اهتموا بصناعة آلات الصيد مثل: الفخاخ والشباك وغيرها (٣).

كذلك كانت هناك الصناعات الجلدية والدباغة والخرازة، فقد اهتم أهل الحجاز بدباغة الجلود، حيث إصلاح الجلد وإزالة الصوف والشعر منه، لاستخدامه فى الأغراض النافعة، واستخدموا لذلك مواد إزالة الشعر والصوف مثل مادة القرظ (١٠) شجر ينبت بأراضى الحجاز بوادى العقيق قرب المدينة المنورة - وقد استخدمت الجلود في صناعة قرب الماء وغيرها، وفي صناعة الأحذية، وكذلك في الأغراض الحربية، لحماية الجسم من ضربات السيوف في المعارك الحربية (٥).

وارتبطت الخرازة التى تقوم على خياطة الجلود بالصناعات الجلدية، فكانت هذه المهنة متطورة فى المدينة خلال العصر المملوكى، حيث مارسها الكثيرون ودخل بعض المغاربة فيها(١).

كذلك صناعة المنسوجات والأقمشة، وهى من الصناعات القديمة فى بلاد الحجاز، لتلبية احتياجات أهلها، وقد تحدث الألوسى عنها بقوله: "هذه الصناعة من الصناعات التى كانت من مكاسب العرب، وهى أيضًا من ضروريات الأمم، فإن كل أمة ولا سيما أهل الحاضرة عتاجون لهذه الصناعة، لأجل لبوسهم وفرشهم وحمل أثقالهم ونحو ذلك "(٧).

<sup>(</sup>١) رقم: موضع بالمدينة تنسب إليه الرقميات والرقم جبال دون مكة بديار غطفان. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٨.

<sup>(</sup>٢) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٩٥.

<sup>(</sup>٣) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٧٥.

<sup>(</sup>٤) القرظ: شجر كبير ساقه غليظة مثل شجر الجوز وورقه أصغر من ورق التفاح وله حب يوضع في الموازين مفرده قرظة ويستخدم حبه أيضًا للعلاج والصبغ وهو من أشهر مواد الدباغة والصبغ. انظر: ابس منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٤٥٤.

<sup>(</sup>٥) عمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٩٢؟ جميل حرب، الحجاز واليمن في العصر الأبوبي، ص ١٢٧.

<sup>.(</sup>٦) السمهودي، وفاه الوفاء ج ٣، ص ٩٤٨.

<sup>(</sup>٧) الألوسى، السيد محمود شكرى ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الجزء

كذلك ذكر الألوسى أن من أدواتها المنوال والمنسج الذى يدعى الحف(). كما قامت صناعة الغزل وحياكة النسيج وصناعة الأثاث المنزلى، الذى يصنع من الصوف والأوبار والشعر والنهارق والفرش، فقد أسهمت صناعة النسيج في إبراز صناعة صباغة الملابس، وكان الصباغون يقومون بهذا العمل نظير أجور معينة يدفعها صاحب الملبس، مما أدى إلى ظهور مهنة خياطة الملابس الخاصة بالرجال والنساء على السواء.

ووجدت صناعة الحصر، وهى من الصناعات المهمة التى ورد ذكرها فى وثائق الجنيزة (٢)، حيث كان الحصير يستخدم فى كل منزل وفى كل مكان الأغراض منزلية شتى، وقد جاء فى إحدى وثائق الجنيزة أن الحصر كانت من السلع المطلوبة فى مدن بحر الحجاز (٢)، كما أن وثائق الجنيزة تعطينا تفاصيل كثيرة عن صناعة الحصر وصفاته وأسعاره.

كذلك البناء والنجارة، فالبناء فى أى مجتمع من مستلزمات الحياة، سواء بناء السكن أو الأسوار، والعمران يقتضى قيام بعض الصناعات المتعلقة به من نحت الحجارة وصناعة الأبواب وغيرها (١٠)، وكانت صناعة البناء من الصناعات الموجودة فى مكة والمدينة وغيرها من المدن، وفى العصر المملوكي وجد من أهل المدينة من برز فى ممارسة تلك الصناعة، فيذكر السمهودي بأنه كان لبني حرام فى المدينة غلام رومي ينقل الحجارة وينقشها (٥٠).

الثالث، شرحه وصححه/ محمد بهجت الأثرى، نشر/ أمين دمج، دار الشروق العربي، بيروت، د. ت، ص ٤٠٤.

<sup>(</sup>۱) الحدف: الحف المنسج والحف المنوال وهو الخشية التي يلف عليها الحائك الثوب وقيل هي التي يضرب بها الحائك. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٩٦؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٢٠٤.

<sup>(</sup>٢) الجنيزة: الحجرة التي يحتفظ اليهود فيها بأوراقهم الخاصة من إيصالات وعقود وخطابات حتى لا تدنس كلمة الله المكتوبة في هذه الوثائق والموجودة بمصر في معبد يبودي. انظر: حسنين محمد ربيع، وثائق الجنيزة،

<sup>(</sup>٣) حسنين محمد ربيع، وثانق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى، ضمن الكتاب الأول من مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٩٧٩م، ص ١٩٣٨ ممد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٢٠١١ أحمد الزيلمي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص

<sup>(</sup>٤) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز في العصر الأبويي، ص ٧٤، ٧٥.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، وقاء الوقاء ج ٢، ص ٢٠٤.

أما النجارة وهي مكملة للبناء، حيث كان النجارون يصنعون الأبواب والأطباق والأقداح والأثاث المنزلي كالمناضد والكراسي، وكان هؤلاء النجارون يزاولون هذه الصناعة في بيوتهم (۱)، وعن هذه الصناعة يذكر الألوسي: "هذه الصناعة من ضروريات كل أمة من الأمم، لا سيها أهل العمران، وقد بينا أن العرب منهم أهل حضر وحاجتهم إلى هذه الصناعة ضرورية... ومنهم سكنة البوادي وهم الأعراب، ولا بد لهم من العمد والأوتاد لخيامهم... وكل واحدة من هذه الأمور تحتاج إلى الخشب ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة "(۱)، حيث كانت تستخدم فيها أخشاب الأشجار المنتشرة حول المدينة، مثل أشجار الطرفاء والأثل الذي يأتي من منطقة الغابة في شهال غربها (۱)، كما كانوا يستخدمون بعض الأخشاب المستوردة من الهند وإفريقيا مثل: الساج والآبنوس (۱).

كذلك كان للصناعات الغذائية قدر كبير من الاهتهام لتلبية حاجات السكان من الغذاء، مثل: صناعة السمن والزبدة والجبن وغيرها. وكذلك التمر الذي يمثل الغذاء الرئيسي لأهل الحجاز عامة وأهل المدينة خاصة، نظرًا لكثرة أشجاره (٥٠).

ويذكر ابن القيم فى كتابه " الطب النبوى " عن تمر المدينة: "وأما أهل المدينة فالتمر لهم يكاد أن يكون بمنزلة الحنطة لغيرهم... وهو قوتهم ومادتهم... وتمر العالية من أجود أصناف تمرهم فإنه متين الجسم... لذيذ الطعم صادق الحلاوة (١٠).

وقد استخدم التمر لعلاج العديد من الأمراض، واستخرج منه الدبس وشراب

<sup>(</sup>١) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجياز، ص ٢٠٣.

<sup>(</sup>٢) الألوسى، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٩٥.

<sup>(</sup>٣) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز في العصر الأبوبي، ص ٧٥.

<sup>(</sup>٤) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجياز، ص ٢٠٤.

 <sup>(</sup>٥) محمد خلف العناقرة، المصدر نفسه، ص ١٩٧ جميل حرب، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي،
 ص ١٢٠.

 <sup>(</sup>٦) طه عرفه، فضائل المدينة المنورة، تقديم/ محمد عبد المنعم البرى، حمدى عبد المقصود، القاهرة، ١٩٩٥م،
 ص. ٨٣.

التمر(١١)، ويدخل في كثير من الأغذية والأدوية والفاكهة؛ حيث يوافق أكثر أبدان الناس (٢).

وبالنسبة إلى صيد الأسماك، فهى من الأعمال التى قام بها بعض أهل المدينة والمجاورين، في البحيرات وتجمعات المياه المحيطة بالمدينة (٢)، وكان من يقوم بصيد الأسماك يلقب بالحوات "السماك"، مثل إبراهيم الحوات الذى اشتغل بالصيد في المدينة (١)، كذلك منهم من قام بالصيد في بعض تجمعات الماء خارجها، وكان يتم تجفيف السمك في الشمس ويملح أحيانًا ويجفف في الهواء ليؤكل في وقت الحاجة إليه، وقد يستعمل علفًا للحيوانات (٥).

كذلك كان بالمدينة العديد من الصناعات الأخرى، مثل صناعة العطور التى كان لها سوق خاص بها يسمى سوق العطارين يقع قرب سوق الصاغة (١).

### (٣) التجـــارة

كان لما تمتعت به المدينة المنورة من موقع جغرافي مهم، أثره الكبير على أحوالها الاقتصادية، فانفردت هي ومكة عما سواهما من مدن بلاد الحجاز الأخرى، بموقع هام كان له أكبر الأثر في انتعاش تجارتها (٧).

### ₩ التجارة الداخلية

كانت تجارة المدينة فيها بين أهلها أو بينهم وبين جيرانهم من أهل القرى وسكان البادية، كذلك مع بقية المدن الحجازية الأخرى، وعلى رأسها مكة وينبع وجدة، حيث

<sup>(</sup>١) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص١٩٧.

<sup>(</sup>٢) طه عرفة، فضائل المدينة المنورة، ص ٨٤.

<sup>(</sup>٣) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٩٧.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٤.

<sup>(</sup>٥) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٩٧.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٣٦.

 <sup>(</sup>٧) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص١٠٨.

يأتي إليها التجار لبيع بضائعهم أثناء المواسم وتبادل السلع مع الحجاج والتجار الذين يأتون إليها(١).

وتجارتهم الأساسية في التمور وأنواع السمن والألبان التي تجلب من ماشيتهم، وفي الحبوب مثل: القمح والشعير والفول والحمص والذرة والعدس وغيرها، التي يأتي أكثرها من مصر والشام والهند، كما يتاجرون في الإبل والأغنام والخيول التي تأتي من نجد، والمنسوجات التي تأتي من مصر والشام (٢).

وكانت تجارتهم مع أهل البادية، تتمثل في اللبن والجبن والسمن والغنم والحبوب والخضر والتمر وغيرها، حيث يقوم بعض من الأعراب القاطنين في المدينة بشراء تلك البضائع منهم، ويدخلون بها للأسواق ليتم بيعها لأهل المدينة (٢٠)، كما كان موسم الحبح بالنسبة إلى أهل المدينة أيام رواج لتجارتهم (١٠).

# أنواع المنتجات التجارية في المدينة

لعل من أهم أنواع المحاصيل التجارية في المدينة، التمر والبقول والحبوب والسمن والجبن، التي تأتى من المناطق البدوية المحيطة بها، وكذلك عسل النحل والقمح والشعير والأرز والفول والحمص والذرة والترمس والعدس، وكانت معظم هذه الحبوب تأتى من بلاد الهند ومصر والشام، وكان بعضها يتم زراعته بالمدينة (٥٠).

ويعتبر التمر من أكبر المحصولات الداخلة في تجارة المدينة، لأن ضواحى المدينة كان فيها الكثير من المزارع والبساتين، التي بها نخيل كثير ينتج كثيرًا من أنواع التمور،

<sup>(</sup>۱) على بن حسين السلبهان، النشاط التجارى في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٣٠١؛ محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٨٦، ٨٧.

<sup>(</sup>٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٠؛ على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٠.

<sup>(</sup>٣) عبد الكريم كريم، بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية، ص ١١٠.

<sup>(</sup>٤) محمد القاضي، المدينة المنورة في رحلة أبي سالم العياشي، ص ١٣.

<sup>(</sup>٥) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

وأحسنها البلح العنبرى ثم الجلبى ثم السكرى وهو أكثرها حلاوة، ثم بلح السبح ويكثر نخله فى جهة الخيف بين المدينة والحمراء (١)، وبالإضافة إلى التمر ومكانته فى تجارتهم، يأتى بعده الشعير الذى يزرع وسط بساتين النخيل، ومنه يحصل أهل المدينة على الخبز، وهناك العنب والمنتجات الأخرى من البقول والبصل والثوم وغيرها (١).

وفى تجارة أهل المدينة مع أهل البادية، كانت تتم بمقايضة السمن والألبان بها تنتجه المدينة من حبوب وخضر اوات وفواكة ومنتجات صناعية يحتاج إليها أهل البادية فى حياتهم اليومية، كها تاجروا بالإبل والأغنام والخيول الجيدة التي تأتى من نجد (٣).

هناك أيضًا الأدوات الحديدية والنحاسية والزجاجية، وكذلك الأقمشة الحريرية والصوفية والقطنية، التى تدخل في تجارة أهل المدينة مع البدو سكان المناطق المجاورة، وكذلك مع الزائرين للمدينة في مواسم الحج والعمرة (٤٠).

## الأسواق التجارية الداخلية

السوق لغة هو موضع البياعات، قال ابن سيده: السوق التى يتعامل فيها تذكر وتؤنث والجمع أسواق، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا، وفي حديث الجمعة: إذا جاءت سويقة أي تجارة، وهي تصغير السوق سميت بها؛ لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها، وتضم الأسواق المتاجر التي يرتادها الناس لشراء مستلزماتهم الحياتية وحاجياتهم، فهي موضع عرض وطلب لأشياء كثيرة من متطلبات الحياة، فكما يرتادها العامة من الناس يرتادها عليتهم وأشرافهم (٥).

<sup>(</sup>١) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٢٢.

 <sup>(</sup>۲) محمد محمود السرياني، السكن الحضرى، ضمن كتاب المدينة المنورة البيئة والإنسان " دراسة علمية عكمة "، الطبعة الأولى، إشراف أ.د/ محمد أحمد الروثى، أ. د/ مصطفى محمد خوجلى، ١٤١٨ ١٤١٩ ما ١٤١٨.

<sup>(</sup>٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٠.

<sup>(</sup>٤) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

<sup>(</sup>٥) خالد بن محمد بن إبراهيم أحمد النعمان، تاريخ أسواق المدينة المنورة، ضمن دراسات حول المدينة المنورة

وجاء فى أسواق المدينة، وصف ابن شاهين الظاهرى قائلًا: "وبالمدينة المشرفة سور وقلعة ومدارس ومساجد وأسواق وشوارع وبساتين ونخل كثير وفنادق وحمامات وهى مدينة حسنة"(۱)، ويبدو من ذلك أن المدينة كان بها عدد من الأسواق، فكان لكل سلعة سوق خاص بها، كها أن أسهاء الأسواق كانت تؤخذ من أسهاء السلع(۱)، وقد أسهمت قوافل الحج والتجارة فى انتعاش الأسواق التجارية فى المدينة فى عصر الجراكسة، وأصبح ميناء جدة الميناء الأول لبلاد الحجاز ومعه ينبع، فازدادت أسواق المدينة رواجًا(۱).

من أهم الأسواق في المدينة سوق باب السلام، ويمتد من باب السلام إلى الباب المصرى بمسافة • • ٤ متر، من خلال الشارع الواصل بينها بعرض ٤ أمتار، وتشتد فيه الحركة التجارية في أيام الحج والعمرة والزيارة، وهناك سوق المناخة وفيه تباع الحبوب واللحوم والخضراوات والفواكة، وهناك سوق البلاط يوجد على يسار المتجه إلى باب السلام (١٠)، وسوق الصاغة الذي يختص ببيع الحلى ويقع بالقرب من باب الرحمة.

وسوق العطارين<sup>(٥)</sup> ويختص ببيع العطور للقادمين إلى المدينة، وهو قريب من سوق الصاغة، وبالقرب منهما يقع سوق الفاكهة، ويختص ببيع الفواكه والمنتجات الغذائية، وما يحتاجه الحاج من طعامه اليومى؛ حيث وجدت دكاكين خاصة بذلك، وهناك سوق الحطابين بالجبانة قرب مسجد الراية<sup>(١)</sup>.

كها تحدث على بن موسى عن بعض أسواق المدينة المنورة، وذكر أنها تقع بعد مسجد الغهامة، ومنها الأسواق الآتية:

من محاضرات النادى الأدبى، المجلد الثانى، الطبعة الأولى، الكتاب رقم ( ٩٨ )، نادى المدينة المنورة الأدبى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٣٥.

<sup>(</sup>١) ابن شاهين الظاهرى، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، زبدة كشف المالك ويان الطرق والمسالك، الطبعة الثانية، نشره/ بولس راويس، دار العرب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٦.

<sup>(</sup>٢) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٨٨، ٨٩.

<sup>(</sup>٣) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠٩.

<sup>(</sup>٤) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٩.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٣٧، ٧٣٧.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، المصدر نقسه، ج ٢، ص ٧٦٧ - ٧٦٥.

- سوق الحبابة: وهو أكبرها وأوسعها، ويباع فيه جميع أنواع الحبوب من قمح وشعبر وذرة، وهو صفان قبلي وشامي.
- سوق التمارة: ويقع هذا السوق عند طرق سوق الحبابة، ويباع فيه جميع أنواع التمور، منها: الصيحانى والبرنى والعجوة والسكرى والبردى والعاوى والجعفرى البعلوى والجادى والقيسانى وبراطم العبد.
- سوق الفلتية: ويختص ببيع الحشائش وورق الشجر والدباغ والحبال والفحم والحطب.
  - سوق الخضرية: وهو صف كامل، وفي جانبه القبلي مباسط الجزارة.
- سوق العطارة والقماشة: ويختص ببيع العطور والأقمشة، ويمتد من باب زقاق النخاولة ونهايته قريبًا من باب المصرى(١).
  - سبوق السمانة والرواسة: يقع قبلي سوق التهارة.
  - سوق البرسيم: ويختص ببيع أعلاف الحيوانات.
  - سوق الفطاطرية والطباخين: ويقدم الطعام للحجاج القادمين للمدينة (٢٠).

وكان فى أسواق المدينة مكان خاص للمحتسب، ليراقب طريقة البيع والشراء، وأنواع السلع وجودتها<sup>(١)</sup>.

### \* التحسارة الخارجية

على الرغم من عمل معظم سكان المدينة بالزراعة، فإن الحاصلات الزراعية بها لم تكن تكفي حاجات سكانها، فقاموا باستيراد ما يسد حاجتهم من بلدان أخرى، مثل

<sup>(</sup>١) على موسى، وصف المدينة المنورة، من خلال كتاب رسائل في تاريخ المدينة لحمد الجاسر، منشورات دار اليهامة، الرياض، السعودية، ١٩٧٢م، ص ٤٢.

<sup>(</sup>٢) حد الجاسر، وسائل في تاريخ المدينة، ص ٤٣.

<sup>(</sup>٣) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٩١.

مصر والشام والهند وغيرها(۱)، وكان لموقع الحجاز على البحر الأحمر، الذى يصل ما بين بلاد الشام شهالًا واليمن جنوبًا، أثره العظيم على النشاط التجارى فى الحجاز وخارجه، حيث خرجت القوافل التجارية من بلاد الحجاز حاملة البضائع إلى مصر والشام والعراق واليمن والحبشة، وكذلك كانت السفن تأخذ طريق البحر الأحمر إلى مصر واليمن عبر موانيه، وأشهرها جدة والجار وينبع والسرين(۱)، فضلًا عن أن كثيرًا من التجار الموجودين داخل المدينة، يعود أصلهم إلى أقطار أخرى وفضلوا الإقامة بها، حيث قام بعضهم بمهارسة التجارة مع بلدان أخرى مثل: اليمن ومصر وغيرها(۱).

والمعروف أن كثيرًا من تجارة المدينة كانت تعتمد على وارداتها الخارجية، ولاسيها ما يأتى من جاوه والهند والشام ومصر، ومنها على الخصوص الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية والسبح والليف الأبيض والحناء والبسط والسجاجيد والحنابل العجمية (الأكلمة) والهندية والمغربية والأناضولية (أنه كها كانت البضائع الواردة من مصر لبلاد الحجاز، خاصة الثياب والرقاق والقراطيس (٥) والقمح والحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون وزيت الزيتون والزيتون المملح والعسل والأسلحة والحرير، فكانت البضائع الثقيلة منها تأتى عن طريق البحر، والسلع الخفيفة تجلب عن طريق البر(١)، وكان التمر السلعة الأولى في تجارة المدينة مع الآخرين (٧) ووجد في المدينة المنورة عدد كبير من

<sup>(</sup>١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٢٩٤.

 <sup>(</sup>۲) على بن حسين السليمان، النشاط التجارى في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، ص ۸۳؛
 صبحى عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ۲۹۳.

<sup>(</sup>٣) محمد خلف العناقرة، الحياة الافتصادية في الحجاز، ص ٩٩.

<sup>(</sup>٤) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، لولى النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر، الطبعة الأولى، مطبعة مدرسة والدة عباس الأولى، سنة ١٣٢٧هـ، ص ٢٢٢.

<sup>(</sup>٥) القراطيس: هي الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٧٢.

<sup>(</sup>٦) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٥٨؛ محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٤٤.

<sup>(</sup>٧) محمد محمود السرياني، السكن الحضري، ص ١٦٩.

كبار التجار، منهم عمر بن محمد التكرورى (۱۱) كان ثريًا يكثر السفر لمصر وغيرها "(۱) من أجل التجارة، وهناك أيضًا على بن سليهان بن عبد الواحد القاهرى، كانت تجارته بين ينبع ومصر عبر البحر الأحمر، وينقل بضائعه بعد ذلك برًا إلى المدينة (۱۵ وقد ذكر الرحالة الإيطالي لودوفيكودى فارتيها (۱۱ عند زيارته للمدينة في سنة ۹۰۹هـ/ ۱۵۰۳م أن أهل المدينة يتلقون مؤنهم من اليمن ومصر عن طريق البحر (۵).

## الموانئ التجارية للمدينة المنورة

لعبت المدينة المنورة دورًا كبيرًا في التجارة الخارجية ببلاد الحجاز، وقد ساعد على ذلك تمتعها بعدة موانئ جيدة ومن هذه الموانئ:

### أ- ميناء الجار(٢)

الجار(٧) قرية على البحر بساحل المدينة، كانت فرضة السفن الواردة من مصر والحبشة،

 <sup>(</sup>۱) عمر التكرورى: هو عمر بن محمد كال بن محمد بن عمر التكروى المدنى الأصل توفى بالمدينة سنة
 ۸۸۱هـ/ ۱٤۸۱م. انظر: السخاوى، التحقة اللطيفة، ج ۲، ص ۲۷۸.

<sup>(</sup>٢) السخاوى، التحفة اللطيقة، ج ٢، ص ٢٧٨.

<sup>(</sup>٣) السخاوى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٨؛ انظر أيضًا: عمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجساز، ص ١٤٤.

<sup>(</sup>٤) قام فارتبها الإيطالى النشأة برحلة حول العالم ( ٣٠ ١٥ - ١٥٠٨م) وصل فيها إلى الهند وشرق آسيا وعاد إلى لشبونة فروما مارًا بسواحل شرق إفريتيا فرأس الرجاء الصالح فالمحيط الأطلسى. انظر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، لودوفيكو دى فارتبها " الحاج يونس المصرى " الرحالة الإيطالى والعميل البرتغالى ورحلته إلى الأماكن المقدسة سنة ٣٠٥٢م، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع، الأداب (٢)، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٥٥٧.

<sup>(</sup>٥) عبد الرحن عبد الله الشيخ، المرجع نفسه، ص ٥٨٠.

<sup>(</sup>٦) انظر موقع الجار ملحق رقم ٣ رسم رقم ١.

<sup>(</sup>٧) الجار: على ساحل بحر القلزم بينها وبين المدينة يوم وليلة وهي أصغر من جدة ترفأ إليها السفن من أرض الحيشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الحيشة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٢، ٩٣ ابن حوقل، صورة الأرض، ج ١، ص ٩٣؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٥٠؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ١٥٣؛ السمهودي، وفاء الوفاء ج ٤، ص ١١٧٣.

والمسافة بينها وبين المدينة يوم وليلة(١)، وقد اشتهر ميناء الجار أنه ميناء المدينة(٢).

والجار كان معروفًا قبل الإسلام حيث حاز شهرة تاريخية، فكان البحر الأحر يعرف ببحر الجار<sup>(٦)</sup>، وتأتى إليه السفن بمختلف أنواع السلع من مصر والحبشة وعدن والصين<sup>(١)</sup>، وظل عامرًا حتى تعرض لكثير من هجهات قطاع الطرق والبدو وعدم الاستقرار منذ القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى<sup>(٥)</sup>.

واستمر فى نشاطه التجارى حتى أواخر القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى (١) حتى ضعفت مكانته حين أخذ الحجاج من مصر والمغرب طريق عيذاب إلى ميناء جدة، وبدأ ميناء ينبع فى الازدهار منذ ٢٦١هـ/ ١٢٢٤م، حين جعله الأيوبيون ميناء رئيسيًا للمدينة بعد جدة (٧)، فبرز كميناء تجارى مهم فى تجارة البحر الأهر، التى بلغت أوج ازدهارها أيام سلاطين المهاليك (٨).

## ب- ميناء ينبع

يقع ميناء ينبع على ساحل البحر الأحمر، ويبعد عن المدينة مسافة نحو ٢٧٥ كيلو متر<sup>(٩)</sup>، وتنقسم منطقة ينبع إلى قسمين: ينبع النخل وينبع البحر، فعندما يطلق المؤرخون اسم ينبع فإنها يريدون بها ينبع النخل؛ لأن ينبع البحر كانت قليلة الشهرة حتى أيام

<sup>(</sup>۱) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٢٢١، ٢٢٢.

<sup>(</sup>٢) الأصطخرى، أبى إسحق إبر اهيم محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت ٠ ٣٤هـ/ ١ ٥٥ م، المسالك والمهالك، تحقيق د/ محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة/ محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ٢٣.

<sup>(</sup>٣) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٧.

<sup>(</sup>٤) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٨٧.

<sup>(</sup>٥) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

<sup>(</sup>٦) حمد الجاسر، بلادينبع، ص ٤٩.

<sup>(</sup>٧) على بن حسين السليمان، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، ص ٩٥.

<sup>(</sup>٨) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٤؛ على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٩٠.

<sup>(</sup>٩) عبد الله عبد العزيز بن إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٨.

الماليك، حين صارت ميناء المدينة المنورة (١)، وذكر المقدسى فى "أحسن التقاسيم" عن ينبع: "ينبع كبيرة جليلة حصينة الجدار غزيرة الماء، أعمر من يثرب وأكثر نخيلًا، حسنة الحصن، حارة السوق، لها بابان الجامع عند أحدهما، الغالب عليها بنو الحسن"(٢)، وكانت ينبع النخل قرية غنّاء ذات عيون ومزراع عامرة (٢).

أما ينبع البحر فتمتد من حوراء نحو الجنوب الشرقى، وتمر بوادى حماس ووادى نبط ووداى كمال، وتقع عند تقاطع خط العرض ٥ - ٢٤ شمالًا، وخط الطول ٣ - ٣٨ شرقًا على خليج ممتد من البحر الأحمر(1).

بدأ ميناء ينبع ينشط حتى صار من موانئ الحجاز الرئيسية سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، حين جعله الأيوبيون ميناء المدينة، وقاموا فيه ببعض الإصلاحات والإنشاءات (٥٠)، وقد أسهم في تجارة البحر الأحر، فكان ميناءً كبيرًا كثير العمائر والأسواق تأتى إليه السفن بالغلال في كل عام (١).

وعندما يتحول الحجاج من البحر إلى البر، تصبح ينبع محطة للحجاج السائرين بطريق البر، مما جعل سلاطين الماليك يرسلون إليها بالسفن التى تحمل ما يحتاجه الحجاج مع صدقاتهم وأعطياتهم لأهل المدينة، فأصبحت نتيجة لذلك سوقًا رائجة وميناء للمدينة، فضلًا عن أنها ميناء رئيسي من موانئ الحجاز، التى يعتمد عليها فى جلب التجارة، وعجلة للسفن التجارية القادمة إلى بلاد الحجاز من الهند(۱۷)، فعن طريق ميناء ينبع، صار أغلب القمح والمؤن تصل إلى المدينة من مصر، وساعده على ذلك ازدهار ميناء عيذاب أيضًا (۱۸).

<sup>(</sup>١) حمد الجاسر، بلادينبع، ص ١٢.

<sup>(</sup>٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٣.

<sup>(</sup>٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٩.

<sup>(</sup>٤) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٦٤، حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٣٤.

<sup>(</sup>٥) حد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٤٠ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٩٢، ٢٩٧.

<sup>(</sup>٦) إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين الماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣ م، ص ١٥٨.

<sup>(</sup>٧) على بن حسين السليان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٧.

<sup>(</sup>٨) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

بلغت ينبع أوج ازدهارها خلال عصر السلاطين الجراكسة، بسبب ما قاموا به من إصلاحات كثيرة على طريق الحجاج ومشاعر الحرمين؛ حيث ازداد عدد الحجاج القادمين إلى مشاعر الحرمين، وخصوصًا الذين يريدون زيارة قبر النبى على قبل أو بعد زيارتهم لمكة.

لذلك كان لينبع دور مهم فى تجارة البحر الأحمر أيام الجراكسة (١)، فترد إليها المراكب بالغلال من سواحل الطور، حيث يؤخذ عليها المكوس لصاحب ينبع، والتى تقدر سنويًا بثلاثين ألف دينار (١)، هذه السفن تأتى من مصر والشام محملة بالكثير من السلع، فضلًا عما يرسله سلاطين الماليك من احتياجات ومؤن للنفقة على أهالى المدينة (١)، كل ذلك جعل المدينة ترتبط بينبع؛ حتى أصبحت تذكر كحاضرة كبيرة كثيرة العمائر والأسواق ولها أمير يتبع السلطان (١).

تعرضت ينبع مثل غيرها من بلاد الحجاز في بعض الفترات للفتن والاضطرابات، مما أدى إلى اختلال الأمن والتعرض للحجاج وقوافل التجار، فعمل سلاطين الماليك على إرسال الحملات العسكرية للدفاع عنها وصد شر العربان الذين هددوا التجارة بها<sup>(٥)</sup>، فقد حدث سنة ٥٧٥هـ/ ١٤٧٠م لركب الحاج المصرى مشقة عظيمة بسبب قلة الماء وشدة الحرارة، مما أدى إلى موت كثيرين من الحجاج، فقام يشبك الدوادار بإرسال الشقادف محملة بالزاد والماء لهم ولاقاهم قرب ينبع (١٠).

<sup>(</sup>١) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٧.

 <sup>(</sup>۲) ابن شاهين الظاهرى، زبدة كشف المالك، ص ١٦؛ انظر أيضًا: توفيق اليوزبكى، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكى، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، جامعة المرصل، ١٣٠٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٨٢.

<sup>(</sup>٣) أحمد هاشم بدر شينى، أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية فى مكة والمدينة فى العهد المملوكى، بحلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الرابع عشر، رجب – ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م – يناير ٢٠٠٦م، ص ٢٠١.

<sup>(</sup>٤) عمر الفاروق سيدرجب، المدن الحجازية، ص ٢٤.

<sup>(</sup>٥) العصامى، عبد الملك بن حسين ت ١٠١١هـ/ ١٦٨٩م، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، الجزء الرابع، المطبعة السلفية، القاهرة، د. ت.، ص ٣٠١.

<sup>(</sup>٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٥١، ٥٢.

ومما شهده ميناء ينبع من نهضة أيام سلاطين الجراكسة، الخان الذي بناه الأمير خشقدم سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م في عصر السلطان الغوري، وهو يقع على بعد مرحلة من ينبع البحر(۱). كما عمل الغوري على تحصين الميناء، فبني له سورًا وأبراجًا حصينة (۲)، تقوية للصلات التجارية بين مصر وميناء ينبع؛ حتى أن بعضًا من سكان هذا الميناء كانوا. من الأسر المصرية التي انتقلت إليه من صعيد مصر للتجارة (۲).

غير أن أحوالها ساءت منذ نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى، وأصبحت مجرد محطة لتموين المدينة المنورة بالغذاء(1).

# ج- ميناء جـــدة

يعتبر ميناء جدة من أشهر الموانئ الحجازية؛ حيث اشتهر بأنه ميناء مكة على البحر الأحمر، وهو أكثر اتساعًا من ميناء ينبع، وأقرب إلى الهند وعدن (٥)، لذلك كانت جدة ليس ميناء مكة فقط بل ميناء الحجاز كله، ومن أكبر الموانئ فى الشرق قبل القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، فكانت لها أهميتها فى تلقى إمدادات الحبوب والمؤن التى يرسلها سلاطين المهاليك إلى الحرمين (١)، فحتى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى كان أهل جدة مازالوا بحاجة إلى صدقات ومساعدة مصر (٧).

أخذت جدة في النمو شيئًا فشيئًا تبعًا لزيادة دخلها، وقوة الحركة التجارية بها في مواسم الحج، وبدأ التجار يردون إليها بعد نزولهم بعدن؛ حيث يمرون بها في طريقهم

<sup>(</sup>۱) الجزيري، درر الفرائد المنظمة، ج ۲، ص ١٤١٧.

<sup>(</sup>٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٩٥.

رت على بن حسين السليمان، النشاط التجارى في شبه الجزيرة العربية، ص ٩٣؛ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٩٧.

<sup>(</sup>٤) عمر الفاروق، المدن الحجازية، ص ٢٣.

<sup>(</sup>٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٥٨.

<sup>(</sup>٦) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص٥٥٠.

<sup>(7)</sup> Lane Poole · History of Egypt in the middle ages · London · 1925 · p. 309.

إلى مكة (١)، فكان لموقع جدة بين موانئ الحجاز وقربها من عدن والهند (٢)، أكبر الأثر فى أن تتحول إلى ميناء عالمي منذ عشر ينيات القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي من حيث حجم التجارة الواردة (٢).

وقد أصبحت هذه الموانئ خلال عصر سلاطين الجراكسة أسواقًا نشطة للتجارة الخارجية، فكان يفد إليها معظم البضائع، التي تحتاجها المدينة المنورة، كما كان يتم تصدير الفائض عن حاجة المدينة المنورة منها.

# تدهور الأحوال التجارية بالمدينة المنورة أواخر عصر سلاطين الماليك

اتخذ الماليك عدة أساليب للحفاظ على تجارتهم، فمنذ الحروب الصليبية كان منوع على الإفرنج دخول البحر الأحمر، لأسباب منها الدينية حماية للأراضى المقدسة، وسياسية خوفًا من تحالف الحبشة معهم، واقتصادية تجنبًا لمحاولاتهم القضاء على تجارة مصر مصدر ثرائها، إلا أنه خفت وطأة هذا التحريم فأصبح يسمح لبعضهم وخاصة الإيطاليين بدخوله بعد منحهم تصريحًا بالمرور(1)، خاصة منذ النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى(0).

وإذا كانت المدينة المنورة في العصور الوسطى لم تكن محطة تجارية مرموقة، مثل: مكة

<sup>(</sup>۱) نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ١١١٠ إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٠.

<sup>(</sup>٢) أحمد عمر الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٧٧.

<sup>(</sup>٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٧.

<sup>(</sup>٤) محمد أمين صالح، التنظيات الحكومية لتجارة مصر في عصر الماليك الجراكسة، ص ٧٩.

<sup>(</sup>٥) في النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى كانت مكة وميناؤها جدة نهاية سفن الهند والصين إلى البحر الأحمر وأسهمت جدة بدور مهم في تحويل التجارة من عدن بما أدى إلى ازدهار تجارة المياليك، وكان هذا مبعث سرور ورضى السلطات المملوكية ومنذ ذلك الوقت وميناه جدة حتى نهاية القرن التاسع الهجرى المركز الرئيسي للحجاج والتجار الشرقيين أما التجار الأجانب فممنوعون من دخول ميناء جدة سواء أكانوا غربيين أم شرقين إلا بإذن خاص من السلطان نفسه. انظر: نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية، ص ١٣٩، ١٤٠.

أو عدن أو دمشق أو حلب أو القاهرة أو غيرها من مراكز التجارة الرئيسية في الدولة الإسلامية، إلا أنها كانت عامرة بحيث لم تتأثر بشدة كغيرها من المدن الأخرى باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح(١)، ووصول البرتغاليين إلى الهند وشرق آسيا سنة ١٤٩٨م، ومع ذلك لم تكن المدينة بعيدة كل البعد عن ذلك (١).

ومنذ ذلك ظهر الضعف على الدولة المملوكية في مصر والشام، واضطربت أحوالها الاقتصادية والأمنية، فكانت كها يذكر ابن خلدون: "والخلل إذا طرق الدولة طرقها في الجند والمال فيعظم الهرم بها، ويتجاسر عليها أهل النواحي، فإن قصدها طالب انتزعها من أيدى القائمين عليها"<sup>(7)</sup>، مما أدى إلى عدم قدرتها على التصدى للأسطول البرتغالى في البحر الأحمر، الذي بات يهدد أمن الحرمين الشريفين (٤)، كما أدى إلى تأثر تجارتهم المورد الاقتصادى الرئيسي لهم، فضاعت مكانة مصر في التجارة الدولية (٥).

حيث انهار طريق التجارة البرى والبحرى، سواء عبر البحر الأحمر أو بموازاته، وتوارت منذ ذلك مدن ومحطات وأسواق تجارية كثيرة (١٠).

أدت تلك الظروف إلى تدهور تجارة البحر الأحمر، والطرق التجارية المارة ببلاد الحجاز، ولا شك أن ذلك كان له أثره الكبير على تدهور الأحوال الاقتصادية ببلاد الحجاز بصفة عامة والمدينة المنورة بصفة خاصة.

<sup>(</sup>۱) طريق رأس الرجاء الصالح: هو طريق يدور حول إفريقيا ومنها إلى الحند، وتم اكتشاف هذا الطريق سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م، وتأثرت مصر باكتشافه حيث إنها فقدت التحكم في التجارة العالمية وفقد المهاليك أهم ميزة عندهم، وهي فرض الرسوم على التجارة الخارجية التي كانت تمر بها. انظر: حسين جلال، فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند ١٤١٥ - ١٤٩٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٩٢، ص ١٥ وما بعدها؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطى، الجزء الرابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣ وما بعدها.

<sup>(</sup>٢) عمر الفاروق سيد رجب، المدن الحجازية، ص ٢٤.

<sup>(</sup>٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.، ص ١٥٨.

<sup>(</sup>٤) محمد عبد اللطيف هريدي، شنون الحرمين الشريفين في العهد العثماني، ص ١٣٠.

<sup>(</sup>٥) محمد على فهيم بيومى، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من ٩٢٣-١٢٢٠هـ/١٥١٧ - ١٨٠٥م، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠١١م، ص ٤١.

<sup>(</sup>٦) عمر الفاروق، المدن الحجازية، ص ٢٥.

### \* المعاملات التجارية في المدينة المنورة

كان للنشاط التجارى بين سلطنة الماليك وبلاد الحجاز، أثره الكبير في توثيق العلاقات وتوطيدها وتوحيد نظم المعاملات التجارية؛ حيث كانت المعاملات التجارية في المدينة المنورة في العصر المملوكي على ما كانت عليه في مصر، من التعامل بالدينار والمدرهم والمعاملة بالفلوس على ما كان بمكة؛ حيث استخدم في الوزن المن، وأما الكيل فكان بالمد، وقياس الأقمشة بالذراع الشامي، وكانت الأسعار في المدينة كما في مكة، بل ربها كانت مكة أكثر رخاء لقربها من ساحل البحر بجدة (١). ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالى:

### أ-العملات(٢)

كان فى المدينة المنورة نقود تسمى بالنقود العلوية، وهى عبارة عن: "قطعات من الفضة مسكوكة باسم صاحب المدينة، كل واحد صرفه سدس درهم"، وراجت بعد ذلك الدراهم المملوكية فى عهد السلطان برقوق، فكان كل درهم يعادل ثمانية وأربعين فلسًا، كذلك من النقود التى استخدمت بالمدينة الدينار الأفرنتي (٣)، وكانت أول إشارة إليه فى مكة فى موسم حج سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٣م، ولابد أنه قد ظهر فى المدينة المنورة فى نفس الفترة تقريبًا (١٠) كما ولابد أن ظهور تلك العملة قد سبق سنة ٨١٥هـ، فبداية

<sup>(</sup>۱) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠٦.

<sup>(</sup>٢) انظر أشكال بعض العملات من العصر المملوكي الجركسي مع جدول لشرحها ملحق رقم ٣ شكل رقم ١.

<sup>(</sup>٣) القلقشندى، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٧٥، ٢٧٦؛ الفاسى، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٧٥، ٢٧٦ والذهب الذى يقال له الأفرنتى والأفلورى والبندقى من ضرب البندقية. انظر: المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٣٠٥ - بدأ استعاله فى مصر لأول مرة سنة • ٧٩هـ - ١٣٨٨ م الأفلورى: هو من الدنانير الذهبية التى استعملت فى العصر المملوكى ويقدر الدينار منها بسبعة عشر درهما من الدراهم الجديدة النقرة وينسب الفلورى إلى فى العصر المملوكى ويقدر الدينار منها بسبعة عشر درهما من الدراهم الجديدة النقرة وينسب الفلورى إلى فلورنسا، وكان يستخدم أحيانا فى دفع رواتب أرباب الوظائف. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٧٤٤؛ انظر أيضًا: رأفت محمد النبراوى، السكة الإسلامية فى مصر عصر دولة الماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣٤٠.

<sup>(</sup>٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٧٥، ٢٧٦؛ الفاسى، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٥٥، ٢٧٦.

وقد حاول السلطان الأشرف برسباى، إعادة الثقة فى النقود المملوكية، فضربت فى سنة ٩٨٩هـ/ ١٤٢٥م الدنانير الأشرفية بنفس وزن الأفرنتى ( ٤٥ , ٣ جرام )، عما أتاح للنقود الذهبية الإسلامية ( الأشرفية )، طرد النقود الذهبية البندقية والحلول مكانها(١٤٠٠ وقد عرف الدينار الأشرفى بمكة لأول مرة فى موسم الحبح سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣١م، وظل يتعامل به فى مكة إلى نهاية دولة المهاليك(٥). ولا شك أنه رغم العدد الكبير من النقود والعملات التى أصدرها سلاطين المهاليك الجراكسة، فإنه يمكن القول إن كثيرًا من هذه النقود، لم يتحقق لها الانتشار الكبير داخل دولة الجراكسة، ومنها بلاد الحجاز؛ لأن بعض هذه النقود لم يستقر لمدة طويلة، فضلًا عن أن بعضها لم يكن له قيمة رائجة.

<sup>(</sup>۱) المقریزی، السلوك، ج ٤، ص ٧١٠.

<sup>(</sup>٢) رأفت محمد النبراوي، السكة الإسلامية في مصر، ص ٢٣٦.

<sup>(</sup>٣) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٢١٠ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٦٣٩.

<sup>(</sup>٤) رأفت محمد النبراوي، السكة الإسلامية في مصر، ص ٢٥٣.

<sup>(</sup>٥) ريشارد مورتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراه فى الأداب، قسم التاريخ، كلية الأداب، جامعة القاهرة، إشراف د/ محمد جمال الدين سرور، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٩٥٤ مدخلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١١٢.

### ب- الصكوك

لما كانت المعاملات الضخمة تستدعى وسائل دفع مأمونة من الضياع خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص، لذلك ظهرت الحاجة إلى استعمال الصك، وقد استخدمه التجار في مصر والحجاز وأقطار أخرى من العالم الإسلامي، ويعرف الخوارزمي في "مفاتيح العلوم" الصك بأنه: "يجمع فيه أسهاء المستحقين وعدتهم ومبلغ ما لهم ويوقع السلطان في آخره بإطلاق الرزق لهم "(۱)، و يرى آدم متز أن التعامل بالصك هو أرقى ما وصل إليه التعامل المالى بين التجار المسلمين (۱).

## ج- الموازين

عرفت ببلاد الحجاز عدة أوزان استخدمت جميعها لأغراض التجارة الداخلية، ومن هذه الأوزان المن<sup>(۱۲)</sup>، المعروف في جميع بلاد العالم الإسلامي باسم الرطل، ويختلف المؤرخون في وزن الرطل عند الحجازيين، فيذكر المقريزي أن وزن الرطل يصل إلى مائتي درهم<sup>(۱)</sup>، أما ابن المجاور فيذكر أن الرطل يصل إلى مائة وثلاثين درهمًا، وهو ست أواق وكل أوقية واحد وعشرون درهمًا وثلث<sup>(٥)</sup>.

وكان السخاوى في "التبر المسبوك" قد ذكر خلال حديثه عن الأسعار في مكة خلال رمضان سنة ٨٤٧هـ سعرين للمن، ففي حديثه عن اللحم ذكر أنه عبارة عن سبعة

<sup>(</sup>۱) الخوارزمى، محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تحقيق/ إبراهيم الإنبارى، الطبعة الأولى، بيروت، ٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م، ص ٨٣.

 <sup>(</sup>۲) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى، الجزء الثانى، ترجمة/ محمد عبد الهادى أبو ريدة،
 مكتبة الخانجى، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م، ص ٢٧٩.

<sup>(</sup>٣) المن: وحدة من وحدات الوزن تساوى رطلين وكل رطل ١٣٠ درهمًا ويختلف تقديره حسب وجود استعاله فى الدولة الإسلامية. انظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة/ كامل العلى، الجمامعة الأردنية، عيان، ١٩٧٠م، ص ٤٥؛ محمد خيلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٠٨.

<sup>(</sup>٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٩.

 <sup>(</sup>٥) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسهاة تاريخ المستبصر، تحقيق/ أوسكر لوفغرين، د.ت، ص ١٢.

أرطال بالمصرى، وفي حديثه عن السمن ذكر أنه عبارة عن ثلاثين رطلًا بالمصرى<sup>(١)</sup>، ولعل ذلك كان بسبب ما حدث من انحلال للأسعار في تلك السنة.

إلا أن ابن الأخوة يرى أن الرطل الحجازى يزن مائة وعشرين درهمًا<sup>(۱)</sup>، بينها يذكر القلقشندى أن الرطل يساوى مائتين وستين درهمًا وأواقيه عشرة وكل أوقية عشرة دراهـم (۱۳)، ومن خلال ذلك يظهر مدى اختلاف المؤرخين في تحديد وزن الرطل الحجازى، وهو ناتج عن اختلاف وزن الرطل داخل المدن الحجازية.

### د-المكاييل

كانت من وحدات المكاييل فى المدينة المنورة الغرارة وهو مكيال دمشقى فى الأساس، يهاثل الإردب المصرى، والغرارة تعادل ثلاثة أرادب مصرية (١٠)، ونظرًا لاعتباد الحجاز على ما تنتجه مصر من الغلال والحبوب، فإن الإردب المصرى (٥) يساوى أربعة وعشرين صاعًا حجازيًّا، والويبة تساوى أربعة وعشرين مدًا (٢٠).

كذلك كان من أكثر وحدات المكيال في المدينة، الصاع والمد، ويحسب الصاع أربعة أمداد، ويباع بالصاع والمد الحنطة وسائر الحبوب، أما الويبة فهي وحدة مكيال مصرية

<sup>(</sup>۱) السـخاوى، التبر المسبوك في ذيل السلوك، الجزء الأول، ( ٨٤٥-٥٨٠هـ/ ١٤٤١-٢٤٤٦م )، تحقيق أ.د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م. ص ١٧٥.

<sup>(</sup>٢) ابن الأخوة، عمد بن عمد بن أحد القرشى ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق/ عدم عمد د شعبان، صديق أحمد عيسى المطبعي، الحيثة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٣٨.

<sup>(</sup>٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧٥.

<sup>(</sup>٤) القلقشندي، نفس المصدر، ج ٤، ص ٢٠٥.

<sup>(</sup>٥) الإردب: مكيال مصرى للحنطة وهو أكبر وحدة للمكيال يتألف من ست ويبات كل ويبة ثهانية أقداح كبيرة أو سنة عشر قدحًا صغيرًا ويساوى أربعة وعشرين صاعًا حجازيًا. انظر: ابن فضل الله العمرى، مسالك الأبصار في عمالك الأمصار ( غطوطة )، أصدر جزءًا منه فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا إيكهارد نويباور، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ألمانيا الانحادية، ١٩٨٨م، الجزء الثالث، ص ٢٠٠٠ المقريزي، النقود الإسلامية، ص ٢٠٠٠ انظر أيضًا: فالتر هندش، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة/ كامل العلى، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م ص ١٩٥٠ ص ٢٥٠.

<sup>(</sup>٦) على بن حسين السليان، النشاط التجارى في شبه الجزيرة العربية، ص ٢٦٧.

تعادل عشرة أمنان أو ١٦٨ و ١٢ كجم قمحًا(١١)، وكان على المحتسب الإشراف على الموازين والمكاييل، كما كان له أن يأمر أصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الأوساخ في كل ساعة، حتى لا تحمل شيئًا فيضر بالمشترى، ويقوم على التأكد من المقاييس كما هى عددة(٢٠).

### هـ- المقاييس

كانت وحدة القياس المستخدمة لقياس الأقمشة الذراع<sup>(۱)</sup>، والذراع المستخدم فى المدينة المنورة هو الذراع الدمشقى<sup>(1)</sup>، الذى يزيد عن الذراع القاهرى والمكى بنصف السدس وهو قيراطان، حيث كان الذراع القاهرى طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة، وهو ما عرف بذراع البز ويساوى ٥٨, ١٨٧ سم<sup>(0)</sup>. وكذلك من المقاييس المستخدمة القيراط وهو مقياس مصرى لقياس المساحة<sup>(1)</sup>.

# ثانيًا - السياسة الاقتصادية للمهاليك الجراكسة

## أ- سياسة الاحتكار

كان اتباع سلاطين الماليك الجراكسة لسياسة الاحتكار، مما زاد إلى حد كبير من سوء الحالة الاقتصادية (۷)، ولعل من أسباب لجوء هؤلاء السلاطين إلى تلك السياسة، هو ظهور العثمانيين وسيطرتهم على بعض مراكز التجارة، مما أدى إلى حرمانهم من مواردها، بالإضافة إلى كثرة الفتن والحروب التي زادت من طلب الدولة للمال؛ لتغطية

<sup>(</sup>١) أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص ٤٨٧.

<sup>(</sup>٢) ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٨٣ - ٨٨.

<sup>(</sup>٣) الذراع: عبارة عن ست قبضات وذراع الثوب يقاس بها. انظر: أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادى الإسلامي، ص ١٧٩.

<sup>(</sup>٤) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠٢.

<sup>(</sup>٥) القلقشندي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤٣.

<sup>(</sup>٦) فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٨.

<sup>(</sup>٧) توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر في العصر المملوكي، ص ١٣٤.

النفقات وحماية نظامها، هذا بعض عما دفع عماليك الجراكسة إلى الاشتغال بالتجارة، وتطبيق نظام الاحتكار (۱)، فكانت هناك المصادرات، كما فرضت على التجار إتاوات كبيرة ومغارم فادحة (۲)، وكان لتزييف النقود أثر كبير في اضطراب المعاملات التجارية، وما يصاحب ذلك من ارتفاع الأسعار وقلة الغلال (۱)، حيث كانت سياسة احتكار المواد الغذائية والبضائع الضرورية، صفة اتصف بها سلاطين القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى من الجراكسة، رغبة منهم في تحقيق المزيد من المكاسب الشخصية على حساب المواطنين الذين كانوا ضحية لهذا الجشع (١).

ورغم ما كان يتمتع به كل من ميناء جدة وينبع من رواج تجارى، فإن العلاقات بين سلاطين الماليك الجراكسة وأشراف بلاد الحجاز، كانت قائمة على استغلال كل ما يحقق مصالحهم، تعويضًا عن تدهور الأحوال الاقتصادية في مصر، حيث عملوا على السيطرة على التجارة، وخاصة في جدة وحولوها إلى الخزانة المصرية، وذلك باتباع الأساليب الاحتكارية مثل جباية الأموال برفع قدر المكوس على مختلف السلع والبضائع التجارية(٥٠)، كما سيطر الطابع المالى على طبيعة العلاقة بين سلاطين الماليك وأهل الحجاز خاصة أشراف مكة؛ حيث قرر السلاطين مشاركة أمرائها في المكوس وعشور التجارة، ثم ما لبثوا أن انفردوا بها دونهم(١٠).

ولما كانت الأسواق هي المرآة الصادقة لجميع تلك المظاهر، فهي تعكس فعلًا

<sup>(</sup>۱) عثمان على محمد عطا، الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثرها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ( ۱۲۸-۹۲۳هـ/ ۱۲۵۰–۱۲۵۰م )، تاريخ المصريين ( ۲۱۳ )، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.، ص ۱۳۸، ۱۳۹.

<sup>(</sup>٢) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى في عصر سلاطين المهاليك، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٧٥.

<sup>(</sup>٣) حامد زيان غانم، الأزمات الاقتصادية والأويئة في مصر عصر سلاطين الماليك، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٥.

<sup>(</sup>٤) حياة ناصر الحجى، أنهاط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتهاعية في سلطنة الماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع والخامس عشر الميلاديين، الكويت، ١٩٩٥ م، ص ٦٧.

<sup>(</sup>٥) أحمد ها شم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠٩.

<sup>(</sup>٦) إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين الماليك، ص ١٥٣.

كل ما كان يحدث من مؤثرات سواء أكانت سلبية أم إيجابية (۱)، وهذا أدى إلى عدم استقرار أحوال البيع والشراء؛ حيث شهدت جدة في عصر الجراكسة بعض الأزمات الاقتصادية، التي ترجع أسبابها إلى السياسة المملوكية تجاه الحجاز أو لأسباب أخرى مثل الإجراءات الاقتصادية التي اضطر السلاطين إلى تنفيذها (۱)، ومن هذه الإجراءات التي أدت إلى كثير من الأزمات سياسة الرمى أو الطرح، حيث إن السلاطين لم يقتنعوا بها فرضوه من ضرائب مباشرة على السلع أو على الأسواق والتجار، ولكنهم عمدوا إلى احتكار بعض السلع وفرض شرائها بالأسعار التي يحدونها على أتباعهم والمتعاملين معهم، وكان هذا هو نظام الرمى أو الطرح (۱).

واتصف عصر السلطان برسباى، بكثرة الاحتكارات والمكوس، فقاسى الناس من الضرائب الباهظة، وعانى التجار من جراء احتكارات السلطان الكثيرة للبضائع الغالية الثمن مثل الفلفل والسكر وغيرها(٤٠).

وقد علق ابن خلدون على احتكار السلاطين التجارة قائلًا: "إن التجارة من السلطان مضرة للرعايا مفسدة للجباية، وهو غلط عظيم، وإدخال الضرر على الرعايا، من وجوه متعددة منها مضايقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع"(٥).

كما انتقد ابن خلدون تصرفات الحكام، واعتبره من المنافسات غير المشروعة، واحتكار لأقوات الرعية، لأن الرعايا متكافئون في اليسار متقاربون، ومزاحمة بعضهم بعضًا تنتهى إلى غاية موجودهم فإذا رافقتهم "نافسهم" السلطان في ذلك، وماله أعظم كثيرًا منهم، فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته "(١).

<sup>(</sup>١) حياة ناصر الحجي، أنهاط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتهاعية في سلطنة المهاليك، ص ٢٤٦.

<sup>(</sup>٢) على السيد على، الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين الماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٣٨، ٣٩.

<sup>(</sup>٣) على السيد على، الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين الماليك، ص ٤١.

<sup>(</sup>٤) حياة ناصر الحجي، أنهاط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة الماليك، ص ٢٥٤.

<sup>(</sup>٥) ابن خلدون، المقدمة، ج ١، ص ١٩٧؛ انظر أيضًا: عثمان على محمد عطا، الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، ص ١٣٨.

<sup>(</sup>٦) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٥، ٢٤٥.

وقد جعل برسباى الاحتكار سياسة رسمية للدولة. ففى سنة ١٤٣٠م ١٤٣٠م أرسل السلطان المراسم إلى الشام والحجاز والإسكندرية بألا يبيع أحد البهار ولا يشتريه إلا السلطان، وحافظ السلاطين من بعده على تلك السياسة، مثل: قايتباى والغورى، عاكان له أثره السيئ على اقتصاديات الدولة (١٠). كما كانت سياسة السلطان برسباى ترمى إلى أن يستأثر بجميع المكوس، التى يتم تحصيلها عن السفن الواردة إلى بندر جدة، ولم يفرق بين التجارة الهندية الواردة من اليمن برًا، وبين التى تصل من الهند إلى جدة مباشرة (١٠).

أثرت هذه السياسة على تجارة الكارم (٣)، حيث أعداد الكارمية في النقص، حتى إنه لم يعد يظهر منهم أحد في الأسواق المصرية منذ سنة ٩٥٨هـ/ ١٤٥٥ م، كما أن المصادر لم تذكر عنهم شيئًا منذ سنة ٩٨٨هـ/ ١٤٨٤ م، وهكذا قضى الاحتكار على هذه الطبقة التي تمثل الرأسهالية التجارية، والتي كان في مقدرتها إعانة الدولة ماديًا على مواجهة الأخطار الخارجية التي تعرضت لها، خصوصًا في الفترة التي خوت فيها خزانة الدولة من الأموال (١).

<sup>(</sup>١) عثران على محمد عطا، الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، ص ١٤١.

<sup>(</sup>٢) محمد أمين صالح، التنظيات الحكومية لتجارة مصر في عصر الماليك الجراكسة، ص ٨٦.

<sup>(</sup>٣) الكارمية: أرجع البعض أصلهم إلى كلمة الكانم نسبة إلى إحدى الفرق السوادنية المشتغلة بهذة التجارة بينا أرجع آخرون نسبتهم إلى لفظة Kuararima الأمهرية وتعنى الحبهان وهو تابل تاجروا به كذلك أرجعهم آخرون إلى اسم السلعة التى كانوا يجلبونها وهى العنبر أو الكارم وذهب البعض إلى أن نسبتهم ترجع إلى أصل هندى؛ لأن لغة جنوب الهند (التاميل) توجد بها كلمة كاريام Kaeyam وتعنى الأعمال أو الأشغال وعلى خلاف ما سبق ذكر الشاطر بصيلى أن الكلمة من مقطعين: كار بمعنى الحرفة أو العمل أو التجارة أو الوظيفة ويم بمعنى المحيط أو البحر، ثم أسقطت العامة حرف الياء فأصبحت كارم وتعنى حرفة التجارة في البحر ويدا مؤلاء نشاطهم في المحيط المختلف المنادى، ثم أسسوا لهم مراكز على ساحل الخليج العربي والبحر الأحر وإلى جانب كونهم مسلمين كان فيهم أيضًا يبود. انظر: صبحى لبيب، التجارة الكارمية ونجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، مايو ١٩٥٢م، ص ٢٠ علية المعرية، المجلد الثاني والعشرين، أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرين، والعشرين، والعرب من واتع وثائق الجنيزة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرين، والعشرين، والعرب من واتع وثائق الجنيزة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرين، والعشرين، والعشرين، والعرب من واتع وثائق الجنيزة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرين، والعشرين والعشرين، والعشرين والعشرين، والعشرين والعشرين، والعشرين، والعشرين والعشرين، والعشرين والعشرين والعشرين، والعشرين وا

<sup>(</sup>٤) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر الماليك الجراكسة، ص ١٠٠.

ولا شك أن هذه السياسة الاحتكارية كان لها أثر سيئ على الأحوال في الحجاز بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص؛ حيث أدت إلى ارتفاع الأسعار وقلة البضائع المعروضة، مما زاد من وقوع الاضطرابات والفتن.

## ب- فرض المكوس

المكوس جمع مكس، وقد عرفت الضريبة التى تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق أو الأموال التى تحصل لموظفى الدولة وللديوان باسم المكوس منذ الدولة الفاطمية (۱). والمكوس مورد غير شرعى لا يوجد لها سند شرعى، اعتمد عليه سلاطين الماليك فى فرضها، كما لم تكن جميع المكوس من ابتكار عصر سلاطين الماليك، بل كان بعضها موروثاً عن العصور السابقة (۱).

والمكوس بدايتها إجراء استئنائي، ثم أصبحت مبدأ معترفًا به بفتوى شرعية، كما لم تعد إجراء وقتيًا يلغى بعد تحسن الأحوال، حيث أدرك السلاطين قدر المبالغ التي يجنيها أمراء الحجاز من التجار والحجاج، إلا أنهم قد ألغوا المكوس على الحجاج وعلى أهالى الحرمين الشريفين تقديرًا لظروفهم، وبقى ما كان على التجار (٣). وقد صار المكس على التجارة تقليدًا متبعًا يقوم الأشراف بتحصيله، ويدور الصراع بينهم على نصيب كل أمير فيه (١٤)، حيث كان للأشراف حق تحصيل المكوس لصالحهم من التجار الذين يأتون أمير فيه (١٤)، حيث كان للأشراف حق تحصيل المكوس لصالحهم من التجار الذين يأتون برًا من اليمن بحرًا.

وقد تعارضت مصالح الأشراف مع سلاطين الجراكسة، في أحقية كل منهما في هذا المورد<sup>(ه)</sup>، فقام سلاطين المهاليك بتعويض أمراء الأشراف عنه، لكن هؤلاء لم يقنعوا

<sup>(</sup>١) توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر في العصر المملوكي، ص ١١٦.

<sup>(</sup>٢) سوزان مصطفى محمد، الأوضاع السياسية والحضارية لمصر فى عصر السلطان أبو سعيد الظاهر جقمق (٢٤٨-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٥٣م)، الجزء الأول، وسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، إشراف أ.د/ عبد العزيز محمود عبد الدايم، أ.د/ رأفت محمد النبراوي، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ١٠٠١م، ص ٨٨.

<sup>(</sup>٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٦٩، ١٧٠٠؛ آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢٠.

<sup>(</sup>٤) المقريزى، السلوك، ج ٢، ٨٨٧؛ انظر أيضًا: أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١١٦.

<sup>(</sup>٥) محمد أمين صالح، التنظيات الحكومية لتجارة مصر في عصر الماليك الجراكسة، ص ٨٥.

بذلك، حيث كانوا ينتهزون أى فرصة لتجديد فرضها، على الرغم من وصول الأموال الخاصة بهم مع ركب الحاج المصرى (١٠) كذلك لم تكن هذه المكوس ثابتة بل قابلة للزيادة والنقصان حسب حاجة السلاطين إلى المال وحسب كمية الموارد (١٠). ويذكر الفاسى أن المكس كان يفرض على كل ما يدخل مكة والمدينة، حيث يؤخذ على كل ما يؤكل وما يجلب من الحبوب والخضراوات والثهار والغنم والخشب، إضافة إلى كل ما يباع من السمن والعسل والثياب وغيرها (١٠).

فمنذ القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى استغل سلاطين الماليك الجراكسة مركزهم فى بلاد الحجاز فجعلوا المكوس من موارد الخزينة السلطانية فى مصر، ويرى بعض الباحثين أن هذا التصرف من جانب سلاطين الماليك، كانت له أسبابًا قوية فحالة دولتهم الاقتصادية منذ بداية القرن التاسع الهجرى دفعت السلطان برسباى إلى احتكار التجارة وفرض المكوس وغالى من جاء بعده من السلاطين فى تطبق هذه السياسة(1).

فقد شهدت سنة ١٨٥هـ/ ١٤٢٦م لأول مرة ما يعرف في اصطلاح جامعى الضرائب في العصر الحديث باسم ( الازدواج الضريبي )، وتحصيل الضرائب أكثر من مرة في أكثر من مكان واحد، فعلى أثر إجهار النداء وقتها في يوم عرفة لجميع الناس "أن من اشترى بضاعة للتجارة وسافر بها إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان "(٥)، كان مما جعل التجار القادمين من الشام يسافرون عند العودة مع المحمل المصرى، ليؤخذ منهم مكوس بضائعهم، ولما تم ذلك عادوا إلى بلادهم بالشام فأخذ منهم المكس ببلادهم مرة أخرى، في سابقة تعد الأولى من نوعها، ولم يسع التجار إزاء تلك الإجراءات إلا الخضوع أو التحول إلى عدن، فخشى السلطان برسباى أن يتحول التجار إلى ميناء عدن، فقرر تخفيض المكوس على التجار الواردين لمكة (١).

<sup>(</sup>١) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١١٨.

<sup>(</sup>٢) توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر في العصر المملوكي، ص ١١٥.

<sup>(</sup>٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٨٥.

<sup>(</sup>٤) آمنة حسين محمد على جلال، طرق الحج وموافقه، ص ٢٢٠.

<sup>(</sup>٥) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٧٢٢؛ أنظر أيضًا: إبراهيم حلمي، المحمل، مكتبة التراث الإسلامي، د. ت.، ص ٢٥٤.

<sup>(</sup>٦) إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين الماليك، ص ١٥٦.

وهكذا كان يأتى إلى مصر وحدها كل ما يرد إلى البحر الأحمر من بهار المحيط الهندى، لا لكى يحتكره السلطان بل لكى يحصل على رسوم جمركية أخرى، وذلك خلاف ما حدث من قبل في جدة ثم في الطور ثم في القاهرة، وتؤخذ الضرائب مرة رابعة عند رجوع التجار ببضاعتهم إلى الشام(۱).

وإذا كان سلاطين الماليك قد فرضوا المكوس على التجارة بالحجاز واحتكروها - عا أدى إلى ارتفاع الأسعار - إلا أنهم اهتموا بشئون الحرمين، وألغوا ما كان يجبى من الحجاج ومن أهالي الحرمين، ولم يخفف ذلك من مرارة ما فرضوه من مكوس على تجارة الحجاز (٢٠).

لقد استغل سلاطين الجراكسة ازدهار أحوال التجارة في بلاد الحجاز في بعض الفترات لصالحهم، وسعوا إلى بسط سلطتهم لتحصيل الضرائب والمكوس، واحتكار التجارة لما تعود به عليهم من ثروات، كانت دولتهم في أمس الحاجة إليها في فترات سوء أحوالها الاقتصادية، إلا أن سياسة الاحتكار للتجارة، وإن كانت قد حققت لسلاطين الماليك أرباحًا وافرة، إلا أنها عادت على البلاد بأوخم العواقب، وكانت إحدى عوامل سقوط دولة سلاطين الماليك الجراكسة (٢).

حيث امتنع التجار عن المجيء إلى مكة والمدينة عن طريق جدة، إضافة إلى أن البرتغاليين حالوا الوصول إلى منابع هذه الثروة مباشرة دون مرورها عن طريق البحر الأحمر، وهو ما أدى فى النهاية إلى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة البحر الأحمر، وهو ما أدى فى النهاية جدة يفقد أهميته الاقتصادية وبدأ فى الانهيار (١٤)، ٩٧هـ/ ١٤٢٩م، حيث بدأ ميناء جدة يفقد أهميته الاقتصادية وبدأ فى الانهيار ويمكن القول إن البحر الأحمر لم يحظ فى تاريخه الطويل خلال العصور الوسطى بنشاط تجارى، بمثل ما حظى به خلال العصر المملوكى.

<sup>(</sup>١) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر الماليك الجراكسة، ص ٩١.

<sup>(</sup>٢) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢١.

<sup>(</sup>٣) آمنة حسين جلال، المرجع نفسه، ص ١٩٢.

<sup>(</sup>٤) فاروق أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٢٨هـ ١٣٨٩هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٦٩ أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١١٠.

# ج\_ تأمين طرق التجارة

بذل سلاطين الماليك الجراكسة جهدًا كبيرًا لتأمين طرق التجارة ببلاد الحجاز بصفة عامة، والمدينة المنورة بصفة خاصة، حيث أرسلوا الكثير من الحاميات لتأمين طرق التجارة البرية، في مرافقة الحاج ولصد أي اعتداء من الأعراب، كما كان لتأثير الظروف الجديدة لبلاد الحجاز وما صاحب ذلك من ازدهار اقتصادي، أن وجد سلاطين الماليك أنه من الأفضل وجود قوة لهم في موانئ الحجاز، وخاصة جدة عند وصول البضائع إليها لضبط الأمن (۱)، كما عملوا على الإشراف على جباية المكوس؛ حيث كان يقيم في جدة موظف تابع للسلطان.

يتبين من ذلك ضعف اعتهاد السلاطين على أمراء الججاز، رغم أنهم كانوا فى كثير من الأحيان يحملون لقب نائب السلطنة (٢)، ففى بداية دولة المهاليك الجراكسة اهتم السلطان برقوق بالحجاز، وأن يكون أمراؤه وخاصة فى مكة شخصية قوية يدين له بالطاعة، حتى يضمن أمان طرق تجارة البحر الأحمر، ذلك لأنه اعتمد على التجارة كمورد مهم من موارده، فضلًا عن أنه احتكر بعض السلع التجارية (٢).

كذلك قام سلاطين الماليك، بالتصدى لمحاولات البرتغاليين الدخول إلى موانئ البحر الأحمر؛ حيث أرسل السلطان الغورى سنة ٩١١هـ/ ٩٠٥م حملة بحرية بقيادة الأمير حسن الكردى بخمسين سفينة، فقام الأخير بتحصين ميناء جدة، وإنشاء الأبراج الدفاعية وجهزها بالمعدات الحربية؛ لأن جدة هي مفتاح الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)(١).

<sup>(</sup>۱) أحمد عبد الحميد خفاجى، موقف مصر من الحجساز في عصر الماليك الجراكسة ( ۸٤٢-۹۲۳هـ/ ١٤٣٨ - ١٥٦٨) من دا ١٥٦٨ ، ص ١٦٠

<sup>(</sup>٢) ك. سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٤.

عه من ذلك أنه في سنة ١١٨هـ أضاف السلطان الناصر فرج إمارة المدينة المنورة وإمارة ينبع وإمارة خليص والصفراء وأع الحم إلى الشريف حسن بن عجلان أمير مكة، وكتب له بذلك توقيعًا وهذا شيء لم ينله أمير مكة قبله في هذا الزمان. انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٧٤.

<sup>(</sup>٣) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة الماليك الثانية، ص ١٥٥٠.

<sup>(</sup>٤) أحمد دراج، الماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٣٧٤ إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين الماليك، ص ١٨٣.

## ثالثًا ـ أثـر الأوقـاف والصـدقـات عـلـى الحـيـاة الاقتصادية في المدينة المنورة

للفقهاء تعريفات كثيرة للوقف (۱)، اختار الشيخ محمد أبو زهرة ما قاله ابن حجر فى فتح البارى، ووصفه بأنه أجمع تعريف لمعانى الوقف، وهو أنه: "قطع التصرف فى رقبة العين التى يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً "(۱)، فنظام الوقف شديد الارتباط بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلى جانب ارتباطه الوثيق بالجوانب الروحية والأخلاقية (۱).

وعند قيام دولة الماليك في مصر، في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كان نظام الوقف نظامًا راسخًا داخل المجتمع، وانعكست آثاره في النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، لذلك كان العصر المملوكي هو العصر الذهبي لنظام الوقف().

<sup>(</sup>۱) الوقف في اللغة: يعنى الحبس والمنع وقفت الدار وقفًا؛ أي حبستها في سبيل الله والجمع أوقاف وهو مصدر من وقف ويستعمل في الأمور الحسية والمعنوية فمن استعاله في الأمور الحسية مثل قول: وقفت حياتي على الدراسة أو أو الطائرة إذا امتنعت عن السير ومن استعاله في الأمور المعنوية مثل قول: وقفت حياتي على الدراسة أو على تربية الأولاد وقد الشيمر المصدر أي الوقف من الموقوف فقيل هذه الدار وقف أي موقوفة ولذا جمع على أفعال فقيل وقف وأوقاف كوقت وأوقات الوقف في الاصطلاح: اختلف أئمة الفقهاه في تعريف الوقف ومرجع ذلك الاختلاف هو اختلافهم في فهم المعنى المراد من قول الرسول ولله للعمر بن الخطاب ويخوف ومرجع ذلك الاختلاف هو اختلافهم في فهم المعنى المراد من قول الرسول ولله لعمر بن الخطاب نيخ الفقف وفيها يلى بعض تعريفات أثمة الفقهاه، الإمام أبو حنيفة عرف الوقف بأنه: حبس العين عن ملك الواقف والتصدق بمنفعتها على جهة من جهات البر في الحال أو المآل أي أنه تبرع بريع العين تبرعًا غير لازم مع بقاء العين نفسها على ملك الواقف ومع بقائها عكر لأى تصرف تمليكي من مالكها وكل ما يترتب على الوقف هو: التبرع بالمنفعة ومن ثم فإن الوقف في مذهب أبي حنيفة تصرف غير لازم ". انظر: عبد الواحد محمود التبرع بالمنفعة ومن ثم فإن الوقف في مذهب أبي حنيفة تصرف غير لازم ". انظر: عبد الواحد محمود عبد الله يوسف، الوقف ودوره في تنمية المجتمع، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، إشراف مستشار/ محمد شوقي الفنجري، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٣٥- ١٥.

<sup>(</sup>۲) إبراهيم البيومى غانم، الأوقاف والسياسة ق مصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص. ٤٥.

<sup>(</sup>٣) إبراهيم البيومي غانم، المرجع نفسه، ص ٤٦.

<sup>(</sup>٤) محمد محمد أمين، الأوقى العند والحياة الاجتهاعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، دراسة تاريخية وثائقية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٧٠.

من ناحية أخرى اهتم سلاطين وأمراء الماليك، وسائر أفراد المجتمع، بالوقف على مصالح الحرمين الشريفين بصفة عامة، والمدينة المنورة بصفة خاصة؛ حيث شكل الوقف موردًا اقتصاديًا مهمًا في المدينة المنورة (١).

وتحققت الكثير من المنافع من ريع الأوقاف، فأنفق منها على عمليات شراء الطعام والحبوب والملابس ومواد البناء وغيرها، مما أنعش الحياة الاقتصادية وأحدث رواجًا في الأسواق، وكذلك ساعدت الأوقاف على ازدهار طرق التجارة، بها وفرته من رعاية لطرق ركب الحاج البرى والبحرى، تتمثل في حفر الآبار وتمهيد الطريق خدمة للحجاج(٢)، ففي سنة ٢٩٧هه/ ١٣٩٠م خلال سلطنة برقوق الثانية، وقد عرف عنه أنه كان كثير الصدقات، أوقف ناحية بهتيت(٢) على سحابة(١٤) تسير مع قافلة الحج في كل سنة، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج، وتصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابًا وإيابًا(٥).

كها أوقف على الحرمين الشريفين، في كل سنة ثلاثة آلاف إردب قمح تفرق فيهما، وفي أوقات الغلاء، يفرق كل يوم أربعين إردبًا يصنع منها ثمانية آلاف رغيفًا، فلم يمت

<sup>(</sup>١) أحمد هاشم بدر شيني، أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة، ص ١٠١.

<sup>(</sup>٢) أحمد هاشم بدر شيني، المرجع نفسه، ص ١٠٢.

<sup>(</sup>٣) بهتيت: هي بهتيم من ضواحي محافظة القليوبية (رمزي، القاموس الجغرافي، ص ١٢) وهي من المدن المصرية القديمة اسمها المصرى "حتب حيم " بها آثار قديمة والقبطي " بهتيت " وذكرها ابن دقياق في كتاب الانتصار فقال: "بهتيت من المدن القديمة وبها كيهان وآثار قديمة وهي إلى جانب قرية الأميرية من ضواحي القاهرة وذكرها المقسريزي في (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٢٠) عند الكلام على ضواحي القاهرة باسم بهتين ثم حرف اسمها بعد ذلك من بهتيت وبهتين إلى بهتيم وهو اسمها الحالي وهي الآن قرية زراعية من قرى ضواحي القاهرة وقد اتخذت الجمعية الزراعية الملكية جزءًا من أراضي هذه البلدة حقولًا للتجارب الزراعية وأنشأت بها مزرعة نموذجية كبيرة وحظائر لتربية الخيول العربية وأنواع البقر والجاموس والأغنام والدواجن وغيرها وتقع بهتيم في شهال القاهرة على بعد سبعة كيلو مترات ومساحة أراضيها ٢٦٣٢ فدانًا وسكانها قرابة ٢٠٠٠ نسمة بها فيهم سكان العزب التابعة لها وعددها للبلاد المصرية، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٥ م، ص ١٢٠

<sup>(</sup>٤) السحابة: يريد بالسحابة هنا طائفة عن يرافقون الحاج للمحافظة عليه.

<sup>(</sup>٥) ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٠٨.

فيه أحد من الجوع(١١)، وفي سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م حج صاحب كلوة الملك المنصور حسن(٢)، وأحسن إلى أعيان مكة والمدينة(٣).

وفى سنة ٤ ٨٦هـ/ ١٤٢١م أرسل مراد الثانى العثمانى (أ) ثلاثة آلاف و خمسائة دينار من ماله الخاص لفقراء الحرمين (٥)، وكذلك ما مقداره ٣٥٠٠ فلورين، كما أوقف محاصيل القرى الواقعة فى منطقة باليق حصار من أعمال أنقره لفقراء الحرمين الشريفين، وأوصى عند وفاته بتخصيص ضعف المبلغ المذكور أعلاه، مناصفة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة (١).

وفى سنة ٩ ٨٦هـ/ ١٤٢٥م بعث الأشرف برسباى، مركبًا فيه قمح صدقة على أهل الحرمين (٧) وأمر عليها الأمير أقبغا التركهانى (٨) حيث بدأ بالمدينة المنورة، وفرق خمسهائة إردب قمح على القضاة والعلماء والفقهاء والخدام والأشراف والأيتام والأرامل، ثم وصل إلى مكة وفرق بها ما عم أهلها (٩)، كذلك فإنه في سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م وصل

<sup>(</sup>۱) ابن تغری، النجوم الزاهرة، ج ۱۲، ص ۱۰۹.

<sup>(</sup>٢) الحسن بن سليمان " ٧٩٣- ٨١٥هـ/ ١٣٨٩- ١٤١٢م " سلطان كلوة الإسلامية التي تنتسب إلى مدينة كلوة التي أنشئت في أواخر القرن الرابع الهجرى على أرجح الأقوال على الطرف الشهالي الغربي لجزيرة صغيرة تقع أمام الساحل الشرقي لإفريقية وتعرف بهذا الاسم أيضًا وتقع على بعد نحو ٢٤٠ كيلو مترًا إلى الجنوب من مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا الحائية. انظر: سليمان عبد الغني مالكي، سلطنة كلوة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٧٥٥.

<sup>(</sup>٣) الجزيرى، درر الفرائد المنظمة، ج ١، ص ٦٨٢.

<sup>(</sup>٤) مراد الثانى العثماني ابن السلطان محمد بن يلدرم تسلطن سنة ٨٢٤هـ وكان ملكًا مطاعًا وصدقاته كثيرة للحجيج ومدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة. انظر: عبد الله بن حسين العصامي، سمط النجوم العوالي في معرفة الأوائل والتوالي، الجزء الرابع، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص ٢٥، ٦٦.

<sup>(</sup>٥) عائشة مانع عبيد العبدلى، إسارة الحج فى عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة ( ٦٤٨– ٩٢٣هـ )/ (١٢٥٨–١٥١٧م )، دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير فى التاريخ الإسلامى، إشراف د/ جميل عبد الله المصرى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1٤١هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٢٠.

 <sup>(</sup>٦) محمد عبد اللطيف حريدى، شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية،
 ص ١١٠.

<sup>(</sup>٧) عائشة مانع عبيد العبدل، إمارة الحبج في عصر الدولة المملوكية، ص ١٢٠.

<sup>(</sup>٨) أقبغا التركّمانى الناصرى فرج: أمره الأشرف بوسباى أمير عشرة وولاه إمرة الحج ثم نيابة الكرك وكان كريمًا توفى سنة ٨٤٣هـ. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٦.

<sup>(</sup>٩) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٣٤.

الشيخ عبد الرحمن المذكو من بلاد كلبرجة (١١)، ومعه الكثير من الصدقات محملة فى المراكب لأهالى الحرمين، ومال يشترى به حدائق فى المدينة المنورة، توقف على أشراف المدينة، كما فرق على أهالى المدينة بعض المال(٢).

كها قام الأمير شاد بك الجكمى (٣) أمير الحاج لسنة ١٤٣٩هـ/ ١٤٣٩ م، بصحبة الأمير حسن ناظر الإسكندرية، بتوزيع كثير من الذهب والدقيق والحلوى والسكر على الفقراء والمنقطعين.

وفى سنة ، ٨٥هـ/ ١٤٤٦م، خلال قيام وزير السلطان العثماني مراد الثاني، بأداء فريضة الحج، حمل معه مالًا جزيلًا للمستحقين في الحرمين(؛).

لم يكتف العثمانيون بذلك بل عقدوا معاهدة مع سلاطين الماليك سنة مهم العثمانيون بذلك بل عقدوا معاهدة مع سلاطين الماليك سنة ١٤٩٠هم المعرب الشريفين إلى الإسكندرية، وورد في "عاشق باشا" الأمر بإرسال الرئيس كمال إلى الإسكندرية بغلال الحرمين الشريفين سنة ٩٠٣هم ١٤٩٧م (٥).

ولما كانت المدينة تمتاز بكثرة الآبار والعيون، فقد أسهمت الأوقاف في تحسينها وتعميرها وتجديدها، حتى يعظم النفع منها، لذلك قام السلطان قايتباى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م بترميم عين الزرقاء في المدينة، على يد شمس الدين بن الزمن،

<sup>(</sup>١) كلبرجة: تقع بإقليم الدكن بالهند يحكمها في ذلك الوقت ملوك آل بهمان وهم مسلمون وساحلها الديبل. انظر: ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٩٢٩.

<sup>(</sup>٢) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٢١ الجزيرى، درر الفرائد المنظمة، ج ١، ص ٧١٧.

<sup>(</sup>٣) الأمير شاد بك بن عبد الله الجكمى أحد المقدمين الألوف تنقل في الخدم إلى أن صار أمير طبلخانه وثانى رأس نوبة في دولة الأشرف برسباى انضم إليه الظاهر جقمق بإمرة منه وتقدمه ألف توفى مقهود في شهر ربيع الأول عام ٥٤٨هـ. انظر: ابن تغيرى بردى، الدليل الشافى على المنهل الصافى، الجزء الأول، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٣٩٩ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٨٩.

<sup>(</sup>٤) عائشة مانع عبيد العبدلى، إمارة الحبح في عصر الدولة المملوكية، ص ١٢٢.

<sup>(</sup>٥) عمد عبد اللطيف هريدي، شئون الحَرمين الشريفين في العهد العثماني، ص ١٢.

وبإصلاحها جرى ماؤها إلى المدينة، عاكان له أثره على الحياة المعيشية والاقتصادية لأهل المدينة (١٠).

ولعل من أهم أنواع الأوقاف ذات التأثير الكبير على الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة.

### \* وقـف الدشيشة الكيرى(٢)

هى أكبر الأوقاف للحرمين الشريفين عامة ولأهل المدينة خاصة، التى خصصها السلاطين الجراكسة داخل مصر، ويذكر أحد الباحثين الأجانب عن مؤسس وقف الدشيشة الكبرى أنه هو محمد بك جراكسة قائلًا: "وقد كان وقف السلطان محمد بك جراكسة حراكسة حاكم مصر الأسبق قد أسس وقف دشيشة كبرى واحترم تصرفه هذا السلطان سليم ".

قام الدكتور عمد على فهيم بيومى بتحليل ذلك قائلًا إنه إذا كان هذا الباحث يرى أن محمد بك جراكسة هو المؤسس لوقف الدشيشة الكبرى، فإن أحد الباحثين المصريين يرى أن " أصل هذا الوقف ما أنشأه السلطان جقمق والسلطان الأشرف قايتباى ".

وقال فى تحقيق ذلك أنه بالبحث عن اسم محمد بك بين مماليك الجراكسة، لم يجد غير الصالح محمد بن ططر<sup>(١)</sup>، الذى حكم أربعة أشهر وأيام، وهى ليست مدة كافية

<sup>(</sup>۱) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٨، ص ٢٦، ٢٦١؛ الفاسى، شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٤؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ٢١٠؛ أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

<sup>(</sup>۲) الدشيشة: في الأصل حساء بهريسة القمح واللحم كان يطلق على أوقاف الحرمين الشريفين أوقاف الدشايشة مع إن الأوقاف كانت لإطعام أهالي الحرمين الدشيشة وغيرها أشار إليها ابن إياس بقوله: "لما حج السلطان أشرف قايتباى سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م رأى أهل المدينة المشرفة في فاقة زائدة من عدم الأقوات فنذر أن يفعل بالمدينة خيرًا يكون مستمرًا من بعده فأخرج من ماله الخاص ليشترى به ما يوقفه على هذه المدينة من ضياع وأماكن وربوع وغير ذلك ما يصنع بالمدينة في كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك كما يفعل بمدينة الخليل عليه السلام". انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٥؛ انظر أيضًا: مصطفى محمد رمضان، وثانق مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، من أبحاث المؤتمر الدول لتاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ص ٢٧١. المصالح عمد بن ططر: هو الملك الصالح ناصر الدين أبو السعادات بن الظاهر تسلطن في يوم موت أبيه

لإنشاء وقف ضخم مثل وقف الدشيشة الكبرى، ومن المستبعد أن يكون هو صاحب هذا الوقف، كما أن محمد بن ططر لم ينسب إليه وقف لا على الحرمين الشريفين ولا على غيرهما، وإن أول إشارة إلى الدشيشة كانت في عصر السلطان جقمق، على حسب قول السخاوى: "وقرر لأهل الحرمين دشيشة للفقراء في كل يوم، ولكثير منهم رواتب الذخيرة كل سنة "(۱).

ومنه يتضح أن السلطان جقمق هو المؤسس الحقيقى لهذا الوقف، تبعه فى ذلك السلطان قايتباى، الذى أضاف إليه العديد من الأوقاف، ومن خلال ذلك نصل إلى أن ما ذكره الباحث الأجنبى ليس ذا محل، كما أنه ليس السلطان قايتباى الذى تولى السلطنة بعد جقمق بخمسة عشر عامًا تقريبًا، وإنها المؤسس الحقيقى لهذا الوقف هو السلطان جقمق، يؤكد ذلك وثيقة وقفه التى تبين أنها تؤول إلى الحرمين الشريفين فى حالة فقد الذرية، وربها كان ذلك هو ما حدث، وهو ما ذهب إليه كذلك الدكتور إستانفورد شو<sup>(7)</sup>، كما أشارت حجة وقف قايتباى بالصرف على تجهيز سماط لعمل الدشيشة والبر فى المدينة المنورة المنافرة المنورة المنافرة المنورة المنافرة المناف

كذلك أشار السمهودى بقوله: "وقد شرعوا في عهارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة ووكالة ذات حواصل في الدُّور التي اشتراها قبل ذلك السلطان من دُور العباسة... ثم كتب إلى بعض الثقات بتحصيل ربع الأماكن التي اشتراها بالقاهرة وأن متحصلها سبعة آلاف إردب وخسهائة إردب من الحب كل سنة... فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه بحسب عدة عياله لكل فرد سبعة إرادب مصرى... وسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد..."(١٤).

سنة أربعة وعشرين وثمانهانة وخلع في سنة خس وعشرين وثمانهانة، وكانت مدته أربعة أشهر وأربعة أيام وقيل ثلاثة أيام. انظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٧٠.

<sup>(</sup>۱) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧٣.

<sup>(</sup>٢) محمد على فهيم بيومى، تخصصات الحرمين الشريفين في مصر، ص ٦٦.

<sup>(</sup>٣) حجة وقف السلطان قايتباي المؤرخة في ١٥ من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ وثيقة رقم ( ٨٩٠ ق ) الأوقاف.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٦٤٤، ٦٤٥.

## \* وقـف الخاصكية القديـم(١)

من أوقاف سلاطين الجراكسة (٢)، ولا يعرف على وجه اليقين من أنشأ وقف الخاصكية القديم، ولا يعرف كذلك ما علاقة الخاصكية بالوقف على الحرمين الشريفين (٢)، وقد أوقفت عليها أوقاف كثيرة في مصر (١).

### \* وقف الحرمين الشريفين

أنشأ وقف الحرمين الشريفين أحد السلاطين الجراكسة، ربها الملك الناصر (٥) أو أمه خوندور قان (١)، وقد اتفق الدكتور محمد على فهيم بيومى، مع الدكتورة هيلين آن ريفلين في أن وقف الحرمين الشريفين، لم يكن وقفًا واحدًا بل الأرجح، وكها تؤكد الوثائق أنه كان مجموعة من الأوقاف يندرج تحت ديوان الحرمين الشريفين، وذكر ويبدو أنه كان وقفًا في بدايته على الحرمين الشريفين لأحد السلاطين قبل العصر العثماني، وبعد ذلك كلها أوقف شخص وقفًا صغيرًا ألحقه بوقف الحرمين وهكذا.

۱۱۳ المينة المنورة

<sup>(</sup>۱) الخاصكية: جماعة يلازمون السلطان في خلواته وجولاته وربيا أتى هذا الاسم من أنهم يلازمون السلطان واسمهم مأخوذ من الاختصاص وهم يسوقون المحمل ويجهزون المهات الشريفة والخاصة. انظر: ابن شاهين، زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك، ص ٢١١ انظر أيضًا: مصطفى عمد رمضان، وثانق مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، من أبحاث المؤتمر الدولي لتاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، الرياض، ١٩٧٩م، ص ٧.

 <sup>(</sup>٢) يذكر شو خطأ أن وقف الخاصكية القديمة كان وقفًا واحدًا مع وقف الحرمين الشريفين وأنه الخاصكية القديمة وهذا أوقف أحد العثمانيين إبان الفترة المبكرة للحكم العثماني في مصر وهذا خطأ؛ لأن الوقف أجمعت المصادر القديمة على أنه من أوقاف الجراكسة

Stanford J.Shaw: the financial and administrative organization and development of Ottomone Egypt: 1517 - 1798: princton new jersey 1962: pp. 271 -272.

<sup>(</sup>٣) محمد على فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر، ص ٧٥.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، وقاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤.

<sup>(</sup>٥) ربها يقصد السلطان الناصر فرج بن برقوق الذى تولى السلطنة مرتين الأولى فى شوال سنة ٨٠١هـ وخلع منها فى سنة ٨٠٨هـ، ثم أعيد فى جمادى الآخرة سنة ٨٠٨هـ ومات بدمشق فى صفر سنة ٨١٥هـ. انظر: الملطى، نزهة الأساطين، ص ٢١٠، ٢١١، ١٢٢.

 <sup>(</sup>٦) أستيف، كتاب وصف مصر، النطام المالى والإدارى، الجزء الخامس، ترجمة/ زهير الشايب، دار الشايب،
القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١١٣ عمد على فهيم بيومى، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر، ص ٧٥،
 ٧٦.

كها يرى أحد الباحثين أن وقف الحرمين، عبارة عن كل الأوقاف المتناثرة للمهاليك والأعيان والأثرياء وحتى الفقراء (١)، حيث كان لما شاهده عصر المهاليك من ازدهار الظروف الاقتصادية، أثره على انتشار الأوقاف، فالرواج التجارى في مصر والحجاز، واستفادة المهاليك من احتكار التجارة؛ حيث جمعوا ثروات كثيرة، ساعدتهم على تنظيم الأوقاف سواء بدافع سياسى أو دينى (١).

وإن دلت هذه الصدقات والأوقاف على شيء، فإن أهم ما تدل عليه أنها تبين قدر اهتهام حكام وسلاطين وأمراء المسلمين، ليس بأمر المدينة المنورة فحسب، بل بالحرمين الشريفين وبلاد الحجاز عامة، كها يتبين أنها لم تكن ثابتة؛ لأنها تأتى من خارج الحرمين، إذ إنها كانت معرضة للأزمات، فالحالة الاقتصادية للمدينة كانت تسوء مع عدم نزول الأمطار، أو حدوث فتن داخلية أثناء موسم الحج، أو لاضطراب الأمن في الدولة الإسلامية عمومًا.

مع ذلك فقد ترتب على الوقف فى ذلك العصر، كما يرى البعض مدعاة للبطالة والبعد عن الحياة الجادة، حيث ترتب عليه كثير من النتائج الاقتصادية السيئة، فاعتماد البعض على موارد الأوقاف سواء أكانوا من أصحاب الاستحقاق أم أصحاب الوظائف من المقيمين بالأربطة والزوايا، كان مما قلل لديهم دوافع الرغبة فى العلم والإنتاج.

### رابعًا \_ الأزمات الاقتصادية وأثرها على المدينة المنورة

لم تكن الأوضاع الاقتصادية في الحجاز بصفة عامة، ومكة والمدينة بصفة خاصة،

<sup>(</sup>١) عمد على فهيم بيومى، غصصات الحرمين الشريفين في مصر، ص ٧٧.

<sup>(</sup>۲) يرى المستشرق Gatteschi أن نظام الوقف كغيره من النظم في الشريعة الإسلامية قد أخذ عن الشعوب التي كانت خاضعة لحكم الرومان ومنها مصر وأن معابد الرومان عديث إن نظام الأشياء المقدسة مساجد المسلمين - من حيث تأسيسها على الوقف - ورأيه هذا خطأ من حيث إن نظام الأشياء المقدسة - لدى الرومان - كان يشمل فقط المهد وما فيه من أدوات للعبادة ولا يشمل العقارات الأخرى ذات الربع التي تكون تابعة لتلك المعابد كها هو الحال في نظام الوقف هذا فضلًا عن أن الوقف من أعهال العبادة والتقرب إلى الله الواحد أما ما عرفه الرومان فقد كان من أعهال الوثنية ولمزيد من التفاصيل في تفنيد رأى جاتشى. انظر: عمد كامل الغمراوى، أبحاث في الوقف، ص ٣٣، ٢٣٤ إبراهيم البيومي غانم، الأوقاف والسياسة في مصر، ص ٨.

مستقرة فى عصر دولة الماليك، بل كانت أسعار السلع ترتفع وتنخفض، بحسب الظروف السياسية والاقتصادية والمناخية السائدة ببلاد الحجاز وما جاورها من بلدان (۱).

ولما كان الحجاز يعتمد على المطر فى رى معظم أراضيه، فكان سقوط الأمطار سببًا فى الرخاء الناشئ عن الزراعة، وانخفاض أسعار المحاصيل، وإذا قل المطر أو انعدم أجدبت الأرض وقحطت وجفت الموارد، وارتفعت الأسعار وساد الغلاء(٢).

كان حدوث الأزمات الاقتصادية في المدينة والحجاز بعامة، أمرًا متوقعًا رغم تدفق الصدقات والأوقاف والأعطيات، فالمدينة تعتمد على موارد غير ثابتة مرتبطة بالغير، والتي تظل معرضة لتغير الظروف والأحوال(٢٠).

وعندما كانت المدينة المنورة تتعرض لأزمات اقتصادية، نتيجة القحط والجفاف لعدم سقوط الأمطار، كانت مصر تسرع بإرسال الإمدادات والمعونات، واستضافة من يرحل إليها فرارًا من هذه الأزمات (أ)، ويذكر هور خرونيه أن أحد الجغرافيين المسلمين كتب يقول: "إن الحجاز يعتمد على مصر اعتهادًا كبيرًا خاصة فيها يتعلق بالمواد الغذائية" (٥). وبمرور الوقت زاد اعتهاد الحجاز على مصر (١)، وعلى الرغم من تدفق هبات وأعطيات سلاطين المهاليك لأمراء مكة والمدينة وأهل الحرمين طول العصر المملوكي، فإنه في بعض السنوات كانت الأمور تختل في مصر نتيجة انخفاض مياه النيل، مما كان يترتب عليه الجدب والمجاعة والوباء، وخاصة إذا توالى انخفاض الفيضان لبضع سنوات فتشح الأقوات وترتفع أسعار السلم والغلال (٧).

<sup>(1)</sup> Ashtor Eliyahu, East-West Trade In The Medieval Mediterranean Variorur Reprints, london, 1986, P. 291

<sup>(</sup>٢) صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٨٢.

<sup>(</sup>٣) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٢٠.

<sup>(</sup>٤) صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣١٥.

<sup>(</sup>٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٤.

<sup>(</sup>٦) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٤٣.

<sup>(</sup>٧) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢٧.

لم تكن الهبات والأعطيات لأهل الحرمين الشريفين، قاصرة فقط على سلاطين وأمراء وأعيان دولتهم، وإنها كان يتبارى فى تقديمها كل من هو قادر على أداء ذلك، من ملوك وسلاطين وأثرياء المسلمين، طلبًا للمثوبة وتخفيفًا من أعباء الحياة وشظف العيش عليهم، خاصة فى سنوات الجفاف التى تعز فيها الأقوات ويعم فيها الغلاء(١).

ومع ذلك فإن الأزمات الاقتصادية فى المدينة المنورة كانت قليلة بعض الشيء، وكان يخفف من حدتها إرسال الصدقات والأعطيات من الماليك إلى الحرمين بوجه عام والمدينة بوجه خاص (٢).

ومن أمثلة تلك الأزمات الاقتصادية التي تأثرت بها المدينة المنورة:

حدث سنة ٩٠٨هـ/ ١٤٠٣م حتى سنة ٩٠٨هـ/ ١٤٠٦م، أن انخفض نهر النيل، وانتشر الوباء وتفشت المجاعة، وكان لذلك أثره على أوضاع وأحوال بلاد الحجاز<sup>(١)</sup>.

سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، وقع القحط في مصر والحجاز والشام، وكانت أزمة طاحنة في مصر كما يقول المقريزي: "وطلب كل واحد شراء أكثر مما يحتاج إليه بحسب قدرته بمقتضى حاله من السعة والضيق فتفاقمت الشناعة وعظم الخطر"(1)، فانتهز التجار في مصر هذه الفرصة، وأخذوا يحولون الغلال من جميع بلاد مصر إلى الشام والحجاز، فأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار الغلال في مصر، ورخصها في بلاد الحجاز(٥).

سنة • ٨٣ه ما ١٤٢٦ م قلت الغلال في مصر وذلك يتكرر سنويًا حيث "أخذ أرباب الأموال في الاستكثار من شراء الغلال ظنًا منهم أن يبيعوها إذا طلبها المحتاجون بأغلى الأثهان "(١) ولا شك أن بعض من تلك الغلال كانت ترسل إلى بلاد الحجاز بأثمان مرتفعة.

<sup>(</sup>١) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢٨، ٢٢٨.

<sup>(</sup>٢) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقداف الحرمين الشريفين، ص ٢٠١، ١٠٧.

<sup>(</sup>٣) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٥٤.

<sup>(</sup>٤) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٣٣٢.

<sup>(</sup>٥) عنمان على محمد عطاً، الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، ص ١٥٥٠.

<sup>(</sup>٦) المقريزي، السلوك، ج٧، ص ١٧٤.

سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م، اشتد الغلاء بالحجاز لعدم هطول الأمطار (١٠)، كذلك فى سنة ٥٨هـ/ ١٤٥١م حدث غلاء بالأسعار فى الحجاز، حتى بيعت الغرارة من الحنطة بخمسة عشر دينارًا، وكذلك الذرة والدخن ثم كان الفرج لأهل الحجاز فى آواخر ذى القعدة (٢٠).

سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م اجتاح مصر وباء شديد، فتوقف بسبب ذلك إرسال الهبات والأعطيات (٢)، وفي سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م كان الغلاء شديدًا بالمدينة المنورة، نتيجة لغرق مراكب في ميناء الطور، كانت تحمل قمحًا للمدينة، وأثر ذلك على الحرمين الشريفين (١).

رغم ذلك فإن فترات الرخاء كانت تسود بلاد الحجاز، عندما تسقط الأمطار ويسود الأمن والرخاء، حيث تنخفض الأسعار فلم تكن هناك لذلك مجاعات (٥٠).

ولا يخفى دلالة هذا في التأكيد على أن سلطنة الماليك الجراكسة في مصر كانت تقف دائمًا بجانب أهل الحجاز بصفة عامة وأهل المدينة المنورة بصفة خاصة عند تعرضهم لأزمات اقتصادية.

<sup>(</sup>۱) المقريزي، السلوك، ، ص ۱۷۷.

<sup>(</sup>٢) السخاوى، التبر المسبوك، ج ٢، ص ١٣٤٧ ابن تغرى بردى، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، الجزء الثانى، تحقيق/ محمد كمال الدين عز الدين، د. ت.، ص ٣٤٣.

<sup>(</sup>٣) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٦٥.

<sup>(</sup>٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٠٣.

<sup>(5)</sup> Ashtor Eliyahu · East-West Trade In The Medieval Mediterranean, P. 291, 292.

# • الفصل الثالث

# الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة

أولًا \_ طبقات المجتمع

ثانيًا \_ مظاهر الحياة الاجتماعية

ثالثًا \_ المجاورون وأثرهم داخل مجتمع المدينة المنورة

رابعًا ـ الأوقاف والحياة الاجتماعية في المدينة المنورة

# أولًا - طبقات المجتمع

انتمسم مجتمع المدينة المنورة في عصر سلاطين الماليك الجراكسة إلى مجموعة متنوعة من الطبقات:

#### أ- طبقة الأشراف

هى الطبقة الأولى فى مجتمع المدينة المنورة، فالأشراف ينتسبون إلى سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ومنهم آل الحسن بمكة المكرمة وآل الحسين بالمدينة المنورة (١)، وقد بدأ ظهور طبقة الأشراف سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، حينها استقل أبناء الحسن والحسين بمكة والمدينة وتولوا أمور الحجاز (١)، وأصبح هذا اللقب يطلق على أمراء الحرمين الشريفين وأفراد عائلاتهم، فلم يكن هذا اللقب معروفًا فى بلاد الحجاز من قبل (١)، وتمتع الأشراف داخل المجتمع الإسلامي بمكانة عظيمة؛ حيث تمتعوا بالاحترام والتقدير من قبل الجميع، وقد سكن بعضهم المدينة المنورة وما حولها، وبعضهم سكن منعزلًا عن بقية السكان (١)، وكان اختيار أمير المدينة من بينهم لرفعة مكانتهم.

<sup>(</sup>۱) الفاسي، شفاء الغرام، ج ۲، ص ۱۹۶.

<sup>(</sup>۲) عمر بن فهد، إنحاف الورى، ج ۲، ص ٢٠٤؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا بأخبار الأثمة الفاطميين الحلفا، الجزء الأول، تحقيق/ جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٠١.

<sup>(</sup>٣) صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

<sup>(</sup>٤) أحمد بن محمد البرادعي، المدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٤هـ. ص ٥٥.

#### س- طبقة أصحاب الوظائف الدينية

هذه الطبقة كانت ذات شأن عظيم داخل مجتمع المدينة المنورة، وتتمثل في القضاة والخطباء والقراء والمؤذنين والأثمة وغيرهم (١٠).

وأجل تلك المناصب كان منصب القضاء، فهى الوظيفة الثانية بعد ولاية إمارة المدينة، فلابد أن يكون القاضى فى المدينة من كبار العلماء والفقهاء لعظمة وظيفته (٢)، حيث كانوا يختارون من رجال العلم وأهل الدين، ويقومون على تنفيذ الأحكام الدينية على كل الناس، وقد وجد فى المدينة قضاة لجميع المذاهب فكان لكل طائفة إمامها وقاضيها (٢)، كما تمتع القضاة بنفوذ كبير داخل الدولة وباحترام أمراء بلاد الحجاز، وكذلك سلاطين المهاليك بمصر، وعاش هؤلاء القضاة فى سعة من العيش نتيجة لما أغدقته الدولة عليهم (١).

وأما خطباء المدينة فهم يأتون بعد القضاة في مكانتهم، إلا أن السمهودى يحديثنا عن حال بعض الخطباء الذين خالفوا آداب الخطبة فقال: "فلما فرغ من الخطبة الأولى جلس جلسة خالف فيها جلسة الخطباء... هذا الخطيب القليل التوفيق... فمنهم من يطرح له الثوب النفيس... ومنهم من يمد يده بالدينارين... والخطيب في أثناء هذه الحال كلها جالس على المنبر... إلى أن كاد الوقت ينقضي والصلاة تفوت وقد ضج من له دين وإخلاص من الناس... حتى اجتمع له من ذلك السحت كوم عظيم فلما أرضاه قام وأكمل خطبته وصلى بالناس وانصرف"(٥)، وكما كان لكل طائفة قاض، كان لها إمام يؤمها في صلاتها، فلكل إمام مكان محدد في المسجد يصلى فيه مع أتباعه(١).

<sup>(</sup>١) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازي في العصر المملوكي، ص ١٩.

<sup>(</sup>٢) صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٢٩.

<sup>(</sup>٣) ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجى ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، رحلة ابن بطوطة المسياة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق/ عبد الهادى التازى، المغرب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٩٢٧؛ انظر أيضًا: عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٠١.

<sup>(</sup>٤) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى في العصر الملوكي، ص ٢٠ .

<sup>(</sup>٥) السمهودي، الوفا بها يجب لحضرة المصطفى، ص ١٤٤، ١٤٤.

<sup>(</sup>٦) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٠٦.

#### ج- طبقة المجاورين

يشكل المجاورون جزءًا كبيرًا فى البناء الاجتهاعى لمجتمع المدينة المنورة، حيث استقروا واندمجوا مع السكان الأصليين، وهم من أكبر طبقات المدينة عددًا، وتسميتهم تأتى من الجوار والمجاورة، وتعنى المجاورة البقاء فى مكة والمدينة لفترة غير معلومة تنتهى بخروج المجاور من إحدى هاتين المدينتين أو الوفاة بها(١).

وتتكون هذه الطبقة من كثيرين قدموا من مختلف أنحاء العالم الإسلامى للمجاورة بجوار المسجد النبوى، وتعددت بلدانهم خاصة مصر والشام والعراق والمغرب واليمن وفارس وبلاد ما وراء النهر وغيرها وكان منهم العلماء والتجار وطلبة العلم وأرباب الوظائف الدينية كالأثمة والقضاة وجماعات أخرى وفدت على المدينة، ولفضل المجاورة بها ما لبثوا أن استقروا واندبجوا مع سكانها وشاركوهم فى الحركة العلمية والاقتصادية (۱).

وعن مدة مجاورتهم فلم تكن مدة محددة فقد تطول أو تقصر، تبعًا لرغبة المجاور وأحوال المدينة خلال فترة وجوده، فقد يمكث بعضهم بضع سنوات، وآخرون يفضلون الإقامة حتى يدركهم الموت، ومارس العديد منهم بعض الأعمال إضافة إلى تولية الوظائف الدينية، ومنها إمامة الحرم النبوى والأذان والقضاء والتدريس والفتوى، ومنهم طلاب للعلم (۲)، وقد نالوا الرعاية من جانب الحكام المسلمين و خاصة من جانب سلاطين الماليك (۱).

## د\_طبقة الأغوات<sup>(٥)</sup>

هم من يقومون على خدمة المسجد النبوى الشريف، بعضهم من أصل حبشى أو صقلبى، وكان صلاح الدين الأيوبى، هو الذى ثبت قاعدة الخدام في الحرم النبوى،

<sup>(</sup>۱) ابن منظور، لسان العرب، ج ۱، ص ٥٣١، ٥٣١.

<sup>(</sup>٢) صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

<sup>(</sup>٣) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتهاعية في مكة، ص ١٤٤.

<sup>(</sup>٤) صبحي عبد المنعم، المجتمع الحجازي في العصر المملوكي، ص ٢٤.

<sup>(</sup>٥) الأغوات: جمع آغا والمقصود بها خدام سيد السادات عليه أفضل الصلاة والسلام. انظر: عبد الرحن الأنصاري، تحقيق/ محمد العروسي المطوى، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠م، ص ٥٣.

وأوقف عليهم الأوقاف والجامكية(١)، ولهم كتاب بذلك وقفهم فيه على الحرم النبوى الشريف سنة ٦٨ هـ/ ١٧٢ م، كان موجودًا لديهم إلى أيام السخاوى(٢).

كانت وظيفتهم كها ذكرها السخاوى فى كتابه "التحفة اللطيفة": "حفظ المسجد نهارًا ومباشرة قفل أبوابه والمبيت فيه لحراسته عاهو الأصلى فى ابتكارهم وتنزيل القناديل وتعليقها للتعمير والوقود وغسلها أو مسحها وإسراج ما يوقد منها سحرًا والدوران بعد صلاة العشاء بالقناديل لتفقد من يخشى مبيته ويرجعون عليه بالمنع ولا يبيت فيه إلا الفراش لإطفاء القناديل وفتح الأبواب للمؤذنين وكنس المسجد والروضة والحجرة كل جمعة مع مسح الجدر كل سنة وفرش بساط أمير المدينة"("). ومن الملاحظ أن هؤلاء الخدام كانوا يعملون لصالح السلطان المملوكي، حيث كانوا عيونًا على الأشراف ويبلغون السلطان بأفعالهم ليضمن السلطان ولاءهم وتبعيتهم له(١٠).

### هـ - طبقة التجار

إحدى طبقات مجتمع المدينة ذات الأهمية الكبيرة، تتكون هذه الطبقة من التجار الذين يعملون في التجارة بين الشرق والغرب<sup>(٥)</sup>، حيث يأتون إلى المدينة بالأطعمة والمؤن المختلفة التي تحتاجها ويشترون من أهلها بضائعهم، وخاصة التمر الذي تشتهر به المدينة وتصدره إلى الخارج<sup>(١)</sup>، وقد قام التجار بدور كبير في تجارة بلاد الحجاز لاعتهاد

<sup>(</sup>١) الجامكية: لفظ فارسى مشتق من جامة بمعنى اللباس؛ أى نفقات أو تعويض اللباس الحكومى وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة والجمع (جامكيات. جوامك. جماكى). انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م،

<sup>(</sup>٢) السخاوي، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ٦١، ٦٢.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦١- ٦٣.

<sup>(</sup>٤) جيل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٢.

<sup>(</sup>٥) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٣٨.

<sup>(</sup>٦) عمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٥٩.

هذه البلاد بالدرجة الأولى على التجارة (١١)، لذا كانوا طبقة ثرية داخل المجتمع لما يعود عليهم من ثراء بسبب اشتغالهم بالتجارة (٢١).

#### و ـ طبقة العامة

عَثل هذه الطبقة الغالبية العظمى داخل مجتمع المدينة، فمنها الفلاحون وهم يمثلون فئة فقيرة داخل المجتمع، نظرًا لطبيعة أراضيها قليلة الأمطار (٣). وهناك الصناع وهم فئة قليلة من السكان نظرًا لازدراء الناس لتلك الحرفة (١).

فضلا عن أن الحرفة الأساسية عند أهل المدينة هي الرعي، نظرًا للبيئة التي كانوا يعيشون فيها، ولأنها الحرفة المفضلة عند العربي التي تتفق مع طبيعة الأرض<sup>(٥)</sup>.

والحقيقة أن طبقة العامة كانت تتعرض كثيرًا للجوع والفقر وعدم الاهتهام من جانب الأشراف، لذلك كانوا يعتمدون على العمل لتوفير حاجاتهم سواء كبيرهم أو صغيرهم (١٠).

#### ل-طبقة الأعسراب

وهم يعيشون خارج المدينة في المناطق المحيطة بها، وعلى طول الطرق المؤدية إليها، فهم فئة من الناس احترف بعضهم السرقة والنهب والاعتداء على الحجاج وسلب أموالهم، كما ظهر خطرهم أيضًا على أهل بلاد الحجاز (٧).

<sup>(</sup>١) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

<sup>(</sup>٢) جميل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٢.

<sup>(</sup>٣) صبحى عبد المنعم، العبلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأبوبيين، ص ٢٣٨.

<sup>(</sup>٤) جيل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٣.

<sup>(</sup>٥) صبحى عبد المنعم، العبلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٣٨.

<sup>(</sup>٦) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازي في العصر الملوكي، ص ٢٦.

<sup>(</sup>٧) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٠٢.

ولم يكن إرضاء هؤلاء الأعراب والقبائل بالأمر اليسير، فكثيرًا ما تعرضوا لقوافل الحجاج بأعمال القتل والسلب والنهب، بل كانوا يغيرون على المدينة المنورة للسلب والنهب أيضًا(١).

### ى- طبقة العبيد

إحدى طبقات مجتمع المدينة التي كثرت زمن سلاطين الماليك بوجه عام والماليك الجراكسة بوجه خاص، كان منها أتباع الأمير وأعوانه وخواصه، الذين يسهرون على راحته وخدمته، بالإضافة إلى تنفيذ أوامره، حيث كان لكل أمير مجموعة من العبيد يتوقف عددها على مكانته فتكثر أو تقل حسب مركزه (۱)، وهؤلاء العبيد من أجناس مختلفة فمنهم الفرس والروم والبربر والأحباش والنوبة والزنج، وكل مجموعة من هؤلاء كانت لهم عاداتهم من الأطعمة والأشربة والملابس (۱).

وكذلك كانت هناك مجموعة تعمل فى الحقول والبساتين للخدمة فيها وحراستها ورعى المواشى، ولولا هؤلاء ما قامت زراعة بالمدينة، وكانوا يتقاضون مقابل ذلك بعض من الغلة ومنهم من يقوم بالخدمة فى البيوت وهم يسمون بالنخولة (١٤)، كما كانت الإماء والجوارى منهم يجلبن من أسواق النخاسة منهن الحبشيات والروميات والشركسيات والعربيات من مولدات المدينة والطائف واليهامة ومصر (٥).

<sup>(</sup>١) عمد عبد اللطيف هريدي، شنون الحرمين الشريفين في العهد العثماني، ص ٢٢، ٢٣.

<sup>(</sup>۲) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ۲، ص ٤٣٨؟ انظر أيضًا: جيل حرّب محمود حسين، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، المجلد الثاني، دراسات حول المدينة المتورة من محاضرات النادى الأدبى، الطبعة الأولى، الكتاب رقم ( ٩٨ )، نادى المدينة المتورة الأدبى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٢٣.

<sup>(</sup>٣) أحد هاشم أحد بدر شيني، مظاهر الحياة الاجتهاعية في مكة والمدينة إبان القرن الثامن المجرى من خلال كتب الرحالة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الرابع عشر والخامس عشر، رجب - ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م- يناير٢٠٠٦م، ص ٢٢.

<sup>(</sup>٤) جيل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٣.

<sup>(</sup>٥) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الثاني، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م، ص ٤٣٢؛ صبحي عبد المنعم، المجتمع الحجازي في العصر المملوكي، ص ٢٥.

### ثانيًا \_ مظاهر الحياة الاجتماعية

تعددت مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة خلال عصر سلاطين المهاليك الجراكسة وتتمثل تلك المظاهر في الآتي:

### (أ) العادات والتقاليد

### ١ - الــزواج

كان ولى أمر الفتى يتقدم لوالد الفتاة أو ولى أمرها لخطبتها، ويتم اتفاق أهل العروس مع أهل العريس، وبعدها يقوم خطيب من قبل الزوج ليخطب خطبة نثرية، يذكر فيها مفاخر الزوجة يتبعه خطيب من قبل المخطوبة يعدد فيها مآثر الزوج ومفاخر أسرته، ثم يقبض المهر بأكمله، أما الأسر الفقيرة فكان يؤخذ جزء من المهر الذى يأتى في صندوق من فضة، توجد به ورقة مكتوب فيها مقدار المهر ومقدار الجارية التى يشتريها والد الزوج لتخدم العروس.

كان أهل المدينة يسرفون في الجهاز كما يسرفون في المهور (١)، وفي ليلة الدخول يذهب الزوج إلى المسجد النبوى ومعه أصدقاؤه وأقاربه ومعهم الشموع، فيدخل ويسلم على الرسول ﷺ (١).

ويتم عقد النكاح بالمسجد النبوى الشريف، ثم يتم عمل حفل للزواج الذى يختلف من أسرة إلى أخرى، حسب مستواها المادى، غير إن الزوج يذهب في الليلة الأولى إلى بيت أهل الزوجة، وفي الليلة التالية تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج (٢٠)، ولا يباح للزوجة الخروج من منزل الزوجية إلا بعد مرور سنة، وربها يتساهلون إلى ستة أشهر (١٠).

<sup>(</sup>١) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٢.

<sup>(</sup>٢) محمد القاضي، المدينة المنورة في رحلة العياشي، ص ٢٩٠.

<sup>(</sup>٣) محمد القاضي، المرجع نفسه، ص ٢١٦، ٢١٧.

<sup>(</sup>٤) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٢.

#### ٢ - الولادة

كان أهل المدينة المنورة عندما يولد لهم طفل جديد يعملون له عقيقة يوم الولادة، يكررها الأغنياء في اليوم السابع، ويسمون فيه المولود ويضعون عليه من الحلى ما ينوء به، وبعد التسمية يحركون يد الهون فيزغرد النساء وهذا دليل تسميته، وعندما يتم الطفل أربعين يومًا فإنهم يغسلونه وينظفونه ويلبسونه ملابس جميلة بيضاء ويعطرونه ويثقله أهله بالزينة (۱۱)، وتذهب به أمه وقريباته ومعه القابلة إلى المسجد النبوى الشريف قبل المغرب، وبعد انتهاء النساء من صلاة المغرب، يأتى أحد الخصيان (الأغوات) فيأخذ الطفل ويدخل به الحجرة الشريفة، فيضعه عند رأس النبي ريس ويضعون بصحبته عيشا لت بالسمن يدخل معه الحجرة، يتم توزيعه بعد ذلك على الأهل والأقارب فيأكلون منه ويتبركون، كما أنهم يعطون للخصى نظير ذلك سكرًا ودراهم معدودة (۱۲).

### ٣ – الوفاة

كان أهل المدينة فى الوفاة يتبعون عادة أهل السنة، فإذا فاضت الروح لا يرفعون صوتًا ولا يشقون جيبًا ولا تنوح فيهم نائحة (٢٠)، ولكن العين تبكى والقلب يحزن ولا يقولون ما يغضب الرب كها أن من عاداتهم ألا تتبع امرأة جنازة (١٠).

وكان من عادة أهل المدينة إدخال الميت المسجد النبوى، فيقفون به أمام وجه النبى وكان من عادة أهل المدينة إدخال الميت المسجد النبوارى الميت التراب يقف أهل الميت فيعزيهم الناس، ويفعلون ذلك مرة أخرى إذا رجعوا إلى منزلهم؛ حيث يحضر الناس للعزاء ثلاث ليال ليقرءوا القرآن ويهدوه إلى روح المتوفى ويستغفروا له، وقد كانوا يسرفون في المآتم كما يسرفون في الأفراح، فيذهبون إلى المقابر ليلة الإثنين والخميس،

<sup>(</sup>١) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٨٦.

<sup>(</sup>٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٤، ٤٤٥.

<sup>(</sup>٣) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٦٠؛ على بن حسين السليبان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢٠.

<sup>(</sup>٤) محمد لبيب البتنوني، نفس المرجع، ص ٢٦١؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٣.

<sup>(</sup>٥) النهروالي، الإعلام، ص ٩٦.

ويأخذون معهم الريحان ليضعوه على المقابر، ويقرءون القرآن الكريم، ولكنهم لا يفرقون الأطعمة مثل ما كانوا يفرقون فى أثناء الموت، لكنهم يأخذون الماء معهم فى المقابر للراغبين(١١).

### ٤ - تقديم الهدايا للحجرة النبوية الشريفة

كان كل واحد من أهل المدينة المنورة يقدم كل سنة ليلة السابع والعشرين من شهر ذى القعدة، كمية من الحنطة كهدية إلى الحجرة النبوية الشريفة، وذلك بعد غسلها وتنظيفها جيدًا ووضعها فى كيس جديد من القهاش الأبيض، ويتم حملها إلى المسجد النبوى، لتوضع بكل أدب داخل الحجرة النبوية، وكانت هذه الأكياس تجمع بمعرفة خدام الحجرة ليهدون منها عظهاء المسلمين تبركًا بها(٢).

### ٥ - عادة استخدام الحمامات

انتشرت الحمامات داخل المدينة وخارجها قصدها أهل المدينة والقادمون إليها، بقصد الاستحمام والاسترخاء، وقد أوضح السمهودى أنه بعد عمارة المسجد النبوى الشريف سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، أمر السلطان قايتباى بإقامة حمام، وذكر أنه: "لم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة "(٣).

## ٦ - الاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية

### الاحتفال بشهر رمضان

من الاحتفالات الدينية الراسخة، حيث يتميز شهر رمضان باحتفالاته وعاداته الخاصة، بداية من رؤية هلاله وبداية صومه، حيث كانوا يتناولون فطورًا خفيفًا في

<sup>(</sup>١) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٦١؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٣.

<sup>(</sup>٢) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٨٦.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤.

المسجد النبوى بعد أذان المغرب بلا فرق بين غنى وفقر (۱)، يتكون هذا الفطور من الأشياء الحلوة والفطير والزيتون، وبعد ذلك يصلون المغرب ويذهبون إلى بيوتهم، فيتناولون الفطور الكامل، ثم يعودون إلى المسجد النبوى لصلاة العشاء والتراويح، التي تقام بأثمة كثيرين قد يزيدون على الخمسين إمامًا، كذلك كان للنساء إمام، وهؤلاء الأثمة هم من الشبان الحافظين للقرآن الكريم، الذين يصرف لهم مرتبات آخر شهر رمضان، كما كان أغنياء المدينة يوزعون الثياب البيض على الفقراء والمساكين في نهاية رمضان (۱).

### الاحتفال ببدايات الشهور الهجرية

من الاحتفالات التى وجدت زمن الفاطميين، وأخذت عنهم خلال عصر الماليك، كما احتفل بها أهل المدينة المنورة، ومنها الاحتفال بأول رجب وليلة النصف منه وليلة السابع والعشرين منه والاحتفال بليلة النصف من شعبان والاحتفال بشهر رمضان (٣).

حيث كان العلماء والتجار وعامة الناس يحرصون على تبادل التهنئة في اليوم الأول من كل شهر عربي (١)، فيذهب الواحد منهم أول يوم من الشهر إلى من له حق الولاية عليه أو لشيخوخه أو أصحابه فيهنئه في منزله (٥)، وذكر الرحالة التركي أوليا جلبي (١)

<sup>(</sup>١) على بن حسين السليبان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢١؛ عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٨٥.

<sup>(</sup>٢) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٦١؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤.

<sup>(</sup>٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصرى في عصر سلاطين الماليك، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٧٦٠ صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى في العصر المملوكي، ص ٢٨.

<sup>(</sup>٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص ١٧٦؛ صبحى عبد المنعم، المرجع نفسه، ص ٢٨.

<sup>(</sup>٥) عمد القاضي، اللدينة المنورة في رحلة العياشي، ص ٢٨٩.

<sup>(</sup>٦) أوليا جلبى بن درويش محمد أغاظلى واسمه الحقيقى غير معروف قيل أن اسمه حافظ محمد خواجه وهو من مواليد أستانبول عام ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م والده درويش محمد أغا كان معمرًا فقد عاش مائة وسبع عشرة سنة وقد التحق بخدمة عشرة سلاطين عثمانيين بدأها بالعمل خبيرًا للجواهر فى قصر السلطان سليان القانونى ( ٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م ) وقد ذكر أن والده قام بتصنيع ميزاب الكعبة المشرفة وقد درس أوليا جلبى سبع سنوات فى مدرسة شيخ الإسلام حامد أفندى وعمل على حفظ القرآن

أن المدينة المنورة كانت تنار بالقناديل في شهور رجب وشعبان ورمضان(١٠).

### الاستعداد لموسم الحج

كان أهل المدينة المنورة يقومون بتنظيف المسجد النبوى فى اليوم السابع عشر من شهر ذى القعدة ويسمونه يوم الكنيس، ويصف العياشى ذلك بقوله: "يتهيأون بذلك للموسم؛ لأنه فى غالب الأمر مظنة ارتحال قاطن وقدوم غائب واجتماع الناس من الآفاق وأشتغال أهل المدينة بقبض الأوقاف والجرايات التى تأتيهم من الآفاق وذهاب من يرد النسك إلى مكة أو من يريد التجارة فلا يبقى بالمدينة إلا قليل من الناس"(٢).

كما يصف أوليا جلبى يوم مقدم الحجاج بيوم العيد للأهالى، حيث يخرجون لاستقبالهم بالقصائد والأناشيد مقدمين لهم التمر قائلين لهم: "الحمد لله على السلامة زيارتكم مقبولة إن شاء الله"، ويصطفون على جانبى الطريق للسلام عليهم (٣) وفي تلك الأيام يجمع أهل المدينة أكثر أمور معيشتهم، حتى إنه لا يتفرغ أحد لتدريس ولا عبادة إلا ما لابد منه، فإذا انقضى الموسم رجع الناس إلى حياتهم المعتادة (١٠).

#### الاحتفال باستقبال المحمل

كان أهل المدينة يتأهبون في شهر شوال من كل سنة لاستقبال الحجاج والمحمل

الكريم على يد أستاذه أوليا محمد أفندى الذى قيل أن اسمه انتقل إليه منه ثم درس العلوم الأخرى على يد حسين أفندى الجنى وأخفش أفندى وتعلم من والده فى هذه الأثناء حسن الخط وفن الحك (الحك لغة هو القشر والكشط واصطلاحًا هو مهنة وطريقة لقطع الحجارة الكريمة وصقلها. انظر: الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعال الموسوعة للنشر والتوزيع، ٢١٤١هـ، ٩ / ٤٥٧)؛ سهيل صابان، أوليا جلبى ورحلته إلى الحجاز في آواخر القرن الحادى عشر الهجرى، عجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المسلكة العسربية السعسودية، ١٤٢٢هـ، ص ٢٥، ١٤.

<sup>(</sup>١) سهيل صابان، أوليا جلبي ورحلته إلى الحجاز، ص ٨٦.

<sup>(</sup>٢) محمد القاضي، المدينة المنورة في رحلة العياشي، ص ٢٧٣.

<sup>(</sup>٣) سهيل صابان، أوليا جلبي ورحلته إلى الحجاز، ص ٨٦.

<sup>(</sup>٤) محمد القاضي، المدينة المنورة في رحلة العياشي، ص ١٩٧.

الذى يحمل الكسوة الشريفة فى ذى القعدة وأوائل ذى الحجة. وعند وصوله إلى المدينة يدخل فى احتفال كبير فإذا وصل إلى باب السلام تقدم شيخ الحرم النبوى الشريف، وأخذ زمام جمل المحمل ويتم رفع المحمل، فكانت ترفع الكسوة المزركشة ويلبسونه الكسوة الحضراء، وتظل الكسوة داخل الحجرة النبوية حتى يتم إخراجها يوم سفر المحمل إلى مكة(١).

#### الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى

كان أهل المدينة المنورة كبقية المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يحتفلون بعيدى الفطر والأضحى، فمن عاداتهم في الاحتفال بعيد الفطر، أنهم كانوا بعد صلاة الفجر يلبسون ثياب العيد ويتوجهون لصلاة العيد في المصلى المخصص لصلوات الأعياد<sup>(١)</sup> ويتزاورون لمدة أربعة أيام، فلكل حي من أحياء المدينة يوم مخصوص يزور فيه أهله أهالي الأحياء الأخرى، حيث تقدم الحلوى للزائرين وماء الورد فيتطيبون والعود الهندى فيتبخرون<sup>(١)</sup>.

أما عيد الأضحى والذى يتزامن مع توافد المسلمين فى شهر ذى الحجة من شتى أنحاء العالم الإسلامى لأداء الحج والعمرة، وتكون مراسم المناسك إلى حين يوم الأضحى (١) فتقام صلاة العيد بالمسجد النبوى الشريف، يقوم بها أثمة الإمامية والشافعية والأحناف، وذلك لقلة عدد المالكية الموجودين فى المدينة، وبعد صلاة العيد يذهبون لزيارة قبر الرسول على ويقضون أربعة أيام يتزاورون فيها (٥)، يقدم فيها الحلوى ويتطيبون باء الورد ويتبخرون بالعود الهندى، كما يحدث فى أيام عيد الفطر (١٦)، كما يخرجون إلى بقيع الغرقد، ويعودون إلى منازلهم فيقضون أيام العيد فى الزيارة فيما بينهم (٧٠). •

<sup>(</sup>١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧٦؛ انظر أيضًا: محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٤٢.

<sup>(</sup>٢) جميل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٦.

<sup>(</sup>٣) عائشة بنت عبدالله باقاسى، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٨٥.

<sup>(</sup>٤) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازي في العصر الملوكي، ص ٣٥.

<sup>(</sup>٥) على بن حسين السلبهان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢١.

<sup>(</sup>٦) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ١٢، ص ١٥٥٠ انظر أيضًا: على بن حسين السليان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٩٣.

<sup>(</sup>٧) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٣.

#### الاحتفال بالموالد

احتفل أهل المدينة بعدة موالد، منها الاحتفال بالمولد النبوى الشريف، فى شهر ربيع الأول والذى يعد من أول الأعياد الدينية العامة فى بلاد الحجاز (۱)، ويذكر العياشى فى رحلته عنه: "ففى داخل الحرم كانت تجرى مناظرات فقهية وحفلات بمناسبة الزواج وبمناسبة المولد النبوى حيث يقوم الشعراء بإلقاء قصائدهم وترتيل المدائح النبوية "(۲).

وهناك الاحتفال بمولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب رَضَيَالْتَنَخُ، الذى يبدأ من أول شهر رجب إلى نصفه، بحضور أهل المدينة من الرجال والنساء، بالإضافة إلى أهالى البلاد الأخرى وسكان البوادى الذين يذبحون الذبائح ويطعمون الطعام.

كذلك الاحتفال بمولد على العريضي شقيق ذي النفس الزكية، في شهر صفر من كل سنة ويستمر أربعة أيام وفيه كانوا يفعلون مثلها يفعلون في مولد سيدنا حزة (٣).

#### ( س ) الأطعمة والأشربة

تعددت أصناف الأطعمة التي كانت يتناولها أهل المدينة المنورة زمن سلاطين الجراكسة بين مطبوخة وناشفة، إضافة إلى الحلويات والأشربة، وتعددت طريقة إعداد هذه الأطعمة التي من أشهرها الهريسة (ئ)، وأصحاب صناعتها يسمون بالهرائسيين، وكان المحتسب يشرف على هذه الصناعة حتى لا تغش ويلزمهم بعملها طبقًا للنسب المقررة، بل يختمون على قدور الهريسة بعد إتمام صنعها لمنع تغيير ما فيها (٥٠٠٠ ويبين الرحالة العياشي (١٠٠٠ كيفية طبخ الهريسة بقوله: "أن يجعل اللحم في المطبخ، ويجعل معه القمح، العياشي (١٠٠٠ كيفية طبخ الهريسة بقوله: "أن يجعل اللحم في المطبخ، ويجعل معه القمح،

<sup>(</sup>١) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازي في العصر المملوكي، ص ٢٩.

<sup>(</sup>٢) محمد القاضي، المدينة المنورة في رحلة العياشي، ص ٢٠٨.

<sup>(</sup>٣) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤ ٤؛ على بن حسين السليان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٤٤٥.

<sup>(</sup>٤) صبحى عبد المنعم، العملاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأبوبيين، ص ٢٥٤.

<sup>(</sup>٥) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى في العصر المملوكي، ص ٤١.

<sup>(</sup>٦) قام أبو سالم العياشي بثلاث رحلات إلى المشرق في أعوام ١٠٥٩هـ و١٠٦٤هـ و١٠٧٢هـ فأخذ عن

ويطبخ حتى يفارق اللحم العظم، فتزال العظام ويبالغ فى طبخ اللحم مع القمح حتى يطيب القمح ويزلع، فيأخذون عصيًا شبه المقارف عراض الرءوس فيلوكون ذلك به حتى يختلط اللحم مع القمح ويصير مثل العجين، فيأخذونه فى الأوانى ويصبون عليه السمن". ويؤكد العياشى أنها من أفضل الأطعمة عند أهل الحجاز، فإذا أكلها الإنسان لا يشتهى شيئًا من الطعام يومًا وليلة، كها أن من الأطعمة المطبوخة الباذنجان واللحم والأرز والبسلاء كها كان أهل المدينة يصنعون الخبر من القمح(1).

كها يذكر العياشى أن لأهل المدينة ولوع وغرام بأكل اللحم، زاعمين أنهم يستضرون بتركه لحرارة أبدانهم ويبسها فيحصل لهم الترطيب به، فإذا أكلوا غيره حصل لهم يبس في الطبيعة، حتى إن من نسائهم من لا تطبخ غداء ولا عشاء إلا أن يكون لحمًا(١٠).

كها كانوا يصنعون الحلوى، ومنها أنواع كثيرة من العسل والسكر المعقود على أشكال مختلفة، فمنها تصاوير إنسانية وفاكهية وضعت فى منصات كأنها العرائس، ويضيفون إليها أنواع الفاكهة الرطبة واليابسة (٢٠)، وهناك أنواع أخرى مثل اللبن الذى يشرب ويصنع منه السمن والجبن والعسل المسعودى وكان يضرب به المثل فى الجودة والطيب والرطب، ويعد عندهم بمنزلة التين الأخضر فى شجره يجنى ويؤكل (١٠) ويعتبر التمر

علماء مصر ومكة والمدينة المنورة وفلسطين فضلا عن اتصالاته الوثيقة والمباشرة مع علماء ومتصوفة من طرابلس والإسكندرية والقدس وتعد هذه الفترة أخصب مراحل حياته فقد أسهم في الحركة الفكرية التي عرفها عصره في العلوم والآداب فسجلت رحلته ( ماء الموائد ) وهو الاسم الذي اختاره لوصف رحلته الثالثة العلاقات الفكرية والاجتهاعية بين المغرب والمشرق وقد أراد لرحلته أن تكون ديوان علم فلم يأل جهدًا فيها أورد فيها من الفوائد لرغية كثير من أصحابه في ذلك وأن يكون القصد منها جمع الفوائد لا انتقاء الفرائد ويؤكد العياشي على هذا القصد قائلًا: "وقصدي من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة، وإن وجد الأمران فيها ممًا فذاك أدعى لنشاط الناظر فيها لا سيها إن كان صاحب تلوين، وأما صاحب التمكين فلكل شيء عنده موقع ونفع. انظر: عمد القاضي، المدينة المنورة في رحلة العياشي، ص ١٢.

<sup>(</sup>١) محمد القاضي، المدينة المنورة في رحلة العياشي، ص ١٧٦.

<sup>(</sup>٢) محمد القاضي، المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

<sup>(</sup>٣) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى في العصر المملوكي، ص ٤٤؛ جيسل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٨.

<sup>(</sup>٤) صبحى عبد المنعم، العملاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطمين والأيوبيين، ص ٢٥٥.

المحصول الأول للمدينة المنورة، فكانوا يأكلونه في سائر أوقاتهم، مما أدى إلى صحة أبدانهم وقلت فيهم الأمراض والعاهات<sup>(۱)</sup>. ويعدد النابلسي أنواع هذه التمور التي تقارب مائة وعشر نوعًا، منها " نوع يسمى الحلوى كل واحدة مثل الخيارة الصغيرة يقطر العسل منها كانوا يتهادونه، ولا يكاد يباع في الأسواق "، وهناك الفاكهة التي وصفها العياشي بأنها غاية في الجودة وبالخصوص العنب والتمر<sup>(۱)</sup>، وكان من عاداتهم وضع الطعام مرة واحدة فيأكل منه ما يشتهي، مع غسل اليدين قبل الأكل وبعده، كما كان من عاداتهم أن يخدم المضيف مضيفه وعلى المضيف أن يأكل ولا يعتذر بالشبع ولا يفرط في الأكل<sup>(۱)</sup>.

أما المشروب المفضل لديهم فهو القهوة التي تقدم دون سكر، ويؤخذ الماء من الآبار ليوضع في أزيار لتصفيته وتبريده(١٠).

### (ج) الملابس

بالنسبة إلى ما كان يرتديه أهل المدينة المنورة من ملابس زمن سلاطين الجراكسة، فإن ملابسهم كانت من الحرير والكتان وأنواع أخرى، كما عرفت أيضًا العمائم المزركشة ولبس الجبة، وهذه الثياب كانت تأتى إلى بلاد الحجاز من مصر.

وبالنسبة إلى ملابس العلماء وطلبة العلم، فإنهم كانوا يرتدون ثيابًا وجببًا مصنوعة من الكتان، وفي الغالب يرتدون العمائم السود<sup>(٥)</sup>، إلا أنهم لا يلبسون الملابس الملونة ويعيبون على من يلبسونها، لأنهم يتشبهون بالنساء أو الإماء، وأقصى ما يلبسونه يكون داخل البيت<sup>(١)</sup>.

<sup>(</sup>١) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازي في العصر المملوكي، ص ٤٢.

<sup>(</sup>٢) عمد القاضي، المدينة المنورة في رحلة العياشي، ص ٣٧٠، ٣٧١.

<sup>(</sup>٣) جميل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٨.

<sup>(</sup>٤) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأبوبيين، ص ٢٥٥.

<sup>(</sup>٥) أحمد السباعى، تاريخ مكة، ج ١، ص ٢١٧؛ صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى في العصر المملوكي، ص ٣٩.

<sup>(</sup>٦) جميل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٦.

والغالب على أهل المدينة المنورة أنهم كانوا يميلون إلى لبس الثياب البيض التى يشيع استعمالها بينهم، لما روى عن النبى على أنه قال: "خلق الله الجنة بيضاء وخير ثيابكم البيض تلبسونها في حياتكم وتكفنون بها موتاكم" وهى تصنع في الغالب من الكتان والقطن (۱).

وبالنسبة إلى الأحذية، فكان العامة يلبسون النعال أو الأحذية، أما الأعيان فكانوا يلبسون كليهم ويلبسون أيضًا الحذاء الخارجي ( الجرموط )، عندما يدخلون المساجد أو القصور(٢٠).

أما فيها يخص ملابس المرأة فكانت تتكون من ملاءة فضفاضة وقميص مشقوق عند الرقبة، ويوجد عليه رداء قصير ضيق يلبس في العادة في الشتاء، وفي حالة خروجها من بيتها ترتدى ملاءة طويلة تغطى جسدها وتقى ملابسها من التراب، وتلف رأسها بمنديل يلف فوق الرقبة، أما نساء الطبقات الراقية في المدينة المنورة فكن يغالين في التزين وارتداء أنواع الثياب المختلفة من الحرير (٣)، ويحببن الطيب واستعمال الذهب بكثرة، ومنها الخلاخيل والخواتم والأساور في أيديهن، ولا شك أن هذا الاختلاف فيما يرتديه أهل المدينة كان حسب مكانة وشخصية كل منهم (١).

# ثالثًا \_ المجاورون وأثرهم داخل مجتمع المدينة المنورة

لم يكن المجاورون طبقة سلبية فى مجتمع المدينة المنورة، بل عاشوا داخل هذا المجتمع يؤثرون ويتأثرون، وقد حمل المجاورون كثيرًا من العادات والتقاليد الاجتهاعية من مجتمعاتهم التى أتوا منها، وقاموا بنشرها دون قصد منهم، وكان أكثرهم فى المدينة المنورة من المصريين والشاميين وبعض العراقيين والمغاربة واليمنيين.

<sup>(</sup>١) صبحي عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطمين والأيوبيين، ص ٢٥٢.

<sup>(</sup>٢) جميل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٧.

<sup>(</sup>٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٢، ص ٤٢٩؛ صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازي في العصر المملوكي، ص ٤٠.

<sup>(</sup>٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠؛ انظر أيضًا: جميل حرب، المدينة المنورة في العصر الأيوبي، م ٢، ص ١٢٧.

ويرجع كثرة أعداد المصريين والشاميين لقرب تلك البلاد من الحرمين الشريفين، ولأن المهاليك هم المسيطرون على مصر والشام والحجاز، مما وفر للوافدين من تلك الأماكن الأمن الذي لا يجده غيرهم(١). كما أنهم لم يكونوا جميعًا من الفقراء الذين يعيشون على ما كان يقدم من صدقات وهبات، بل نجد بعضهم من مشاهير التجار والأثرياء، وفضل بعضهم الإقامة بالمدينة المنورة للمجاورة بها، يأتون بالأموال لتوزيعها على سكان المدينة(٢).

بدأت أعداد المجاورين قليلة ثم بدءوا في الزيادة حتى صاروا جزءًا كبيرًا داخل مجتمع المدين(٣)، كما نتج عن وجودهم بين أهل المدينة أن حصل تزاوج بين هؤلاء المجاورين وبعضهم، أو بينهم وبين بعض الطبقات الأخرى داخل المجتمع، مما أدى على مر السنين إلى خلق أسر كبيرة أصبحت جزءًا رئيسيًا داخل هذا المجتمع(١).

ولا شك أن هذا يرجع إلى ما قام به سلاطين الماليك الجراكسة، من إنشاء المدارس والأربطة والزوايا، وما أنفقوه عليهم من تبرعات وهبات، فلم يخش أحد منهم الحاجة، وهكذا شكل المجاورون جزءًا مهمًا داخل مجتمع المدينة المنورة(٥)، وأسهموا في جميع نواحي الحياة، سواء أكانت الاقتصادية أم الاجتماعية أم العلمية والثقافية أم الدينية (١٠).

لكن برغم ما ذكر عن الدور الكبير للمجاورين في المجتمع، فإن انصراف الكثير منهم عن الكسب والعمل إلى العبادة والانقطاع لها، ما جعل الفقر ينتشر بين غالبيتهم فأصبحوا عالة على المجتمع، يعيش معظمهم على ما يأتيهم من صدقات وهبات(٧).

<sup>(</sup>١) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

<sup>(</sup>٢) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين الماليك ( ٦٤٢- ٩٢٣هـ)، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتهاعية، القاهرة، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م، ص ٦٦، ٦٢.

<sup>(</sup>٣) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص ٢٣١.

<sup>(</sup>٤) طرفة عبد العزيز العبيكان، المرجع نفسه، ص ١٤٩.

<sup>(</sup>٥) طرفة عبد العزيز العبيكان، المرجع نفسه، ص ٢٣١، ٢٣٢.

<sup>(</sup>٦) حسين سيد عبدالله مراد، المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين (٦٧٥ -٦٤٨هـ/ ١٧١١ - ١٢٥٠م)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثامن والثلاثون، القاهرة، ١٩٩١ – ١٩٩٥م، ص ١٦٣، ١٢٤.

<sup>(</sup>٧) أحمد عمر الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٤٩.

## رابعًا \_ الأوقاف والحياة الاجتماعية في المدينة المنورة

اهتم سلاطين الماليك بصدقات وأعطيات المدينة المنورة، حتى لربا عملوا فيها من الخير أكثر مما عملوا في مكة، وتتابعت الأوقاف والصدقات بكثرة في أيام سلاطين الماليك الجراكسة، حتى أنه لا يوجد سلطان أو أمير إلا وتصدق بالمدينة مثلما فعل بمكة، فكانت نتيجة ذلك حدوث رخاء بالمدينة، حيث قلة سكانها وهدوء أحوالها الذي تميزت به المدينة في كثير من الأحيان(۱)، مما أدى إلى اطمئنان الناس على أرزاقهم وأمور معيشتهم، فتفرغوا لعبادتهم وتجارتهم، كما انصرف بعضهم للعلم وقراءة القرآن وتعليمه لغيرهم(۱).

وقد حرص كثير من المسلمين حكام وأمراء وأفراد، على تقديم الأموال لتوزيعها بالحرمين، فكانت ترد إلى المدينة المنورة خاصة فى وقت الموسم، حصيلة الأوقاف التى أوقفها المسلمون على أهل الحرمين بوجه عام وأهل المدينة المنورة بوجه خاص فتوزع على الفقراء والمجاورين (٢٠).

وكان عصر السلطان الظاهر برقوق كله خير على المدينة المنورة، كما كان على مكة، حيث اهتم بإصلاح الأوقاف الموقوفة على المدينة بمصر والشام (1)، ففى سنة ٧٨٧هـ/ ١٣١٨م اشتد الأمر على فقراء المدينة، فهات جوعًا الكثير من الناس وأكل بعضهم الجلود إلى أن وصلت القوافل من مصر تحمل الفرج، فقد بعث السلطان بثلاثة آلاف إردب فرقت على الحرمين الشريفين، يوزع فى كل يوم أربعين إردبًا يصنع منها ثمانية آلاف رغيف خبز، فلم يمت أحد من الجوع (٥).

وكان للشعور الديني أهمية كبيرة في تحفيز الكثيرين على الوقف، حيث تسابق السلاطين والأمراء والأعيان على الوقف على الحرمين وأهاليهما، واشترط بعض

<sup>(</sup>١) على بن حسين السليهان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨١.

<sup>(</sup>٢) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٠٥.

<sup>(</sup>٣) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص ١٩٣، ١٩٤.

<sup>(</sup>٤) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨١.

<sup>(</sup>٥) ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٠٨، ١٠٩.

الواقفين الصرف من ريع أوقافهم فى مساعدة بعض من يخرجون لتأدية فريضة الحج، حيث قرر السلطان فرج بن برقوق فى حجة وقفه الصرف على المنقطعين من الحجاج، في أجرة الحمل والإطعام وسقاية الماء فى طوال الطريق ذهابًا وإيابًا حتى وصولهم إلى بلادهم (۱).

كذلك اهتم بعض سلاطين الجراكسة بتوفير الراحة لأهل المدينة، ففى حجة وقف السلطان ناصر فرج بن برقوق المؤرخة فى ٧ مرم سنة ١٨٩هـ/ ١٤٠٩م، التى حددت ضمن أوجه الصرف على الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والمحتاجين والمجاورين والمقيمين، وكذلك فى تسبيل الماء وإطعام الجانعين وكسوة العرايا والمقلين وستر عورات الضعفاء والعاجزين، ويتم تفريق ذلك فضة أو فلوسًا أو حسب ما يراه ناظر الوقف (١١) كم كان السلطان المؤيد شيخ قد عزم الحج، لكنه لم يحج ورغم ذلك أرسل الكثير من الصدقات. وعرف عن السلطان جقمق الكرم والتدين، فاهتم بالحرم النبوى وأوقافه وصدقاته فكان يرسل الدشيشة لأكل أهل الحرم ليصرف الطعام لفقراء المدينة فى كل يوم (١٠)، كما قرر رواتب لعدد من أهل المدينة منهم الأشراف (١٠).

كما قرر السلطان برسباى فى حجة وقفه المؤرخة فى ١٦ جمادى الآخرة سنة الى ٨٢هـ/ ١٤٢٣م، الصرف على شراء ثمانهائة قميص من الخام تحمل فى كل سنة إلى الفقراء والمجاورين بالحرم المكى والحرم النبوى الشريف وتقسم بينهم على حسب ما شرطه الواقف(٥٠).

وأرسل برسباى سنة ٩ ٨٢هـ/ ١٤٢٥م مركبًا فيه قمح صدقة على أهل الحرمين، وأمر على الصدقة الأمير إقبغا التركهاني الذي بدأ بالمدينة وفرق فيها خسمائة إردب قمح على القضاة والعلماء والفقهاء والخدام والأشراف والأيتام والأرامل(١٠).

<sup>(</sup>١) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق، مؤرخة قي ٧ محرم سنة ٨١٢هـ، رقم الحجة (٦٦)، رقم المحفظة (١١)، دار الوثانق القومية، سطر ٥٢١-٥٢٣.

<sup>(</sup>٢) حجة وقف السلطان الناصر فرج، المصدر نفسه، سطر ١٥-٥١٥

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٢.

<sup>(</sup>٤) محمد على فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر، ص ٣٠.

<sup>(</sup>٥) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٧٥.

<sup>(</sup>٦) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٣٤.

ويأتى السلطان قايتباي على رأس سلاطين الجراكسة الذين اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالمدينة المنورة بكثرة صدقاته وأوقافه، ففي سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م عندما حج قايتباي تصدق على أهل الحرم والأعيان والفقراء والغرباء(١)، وفي احتفاله بالمولَّد النبوي الشريف في ربيع الأول سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م بالقاهرة، حضر الزين بن مزهر كاتب السر والبدر أبو البقاء بن الجيعان وخشقدم الزمام وهم مشاة، بعد العصر إلى جهة السلطان ومعهم ستة طواشية بستة أطباق على رءوسهم، حطت بحضرة السلطان ومن حضر هذا المجلس، كان بها من الذهب النقد العين ستون ألف دينار. فبدأ السلطان بالكلام فأخذه الزين بن مزهر منه، وقال لمن حضر: إن مولانا السلطان لما حج في العام الماضي رأى ما به أهل المدينة المشرفة من الفقر والفاقة والقحط من عدم الأقوات، فأضمر نيته بأن يفعل بها من الخير ما يذكر به ويعم بذلك الناس بالمدينة المشرفة، وقد ميز من خالص ماله هذا المقدار وأرصده ليشتري به ما يوفقه على فقراء المدينة وأهلها، ما بين قرى وضياع ورباع وغيرها ليجمع من ذلك ما يصنع بالمدينة في كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك، وجعلَ ذلك وقفًا مبتدئًا على المدينة إلى غير ذلك من نمط هذا الكلام، ثم أمر السلطان بأن يكون هذا المال تحت يد القضاة أو الأتابك أو يشبك الدوادار فامتنع القضاة من ذلك واعتذروا وتعذر الحال بأن يكون نصف هذا المال تحت يد يشبك ليشترى بذلك رزقًا وأملاكًا والنصف تحت يد السلطان وانتهى المجلس على ذلك(٢) وقد جعل السلطان وقفه هذا على ما ذكرهم، وليس كما يفعله الملوك وأبناء العصر في أوقافهم على أنفسهم أولًا ثم على أولادهم ثم على أولاد أولادهم ثم على نسلهم وعقبهم طبقة بعد طبقة إلى آخره، ثم على فقراء المدينة، وقد كان قصد السلطان بهذا إيصال البر لأهل المدينة بداية لئلًا تخرب الأوقاف وتصير داثرة، وذلك إن سلمت من الاستبدال<sup>(۱)</sup>.

<sup>(</sup>١) عائشة مانع عبيد العبدل، إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية، ص ١٢٤.

<sup>(</sup>۲) ابن شاهين الظاهرى، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهرى الحنفى ٨٤٤ - ٩٢٠ هـ، نيل الأمل في ذيل الدول، خطوطة مكتبة بودليان باكسفور درقم ١٦٠ ، ٢٥٥ الماما المحقيق د/ عمر عبد السلام تدمرى، القسم السابع، الجزء الثانى ( ٢٥٠ - ٩٨٩)، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٢٥٥.

<sup>(</sup>٣) أبن الصيرف، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق د/ حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٨٠.

فعلًا شرع السلطان فى بناء ربوع بباب النصر والبندقاينين والزجاجين بالقاهرة، ليكون ريعها مصروفًا على الفقراء، وأنه خصص لذلك مركبين كبرين مسهارين (۱) فنى سنة ٨٨ه جهز قايتباى بهاء الدين أبو البقاء بن الجيعان (۱) فى مركب مع جماعة من خواصه، الذى وصل المدينة فى سابع ذى القعدة، ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية، من بينها مصحف كبير الحجم موقوفة كلها على المدرسة الأشرفية، وأحمال كثيرة من الحب والدقيق والقدور النحاسية التى جعلت برسم السهاط، فرسم لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله، لكل نفر سبعة إرادب قمح مصرى وساوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وجعل للأفاقين (۱)، ما يكفيهم من الخبز وطعام الدشيشة فى كل يوم (۱).

كما أن الأمير تنم الناظر صنع مركبًا لنقل الدشيشة طولها ١٢٠ ذراعًا، وبها فرن وطاحون وصهريج ماء حلوة مقعد ومبيت وإسطبل للخيل (٥)، وكان للقمح الذى يرسل إلى المدينة خاصة أثره على المجاورين والفقراء وطلبة العلم والأرامل واليتامى والمنقطعين وغيرهم حيث خفف عليهم أعباء المعيشة (٢)، وذلك ما دعا ابن الصير ف

<sup>(</sup>١) مسهارين: هي السفن المسهارية وجمعها مسهاريات وهي السفينة التي تستعمل فيها المسامير الحديدية لربط الواحها بعضها ببعض. انظر: سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣٦٨.

<sup>(</sup>٢) أبو البقاء بن الجيعان: البدر محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغنى شقيق المحمدين أبى البركات، وصلاح الدين ولد سنة ٨٤٧هـ بنى له مدرسة بالزاوية الحمراء وانتفع به الفقراء عندما حج وكان يقوم بالمهات السلطانية. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٨، ٩.

<sup>(</sup>٣) الأفاقين: هم المجاورون القادمون من أطراف الأرض حيث ذكر الصير في في أنباء الحصر بأنباء العصر (ص ٥ ٨٠) واصفًا المجلس الذي عقد فيه السلطان قايتباى هذا الوقف فقال في حوادث سنة ١٨٥ هـ بعد وصفه لاحتفال السلطان بالمولد النبوى الشريف بقلعة الجبل وفيه تكلم رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى فقال:"إنه لما حج السلطان تقبل الله منه في العام الماضي... فأنه أخرج من ماله الطيب هذا القدر وأرصده؛ ليشترى به بلادًا ويوقفها على حرم المدينة الشريفة وسكانها ليصنع بها في كل يوم خبرًا ودشيشة للفقراء والمحتاجين والقاطنين والواردين ".

<sup>(</sup>٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٩؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٤٦١.

<sup>(</sup>٥) عبد اللطيف ابر آهيم على، وثانق الوقف على الأماكن المقدسة، الجزء الثالث، الكتاب الأول، من أبحاث المؤتمر اللولى لتاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ص ٢٥٢.

<sup>(</sup>٦) أحمد هاشم بدر شيني، أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية في مكة والمدينة، ص ٧٦.

للقول إن السلطان قايتباى: "ما أكثر محاسنه وأعظم شأنه وأغزر همته وأكبر همته"(۱). حتى قيل عن السلطان قايتباى " إن الله قد أجرى على يديه من الخيرات لأهل مدينة رسول الله ما لم يجتمع لأحد من الملوك قبله "(۲). وفى زمن السلطان الغورى(۲) سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م أرسل الكثير من الصرر والزيوت والأدوية صحبة الركب المصرى(۱)، وكرر الغورى ذلك أيضًا سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م بإرسال الكثير من الهبات لأهل مكة والمدينة المنورة(٥).

شارك الأمراء وغيرهم من الأغنياء سلاطين الماليك الجراكسة، في وقف الأوقاف على أهل المدينة المنورة ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أرسل الأمير جركس الخليل<sup>(1)</sup> قمحًا كثيرًا؛ ليعمل منه في كل يوم خسيائة رغيف بالمدينة تفرق على السائلين ونحوهم من الفقراء، وليس لأحد من ذلك راتب بل يأخذ من يحضر، ولا مراعاة لأى أحد في التفرقة منها بما أعم النفع على الجميع<sup>(٧)</sup>. في سنة ٨٠٨هـ/ ٥٠١٥م، ويأمر من الأمير شيخ المحمودي<sup>(٨)</sup>، تم صرف مائتي قميص على كل منها عشرة دراهم فضية لفقراء

<sup>(</sup>١) ابن الصيرق، إنباء المصر، ص ٤٨٠.

<sup>(</sup>٢) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨١.

<sup>(</sup>٣) الغورى: قانصوه بن عبد الله الجركسى السلطان الملك الأشرف المشهور بالغورى ولد في حدود سنة ٥٨٥ الغورى: قانصوه بن عبد الله الجركسى السلطان المليم ٥٠٥ مد تولى السلطنة في بداية شوال عام ٥٠٦ هـ قتل في موقعة مرج دابق على يد قوات السلطان سليم العثماني عام ٩٢٢ هـ. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، حوادث ٩٢١ هـ؛ نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٢٩٤ - ٥٠ ٣٤ العصامى، سمط النجوم العوالى، ج ٤، ص ٥٠ - ٥٠.

<sup>(</sup>٤) عائشة مانع عبيد العبدل، إمارة الحج في عصر الدولة الملوكية، ص ١٢٤.

<sup>(</sup>٥) آمنة حسين جلال، طرق الحيج ومرافقه، ص ٢٧٠.

<sup>(</sup>٦) جركس بن عبد الله الخليل: تركماني الأصل وأصله من عاليك يلبغا الخاصكي وتقدم عند الظاهر برقوق كان حسن الشكل مهيبًا مع رأى رصين وعظمة وكان له في كل يوم خبز يتصدق به على بغلين يدور به أحد عماليكه في القاهرة على الفقراء بمكة والمدينة توفى سنة ٧٩١هـ انظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ١٣٨٥ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ١، م ٩، ص ١٧٢.

<sup>(</sup>٧) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٣٤٨.

<sup>(</sup>٨) الأمير شيخ عبد الله المحمودى: تسلطن بعد خلع السلطان المستعين بالله العباسى يوم الإثنين مستهل شعبان عام ٨١٥هـ عمر الجامع العظيم بباب زويلة مرض وتوفى فى يوم الإثنين قبل تاسع عمرم عام ٨٢٤هـ. انظر: ابن تغرى، الدليل الشافى، ج ١، ص ٣٤٦.

الحجاز، كما أرسل السلطان غياث الدين أعظم شاه (١)، في سنة ٩ ٨هـ/ ١٤٠٦م هدايا قيمة إلى أهل الحرمين (١).

كما أن خان جهان وزير السلطان غياث الدين، أرسل خادمًا له يسمى حاجى إقبال، بصدقات من عنده إلى أهل المدينة المنورة وأرسل معه مالًا ليقوم ببناء مدرسة ورباط في المدينة، بالإضافة إلى هدية لأمير المدينة الأمير جماز الحسيني(٣).

فى سنة • ٨٥هـ/ ١٤٤٦م حج وزير السلطان مراد الثانى العثمانى(<sup>١١)</sup>، الذى جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة لأهل الحرمين الشريفين<sup>(٥)</sup>.

وشاركت زوجات بعض السلاطين وكبار الأمراء، في ذلك فعندما حجت زوجة السلطان إينال سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م، كان لها بمكة والمدينة المنورة أعمال خير وصدقات، وأنشأت ميضاة ورباطًا في المدينتين (١٠). وكانت آخر من حجت من زوجات السلاطين، زوجة السلطان الغوري حجت سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م في آخر رحلات الحج التي شهدتها دولة المماليك، وقد أنفقت كثيرًا من الأموال على أهل الحرمين (١٠) لتوفير حياة كريمة لأهل المدينة، خاصة لأمراء الأشراف الذين شكلت لهم الأوقاف موردًا مهمًا من موارد الإنفاق ولتصريف شئونهم؛ حيث نالوا حظًا من الهبات والعطايا والأموال في صور نقدية وعينية (١٥ ففي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م أبطل السلطان قايتباي

<sup>(</sup>١) هو السلطان غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه بن إسكندر شاه سلطان بنجالة من بلاد الهند كان ملكًا له حظ من العلم وأفعال الحير توفى سنة ٨١٥. انظر: النهروالي، الإعلام، ص ١٩٨؛ الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٢١، ٣٢١.

<sup>(</sup>٢) عائشة مانع عبيد العبدل، إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية، ص ١١٨.

<sup>(</sup>٣) النهروالي، الإعلام، ج ٣، ص ٢٠٠.

<sup>(</sup>٤) مراد الثانى العثمانى آبن السلطان عمد بن يلدرم تسلطن سنة ٨٢٥هـ كان ملكًا مطاعًا وصدقاته كثيرة للحجيج ومدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة. انظر: العصامى، سمط النجوم العوالى فى معرفة الأوائل والتوالى، ج ٤، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص ٦٦،٦٥.

<sup>(</sup>٥) النهروالي، الإعلام، ج ٣، ص ٢١٨.

<sup>(</sup>٦) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١١٦.

<sup>(</sup>۷) ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ۳، ص ۱۹۹.

<sup>(</sup>٨) الفاسى، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٨٣؛ عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٩٧.

جميع المكوس التي بالمدينة وعوض صاحب المدينة - أمير المدينة - عن ذلك ألف إردب من القمح(١).

كما اشترط الزينى عبد اللطيف منصور بدوى الزمام (٢) في حجة وقفه المؤرخة ١١ جادى الأولى سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، أن يصرف في كل سنة ما يقابل سبعين دينارًا ذهبًا يحمل لأمير المدينة يخصه من ذلك الثمن، والباقى يفرق على الأشراف الحسينيين المقيمين في المدينة بالتساوى بينهم من ذكر وأنثى، وأن يعطى أمير المدينة في كل سنة إشهادًا بوصول الأموال إليه ولغيره من الأشراف، فإن لم يكن هناك أمير يتولى صرف المال شيخ الحرم، فإن لم يكن هناك شيخ للحرم يتولى صرف المال من يقوم بحمل المال من مصر بحضور أحد حكام الشريعة وشاهدى عدل (٢).

ولعل من أهم مصاريف الأوقاف على أهل المدينة، مساهمتها في تحسين الآبار والعيون وتعميرها، وكان السلطان قايتباى أحد المهتمين بتجديد وترميم تلك الآبار والعيون، فقام بترميم عين الزرقاء بالمدينة المنورة على يد ابن الزمن (١٤ وبإصلاحها جرت المياه إلى المدينة وذلك سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م (٥). كما أشارت حجة وقف السلطان الغورى، إلى صرف عشرة دنانير من الذهب سنويًا أو ما يقوم مقامها من النقود، في ثمن دوارق وأجرة من يتولى تزويدها بالماء وتسبيلها على الخاص والعام بالحرم الشريف المدنى (١٠). أدت هذه الأوقاف والصدقات والهبات وظيفتها في طمأنة أهل المدينة جميعهم على سائر أمور معيشتهم فتفرغوا لأداء أعالهم، كما كان لأوقاف الدشيشة الكبرى أيام

<sup>(</sup>١) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذبل الدول، ج ٢، ص ٣٤٣.

<sup>(</sup>٢) ذكر أحد ماشتم بدر شيني أنه لم يجد له ترجة في المصادر المتداولة.

<sup>(</sup>٣) حجّة وقف الزيني عبد اللطيف الزمام، مؤرخة في ١١ جمادي الأولى سنة ٩٠٣هـ، رقم الحجة (٢٢٢)، رقم المحفظة (٣٥)، دار الوثانق القومية.

<sup>(</sup>٤) تعمد بن عمر بن عمد بن عمر الزمن الخواجة الشمس بن السراج القرشى الدمشقى ثم القاهرى الشافعى ويعرف بابن الزمن ولد فى سنة ٢٨هـ بدمشق وأشرف على عمائر السلطان قايتباى بالحرمين الشريفين كما باشر بالمدينة المنورة سنة ٨٧٩هـ عمارة وترميم عين الزرقاء وسائر منشآت السلطان المذكور مات يوم الأحد ١٨ من شوال سنة ٨٩٧هـ انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٨، ص ٢٦، ٢٦١.

<sup>(</sup>٥) القاسى، شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٤.

 <sup>(</sup>٦) حجة وقف السلطان الغورى، رقم الحجة ( ٨٨٢ ق ) أوقاف، دراسة/ عبد اللطيف إبراهيم على.

سلاطين الجراكسة جقمق وقايتباى والغورى أثرها الكبير على أهل المدينة المنورة، فيذكر السخاوى أن السلطان جقمق: "قرر لأهل الحرمين دشيشة للفقراء في كل يوم، ولكثير منهم رواتب الذخيرة في كل سنة تحمل إليهم من مائة دينار إلى عشرة أو أكثر من ذلك "(۱). وقد ارتبط كل وقف بوثيقة تبين أهدافه وأغراضه وقدره، وكذلك تحديد المستفيدين وصفاتهم وأعدادهم، وغيرها من الأشياء التي يحرص الواقف على النص عليها في وثيقة وقفه (۱).

ظلت الأوقاف التى أوقفها سلاطين الجراكسة فى مصر والشام على المدينة المنورة - حتى عصر متأخر بعد السلطان الغورى - لها حرمتها وأربطتها ومرافقها، فظل ريعها يصل لأهل المدينة فتفرق بين المستحقين لها من السكان والمجاورين شهريًا، بطرق مختلفة سواء أكانت مالية أم عينية (٢٠).

وذكر ابن ظهيرة فى كتابه " روضة الأديب ونزهة الأريب " الكيفية التى تصرف بها أموال الأوقاف الموقوفة على وجوه الخير، وذلك على النحو التالى: ١- الأشراف الذين يعود نسبهم إلى الرسول ﷺ، ٢- الفقهاء (الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة)، ٣- طلبة العلم الفقراء والأسرى وأبناء السبيل والمرضى والمجانين وتجهيز الموتى والمنقطعون والأيتام والأرامل(٤٠).

إلا أن هذه الأوقاف تعرضت للانهيار، ولعل من أسباب انهيارها بعض من القائمين على إدارتها كالقضاة والمباشرين الذين خرجوا على نظامها(٥)، حيث أهمل بعضهم فى الاهتمام بها، مع استيلاء بعضهم على ريعها، مما ساعد على ظهور بعض السلوكيات السيئة كالتحاسد والتباغض للحصول على عائد هذه الأوقاف، وعمل بعضهم على

<sup>(</sup>١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٧٣.

<sup>(</sup>٢) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠.

<sup>(</sup>٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٢.

<sup>(</sup>٤) ابن ظهيرة، شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن ظهيرة الحنفى، روضة الأديب ونزهة الأريب، منشور ضمن بحوث الندوة الدولية في تاريخ القاهرة، عن النظم الإدارية بمصر في القرن التاسع الهجرى، ١٩٧١م، ص ١٩٧٢، ١٠٩٢.

<sup>(</sup>٥) أحمد هانسم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٥٧.

إرضاء السلطة للفوز بالأوقاف وعوائدها، مما كان له دوره في إبراز بعض الانحرافات في سلوك بعض فئات المجتمع(١).

لعل ذلك ما دفع بعض الواقفين إلى الاشتراط على ناظر الوقف، أن لا يستبدل شيئًا من الوقف حتى ولو بلغ الخراب، وإن فعل الناظر ذلك يكون معزولًا، وإن وافقه القاضى على ذلك كان ملعونًا، وإن حاول ذلك أحد أرباب الوظائف عزل وإن كان مستحقًا حرم مقدار استحقاقه (1).

<sup>(</sup>۱) عمد عفيفي عبد الخالق عفيفي، الأوقاف ودورها في الحياة الاقتصادية في مصر (٩٢٣ - ١٠٦٩ هـ/ ١٥١٧ - ١٥١٨ مرائد ما ١٠٦٨ م)، رسالة ماجستير، إشراف د/ رءوف عباس حامد، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٥ م، ص ١٥٧ ـ ١٥٩٨.

<sup>(</sup>٢) أحد هاشم أحد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٣٣.

## • الفصل الرابع

## الحركة العمرانية في المدينة المنورة

أولًا ـ عمارة المسجد النبوى الشريف

ثانيًا ـ اهتمام سلاطين الماليك الجراكسة بمساجد المدينة المنورة الأخرى

ثالثًا ـ سلاطين الماليك الجراكسة وسائر المنشآت المدنية في المدينة المنورة

## أولًا - عمارة المسجد النبوى الشريف(١)

#### \* إرسال المنابر

استمر اهتهام سلاطين الجراكسة بالمسجد النبوى الشريف، والقيام بها يتطلبه من تجديدات وعهارة ومنها إرسال المنابر إليه، وأولها ذلك المنبر الذي أرسله السلطان الظاهر برقوق سنة ٩٨هه/ ١٣٩٩م (١٠). وإن كان السمهودي في "خلاصة الوفا" والسخاوي في "التحفة اللطيفة " ذكرا إرسال هذا المنبر أواخر سنة ٩٧هه/ ١٣٩٤م، ليحل مكان المنبر الذي سبق أن أرسله السلطان بيبرس وكانت الأرضة قد أثرت عليه، فأمر برقوق بعمل المنبر الجديد وأرسله صحبة أمير الحج المصرى الأمير أيتمش الذي وضعه مكان منبر بيبرس، ونقل منبر بيبرس إلى حاصل الحرم النبوي (١٤٠٠م واستمر هذا المنبر إلى ما بعد سنة ٢٨هه/ ١٤١٧م (١٤١٥م فكانت مدة الخطابة على منبر برقوق قصيرة، ذلك أن السلطان المؤيد شيخ (١٨٥ - ١٤٢٤هـ/ ١٢٤٢م) كان قد أمر نجارين من أهل الشام بعمل منبر لمدرسته في القاهرة المعروفة ( بالمؤيدية )، لكن تم صناعة منبر

<sup>(</sup>١) انظر المسجد النبوي الشريف وما حدث فيه من عمارة ملحق رقم ٣ شكل رقم ٢.

<sup>(</sup>٢) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهأية العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٦٩.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٢٦٨؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢١٣.

<sup>(</sup>٤) ابن حجر، أنباء الغمر، ج ١، ص ٧٩٧.

لهذه المدرسة فقام المؤيد بإرسال منبر أهل الشام إلى المدينة المنورة (١٠). وينقل السمهودى ما ذكره ابن حجر: "أن المنبر الموجود اليوم ( زمن ابن حجر) أرسله المؤيد سنة عشرين وثهانهائة "، وهذا مخالف لما هو شائع من أنه أرسله سنة ٢٢٨هـ، ومن ذلك فإن مدة بقاء منبر برقوق في المسجد النبوى بين سنتى ( ٧٩٨- ٥٨٠هـ/ ١٣٩٥ – ١٤ ١٧ م) أى اثنتين وعشرين سنة (٢٠).

يذكر السمهودى أن ابن حجر جعل منبر المؤيد بدل منبر بيبرس لأنه لم يطلع على منبر برقوق، ويذكر أيضًا أن منبر المؤيد هو المنبر المحترق فى سنة ١٤٨١هـ/ ١٤٨١م (٢٠)، وبذلك فقد استمر منبر برقوق إلى أن أرسل المؤيد منبرًا سنة ٢٢٨هـ/ ١٤١٩م، وجعل ابن حجر منبر المؤيد هذا هو المحترق فى الحريق الثانى (١٤).

كها يذكر شهاب الدين القليوبى فى "النبذة اللطيفة "أن المنبر الذى أنشأه المؤيد شيخ استمر إلى أن أبدله السلطان خشقدم بغيره سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م، حيث استمر هذا المنبر إلى أن احترق فى الحريق الثانى فى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، فقام السلطان قايتباى بصناعة منبر من الرخام للمسجد النبوى (٥٠).

والمرجح أن المؤيد شيخ قام باستبدال منبر السلطان برقوق لما وجد من روعة المنبر الندى صنعه أمهر صناع أهل الشام، وأرسل به إلى المدينة سنة • ٨٢هـ/ ١٤ ٢ م ليوضع في المسجد النبوى مكان منبر برقوق، وقد بقيت الخطبة على هذا المنبر حتى دمر في الحريق الذي أصاب المسجد النبوى الشريف في رمضان سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م وذلك لمدة (٦٧) سنة (٦٠)، وطول هذا المنبر في السهاء دون قبته وقوائمها ستة أذرع وثلث

<sup>(</sup>١) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٤٠٨.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، المصدر نقسه، ج ٢، ص ٤٠٨.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٢٦٩.

<sup>(</sup>٤) العباسي، عمدة الأخبار، ص ١١٠.

<sup>(</sup>٥) القليوبي، شهاب الدين أحمد القليوبي الأزهري الشانعي توفى أواخر شوال سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م، نبـذة لطيفة في مباحث شريفة في تاريخ الحجاز ومعالم، مخطوطة رقم ( ٢٤٩٢) تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم ( ٢٨٧١٦)، دار الكتب المصرية، ص ٦٠.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ١٠.

وامتداده فى الأرض ثمانية أذرع ونصف راجحة، وعدد درجه تسع بالمقعد وارتفاع المقعد ذراع ونصف، ولما احترق هذا المنبر بنى أهل المدينة مكانه منبرًا من آجر مطلى بالنورة (الجير)، استمرت الخطبة عليه إلى رجب سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، فهدم وتأسس مكانه المنبر الرخام للأشرف قايتباى، وهو أقصر فى الامتداد فى الأرض من المنبر المحترق بنحو ثلاثة أرباع ذراع وعدد درجه كالمحترق (۱).

#### \* تجديدات وإصلاحات المسجد النبوى:

فى عصر السلطان برسباى وفى قرابة سنة ١٩٨١هـ/ ١٤٢٨م، أقر الشيخ علاء الدين البخارى الحنفى (٢) على ما قام به من تسمير لأبواب الدرابزين المحيطة بالحجرة النبوية الشريفة، وذلك لتعظيمها "وتنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين بالأيدى"، وقد بقى هذا الدرابزين مسمرًا حتى احترق سنة ١٨٨هـ/ ١٤٨١م (٢). كما قام برسباى بإصلاح وتجديد الرواقين المطلين على الصحن جهة القبلة اللذين كان الناصر قلاوون قد أضافها سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م على يد مقبل القديدى (١) من مال جوالى قبرص (٥)،

<sup>(</sup>۱) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٢٦٩، ٢٧٠.

<sup>(</sup>٢) هو الشيخ علاء الدين البخارى الحنفى كانت له حظوة عند سلطان مصر بسبب ورعه وعلمه وقال عنه السخاوى أنه قام فى حجة سنة ١ ٩٨هـ بإغلاق " أبواب المسجد الحرام بمكة مدة حجه فكانت لا تفتح إلا أوقات الصلوات الخمس ومنع من نصب الخيام وإقامة الناس فيه أيام المواسم وأغلق أبواب مقصورة الحجرة الشريفة النبوية ومنع كافة الناس من الدخول إليها ". انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٩، ص٤٩٤.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦١٦، ٦١٧.

<sup>(</sup>٤) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٤؛ انظر أيضًا: عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة فى التاريخ، دراسة شاملة، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، د. ت.، ص ٧٤؛ صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، تطورها العمرانى وتراثها المعمارى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص ٨١.

<sup>(</sup>٥) الجوالى جمع جالية والجوالى: الجزية وهو المال الذى يؤخذ من أهل الذمة مقابل استمرارهم فى بلاد الإسلام تحت الذمة وعدم إجلائهم عنها وهى الجزية وهى من أحل الحلال من الأموال لذا جعلت من أجور العلماء والمدرسين والجالية لفظ أطلق على أهل الذمة؛ لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب، ثم لزم بهذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الجزية وإن لم يجلوا عن أوطانهم. انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، عمد أحمد حمل من ١٩٩٠م، ص ٥٦.

كما أصلح جزءًا من سقف الجناح الشهالى المعروف بالسقف الشامى بجوار المئذنة الشهالية الشرقية المعروفة (بالسنجارية)(١)، وبذلك أقام أسقف جديدة في المسجد بدلًا عن التالفة من الناحيتين الجنوبية والشهالية(١).

كها تم فى عصر برسباى عمل رحبات واسعة أمام أبواب المسجد النبوى، ليتمكن الناس من خلع نعالهم قبل دخول المسجد منعًا للزحام، الذى كان يحدث عند درابزين الأبواب، وتم عمل إفريز من الحجارة عند طرف عقد باب السلام (٢٠)، وعمل عند باب الرحمة مثل ذلك.

ولابد أن سبب هذه التجديدات التى قام بها السلطان برسباى، هو طول ما مرعلى تلك الأجزاء من سنوات، حيث تأثرت بعوامل الزمن وتعرضت للأمطار، فكانت أن ظهرت آثار تلفها فقام برسباى بتجديد ما ظهر في عصره.

وأكمل السلطان جقمق ( ٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ – ١٤٥٣م) ما ظهر في عصره من آثار للتلف في المسجد النبوى، ففي سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م قام بتجديد سقف المسجد النبوى خاصة الروضة النبوية، كما قام بعمل باب للجهة الشهالية بالمقصورة الخشبية التي وضعها السلطان بيبرس، وعمل أعلاه رفوف وأرضية رخام حتى الصحن، وكذلك الأرضية بين المقصورة وحائط عمر بن عبد العزيز حول القبر بالرخام الملون (٤).

ويذكر ابن المحجوب عن اهتهام السلطان جقمق بالمسجد النبوى الشريف فيقول: "تفقد جميع المسجد بالردم وجدد جميع سقفه بالخشب المربعة الرفيعة والدهان المنوع بالذهب (واللازورد)(٥)، إلا أن سقف بعض مجنباته لم يتم تذهيبها لموت هذا الملك

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٢١٢؛ السمهودي، خلاصة الوقا، ج ١، ص ٣٦٤.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ١، ص ٣٦٥.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٢٠٥.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦١١.

<sup>(</sup>٥) اللازورد: أن اللازورد نوع من الجواهر " يبرد ويجلى ويطحن ويستعمل فى الأصباغ وما دام صحيحًا فإنه يضرب إلى لون النيل وربها مال إلى السواد... وإذا سحق وهو برخاوته مؤاتى للطحن أشرق لونه وجاء منه صبغ مؤنق لا يدانيه شيء من أشباهه ". البيرونى، أبو الريحان محمد بن أحمد ( توفى في حدود سنة ٢٠٠هـ)، الجهاهر في معرفة الجواهر، بيروت، عالم الكتب.

(جقمق) قبل تمام ذلك وقصور همم الملوك بعده عن إكماله"(١)، وقد قام بالإشراف على كل هذه التجديدات الأمير برد بك التاجي(٢).

في عصر السلطان إينال أقام طوغان شيخ (٣) بعد سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م محرابًا، هو محراب الحنفية غرب المنبر الشريف متأخرًا في الصف عن المحراب الشافعي، وفي مكان مصلى الرسول ﷺ (١). أكد ذلك السخاوى في " التحفة اللطيفة "، حيث ذكر أن إحداث المحراب كان باقتراح من الأمين الأقصرائي على طوغان شيخ الأحمدي أحد أمراء السلطان إينال(٥). إلا أن ابن الصير في ذكر أن إحداث محراب للحنفية تم سنة ١٠٨هـ/ ١٣٩٨م، بمرسوم من السلطان برقوق (١) كما قام القاضي زين الدين أبو الصدق المعروف بابن مزهر ( ٨٣١-٨٩٣هـ)، حين زار المدينة المنورة موسم سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، بعمل من المعروف ما عم أهل المدينة، وأمر بإصلاح ما تهدم من الرخام بالحجرة الشريفة(٧).

#### \* عمارة المسجد النبوى في عصر قايتباى (^)

حظى المسجد النبوى الشريف بقسط كبير من عناية السلطان قايتباى(٩)، لما له من

<sup>(</sup>١) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٢٨٢ نقلًا عن ابن المحجوب، قرة العين في أوصاف الحرمين، ورقة ٧٨ ب.

<sup>(</sup>٢) برد بك التاجي الظاهري: وهو من مماليك الظاهر جقمق ومن خواصه رقاه إلى أن صار خاصكيًا ثم أمير عشرة وجعله من رءوس النوب وتوفى سنة ٨٨٢هـ. انظر: السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٥، ابن تغری، الدلیل الشاف، ج ۱، ص ۸۵.

<sup>(</sup>٣) طوغان شيخ الأحمدي: ولي نظر المسجد الحرام مات في ذي الحجة ١٨٨هـ/ ١٧ آذار- ١٥ نيسان (مارس-أبريل) ١٤٧٧م بالقاهرة. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٠.

<sup>(</sup>٤) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٧٠؛ صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٢.

<sup>(</sup>٥) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٦٧.

<sup>(</sup>٦) ابن الصيرف، نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ٤٩٣؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٤٥.

<sup>(</sup>٧) محمد هزاع الشهري، عارة المسجد النبوي، ص ٢٨٥.

<sup>(</sup>٨) انظر عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوى الشريف ٢٨٨هـ/ ١٤٨١م ملحق رقم ٣ شكل ٣.

<sup>(</sup>٩) السلطان قايتباي: كانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يومًا، وهذه المدة لم تتفق لأحد من ملوك التي قبله وكان عببًا لجمع الأموال ناظرًا إلى ما

مكانة كبيرة وقدسية وجلال فى نفوس المسلمين، فضلًا عن أن قايتباى أراد أن يثبت بعنايته بالأماكن المقدسة بالحجاز أن سلطان مصر والشام جدير بلقب "خادم الحرمين الشريفين"(۱). حيث حدثت فى عصره عهارتان للمسجد النبوى، أولهما قبل حريق سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، والثانية بعده لإصلاح ما أحدثه الحريق.

أما العمارة الأولى التي بدأت سنة ٨٧٨-٩٧٨هـ / ١٤٧٤-١٤٧٥م (٢)، فيذكر السمهودي أن السبب فيها هو أن مسئولي المسجد طالعوا الأمير شاهين الجمالي (٢)، عند

فى أيدى الناس ولولا ذلك لكان خيار ملوك الجراكسة على الإطلاق، ولكنه كان معذورًا فى ذلك وكان له اشتغال بالعلم كثير المطالعات فى الكتب وله أذكار وأوراد جليلة وإلى الآن تتلى فى الجوامع وكان له اعتقاد فى الفقراء ويعظم العلماء عارفًا بمقام الناس ينزل كل أحد منزلته وكان تابعًا لطريقة الصوفية فى التقشف وكان له بر ومعروف وأوقف عدة جهات على وجوه البر والصدقة وكانت عاسنه أكثر من مساوئه. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٢٥، ٣٢٦ وقد عمر قايتباى الحجرة الشريفة والقبة المبتناة عليها وعمر مسجد الرسول و عمر بالمدينة مدرسة ورباطًا وساق ماء العين الزرقاء إليها وهذا كها (قال) الشيخ رضى الله تعالى عنه:

#### وكسم ملسيك تمسناه وما تسدرًا

هذا وحقك شيء ما سبقت له

شر فًا على الملوك وفخرًا زين السيرًا

أليس يكفيك هذا سيدى

وكانت وفاة السلطان قايتباى فى ليلة الاثنين الثامن عشر ذى القعدة سنة إحدى وتسعانة ولذلك قيل إنه المجدد من الملوك على رأس القرن العاشر. انظر: الغزى، نجم الدين محمد ت ١٠٦١هـ/ ١٥٥م، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، الجزء الأول، تحقيق/ جبرائيل سليان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٩٧٧.

- (۱) خادم الحرمين الشريفين: ورد لفظ خادم كوظيفة في كثير من الكتابات على الآثار العربية والخادم هو من يقوم بالخدمة وفي موضع آخر استخدم لفظ خادم كترجمة تدل على التواضع كما دخلت الكلمة في تكوين بعض الألقاب المركبة الفخرية ومنها "خادم حرمى الله ورسوله " و "خادم الحرمين الشريفين " ويقصد به المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول في بالمدينة وقد لقب بهذا اللقب الكثير من سلاطين الماليك وذلك للدلالة على سيادتهم على الأقطار الحجازية وحمايتهم للحرمين الشريفين كها أنه يرمز إلى شمول تفوذهم على العالم الإسلامي ومن هؤلاء السلاطين الذين حرصوا كل الحرص على تشريفهم بخدمة الحرمين الشريفين السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى وقد وجد هذا اللقب بصيغة أخرى في تقش على وكالة تحمل اسمه بباب النصر بتاريخ سنة ٥٨٥هـ وهي "خادم حرمي الله ورسوله". انظر: حسن الباشا، الألقاب الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، الجزء الأول، ص ٣٣٣ ٤٣٧؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في تاريخ الوثائق والآثار، ص ٣٦٦ ٣٦٠؛
  - (۲) السمهودي، وفاء الوفاء ج ۲، ص ٦٠٥.
- (٣) هو الأمير شجاع الدين شاهين الجهالي الرومي، ثم القاهري الحنفي أحد أمراء العشرات ولد سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م وعمل في وظائف متعددة بالمدينة المنورة منها ناظر الحرم النبوي ومتولى عهارة المسجد

مروره على المدينة قادمًا من جدة في طريقه إلى مصر، على بعض الأجزاء التالفة من سقف المسجد، وكذلك الحائز المخمس الدائر حول الحجرة الشريفة لوجود شقوق قديمة في بعض الأجزاء تظهر إذا رفعت الكسوة عنها(۱). واجتمع السمهودى بالأمير شاهين لمعرفة رأيه في ذلك فكان قراره "أنه ليس بضرورى لأنه شق في طول الحائط لا في عرضه وهو قديم عملوء بالجص والحائط ليس عليه يقف فيثقله فنخشى عليه "، وفي سنة ٨٧٨هـ/ ٤٧٤م تم إبلاغ السلطان قايتباى بحاجة المسجد النبوى للإصلاح. فاهتم السلطان بذلك اهتهامًا كبيرًا، واختار لذلك الأمير شمس بن الزمن(۱)، الذي فاهتم السلطان بذلك اهتهام كبير بالمدينة المنورة(۱)، فأرسله سنة ٩٨٩هـ/ ١٤٧٥م إلى المدينة، كان له سابقة اهتهام كبير بالمدينة النورة(۱)، فأرسله سنة ٩٨٩هـ/ ١٤٧٥م إلى المدينة، وقد أحضر المهندسين ورتب العمال للبدء في العمل، كما ترك لهم كل ما يلزمهم من الأموال(۱).

إلا أنه عاد إلى مصر بعد أن قام بتفويض شرف الدين الأنصارى (٥) للقيام بأعمال هذه العمارة، والذى أمر العمال " فهدموا عقود المسجد التى تلى رحبته من جهة المشرق وسقف الرواق الذى كان عليها لاقتضاء نظرهم ذلك ونقضوا بعض أساطينه فوجد

النبوى وعين نائبًا في جدة وناظرًا على عبارة المسجد الحرام وعلى سقيا العباس بمكة. انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٢٩٣؛ السخاوى، النحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٣؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٣؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢١٠-٢١٢.

<sup>(</sup>١) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٦١٧.

<sup>(</sup>٢) يذكر القلقشندى عن مهام وظيفة نظار العارة أنه الذى له الأمر على المهندسين والحجارين وصناع العائر ونحوهم وكان يتولاها في بادئ الأمر أمير عشرة ثم صار يتولاها قوم بغير إمرة. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣، كما كان شاد العائر من الوظائف الجليلة وكان يشغلها في عصر الماليك الأمراء ومهامها الأساسية الإشراف على العائر السلطانية وكان لبعض الأمراء والأوقاف شادين للعائر. انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٢، ص ٢١٦ - ٢١٨.

<sup>(</sup>٣) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٢٩٠.

<sup>(</sup>٤) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٠٨.

<sup>(</sup>۵) شرف الدین الأنصاری: هو موسی بن علی بن سلیهان التتای الشافعی ناظر الجیش ناظر الخاص ووکالة بیت المال توفی بمکة فی ۱۷ صفر ۸۸۱هـ/ ۱۱ جزیران (یونیه) ۱۶۷۶م. انظر: ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ۳، ص ۱۲۰.

بعضها لا رصاص فيه وبعضها فيه رصاص"(۱). وصبوا فى أساس المثذنة الشرقية ما يقويها بعد أن لاحظوا اهتزازها(۲)، وتم إعادة تثبيت الأسطوانات بالحديد والرصاص وسقف بالبلاط، كما قاموا بموازاة السطح السفلى لمقدم المسجد وكل هذا كان فى السنة الأولى(۲).

وبعد انتهاء هذه الأعمال توقف العمل في المسجد لمدة سنة ٠٨٨هـ/ ١٤٧٥م، وذلك لنفاد المال وعدم وصول أموال جديدة من مصر وكتب إلى السلطان بذلك (١٠)، كما أدت وفاة شرف الدين الأنصاري بمكة سنة ٨٨١هـ/ ٢٧٦م دون استكمال العمارة (٥٠)، إلى عودة شمس الدين بن الزمن للإشراف على الإصلاحات مرة أخرى (١٠).

جاء ابن الزمن إلى المدينة هذه المرة، ومعه عدد من أرباب الصنائع وآلات ولواذم العمارة، وذلك مما مكنه من العمل فور وصوله، حيث تم رفع سقف الروضة الأعلى وما اتصل به مما حول القبة الزرقاء، ورفع أيضًا بعضًا مما يوازى غربى المنبر الشريف لحدوث تكسير لأخشابه، وقد كان هذا الجزء من الروضة قد تم تجديده في عصر السلطان جقمق سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩ م وتم عمل التجديد للروضة في بلاطاتها الثلاثة، بداية من جدار الحجرة النبوية الشريفة وحتى الأسطوانات التى تلى المنبر (٧).

بالنسبة إلى الحجرة النبوية الشريفة، فيروى السمهودى فى فصل كتبه بعنوان " فيها تجدد من عهارة الحجرة الشريفة فى زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، ما حصل بسببه من إزالة هدم الحريق الأول من ذلك المحل الشريف، ومشاهدة وضعه المنيف، وتصوير ما

<sup>(</sup>۱) السمهودي، وفاء الوفاء ج ۲، ص ۲۰٦.

<sup>(</sup>٢) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٠٩.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٢٠٦.

<sup>(</sup>٤) محمد هزاع الشهرى، عبارة المسجد النبوى، ص ٢٩٣؛ عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٠٩.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦١٨.

<sup>(</sup>٦) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠٦؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٠٩.

<sup>(</sup>۷) السمهودي، المصدر نفسه، ج ۲، ص ۲۰۲، ۲۰۷.

استقر عليه أمر الحجرة في هذه العمارة"(١). حيث تم تجديد حلية الصندوق الذي يقابل الرأس النبوى الشريف من شقوق وآثار التلف في أسفل الأسطوانة التي يرتكز عليها الصندوق، بعدما هالهم منظر التلف الذي تم ملاحظته أوائل سنة ١٤٧٨هـ/ ١٤٧٣م، وتأكد لهم مدى خطورته، فعقدوا النية على استخراج الخرزات التالفة، وكانت ست قطع تقع كلها أسفل الأسطوانة، إلا أن السمهودي استبعد قدرتهم على ذلك دون إلحاق الضرر ببقية أجزائها، فظلوا يحاولون إخراج الخرز التالف عدة أيام حتى تمكنوا من ذلك، وأعادوا مكانها مثلها كانوا قد نقضوه من مسجد قباء وأحكموا إعادتها بالرصاص وأعمدة الحديد(١).

كما أنهم عند تجديدهم لرخام جدران الحجرة الشريفة، ظهر لهم شق قديم سده السابقون بكسر الآجر، وأفرغوا فيه الجص وبيضوه بالقصة فانشق البياض، وحاول متولى العمارة اختبار الشق فعمل على استخراج ما بداخله من الآجر والجص، وتبين له أنه كبير يستطيع المرء من خلاله أن يرى ما بداخل الحجرة الشريفة، فقاموا ببناء الحجرة النبوية حول مربعها الذى كان عمر بن عبد العزيز قد أقامه، وجعلوا عليها قبة مكان القبة التى سبقتها، والتى لم تقاوم الزمن لكونها من الخشب "كما تم تجديد بعض الدرابزين المصنوع من الخشب الذى سبق للظاهر بيبرس أن أحاط به الحجرة الشريفة عما يلى الروضة ").

أما فيما يخص الرواق فيذكر السمهودى عنه: "أنهم سقفوا الرواق الأوسط الذى يلى الرواق الذى سبق عمارتهم إياه فى العام الماضى وأعادوا ذلك". كما يذكر السمهودى أنهم انتقلوا إلى مؤخرة المسجد الشريف، فقاموا بإصلاح " شيئا من السقف الشامى وغيره"(٥). وتم هدم الحائط الشرقى من المئذنة الشمالية الشرقية إلى أساسه وإعادة

<sup>(</sup>١) محمود الشرقاوي، المدينة المنورة، دار الشعب، القاهرة، د. ت.، ص ١٩٣.

<sup>(</sup>۲) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٦١٩، ٦٢٠.

<sup>(</sup>٣) محمد حسين هيكل، في منزل الوحى، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٦هـ ص ٥٥٣.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦١٢.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠٨.

بنائه، وأستخدمت في ذلك أفضل مواد البناء المتوافرة في ذلك العصر من الجير والجص والحصياء الناعمة(١).

وقد تم الصرف على هذه التجديدات من قيمة قناديل حاصل الحرم النبوى الشريف، التي تم حملها إلى مصر خلال عمل هذه الإصلاحات، وذلك ما رواه ابن الزمن؛ حيث حسن للسلطان "صرف ذلك في مصالح المسجد والمدينة الشريفة "(٢).

وبعد اكتهال هذه التجديدات زار السلطان قايتباى المدينة المنورة قبل حجه (٢٠)، التى وصلها فى ٢٢ ذى القعدة ٨٨٤هـ/ فبراير ١٤٨٠م، ومكث فيها لمدة يومين (٤٠)، حيث وقف على أعهال العهارة الشريفة وصلى بالروضة الشريفة، وانتهت زيارته للمدينة المنورة فى ٢٤ ذى القعدة سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م وبعد عودته إلى مصر، قام السلطان قايتباى بتخصيص الكثير من الأوقاف على المدينة المنورة بوجه عام والمسجد النبوى بوجه خاص.

إلا أنه قبل مرور سنتين على ما تم من تجديدات، احترق المسجد النبوي للمرة الثانية(١)

<sup>(</sup>١) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عبارة المسجد الحرام والمسجد النبوى، ص ٢٨٣.

<sup>(</sup>۲) السمهودي، وفاء الوفا، ج ۲، ص ٥٩٠.

<sup>(</sup>٣) حيث سافر السلطان قايتباى للحج سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م وبدأ بالمدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ وأجـزل الهمبات والعطـابا حتى قيل إنها بلغت أكثر من سنة آلاف دينار. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٥٥؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٧١٣.

<sup>(</sup>٤) على بن موسى، وصف المدينة المنورة، ص ٧٩.

<sup>(</sup>٥) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عبارة المسجد الحرام والمسجد النبوي، ص ٢٨٤.

<sup>(</sup>٦) ذكر النهروالى "أنه من أعظم ما وقع فى أيام السلطان قايتباى من الأمور الهايلة حريق المسجد الشريف النبوى ذكرناه استطرادًا؛ لأنه أمر هايل عظيم الحول وتفصيل ذلك أن فى ثلث الليل الأخير من ليلة الإثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ٨٨٦ طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب إلى المأذنة الشريفة اليهانية من ركن المسجد الشريف المعروفة بالرئيسية، وهو يذكر ويمجد وكانت السهاء متراكمة بالغيوم متوارية النجوم إذ سمع رعد هايل وسقطت صاعقة لها لهب كالنار أصاب بعضها هلال المآذنة فانشق رأسها ومات المؤذن مرحمه الله و وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المأذنة فعلقت النار فيه نفتحت أبواب المسجد ونودى بالحريق فى المسجد فحضر أمير المدينة يومئذ السيد قسطل بن زهير الجالى وشيخ الحرم والقضاة وساير الناس وصعد أهل النجدة والقوة إلى سطح المسجد بالمياه فى القرب يسكبونها على النار لتطفئ فالتهبت وأخذت فى جهة الشيال والمغرب وعجزوا عن إطفائها فهربوا واستولت النار عليهم فيات منهم فوق عشر أنقس وعظمت النار جدًا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف وأحرقت ما فى المسجد من المصاحف وخزاين الكتب والربعات وكانت كتبًا نفيسة ومصاحف الشريف وأحرقت ما فى المسجد من المصاحف وخزاين الكتب والربعات وكانت كتبًا نفيسة ومصاحف الشريف وأحرقت ما فى المسجد من المصاحف وخزاين الكتب والربعات وكانت كتبًا نفيسة ومصاحف الشريف وأحرقت ما فى المسجد من المصاحف وخزاين الكتب والربعات وكانت كتبًا نفيسة ومصاحف

فى ١٣ رمضان ٨٨٦ه / نوفمبر ١٤٨١م (١)، بسبب صاعقة أصابت المئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسية) قبل صلاة الفجر، عندما كان يستعد رئيس المؤذنين شمس الدين محمد بن الخطيب، لرفع الأذان من أعلى هذه المئذنة (٢)، وانتشرت النيران فى المسجد الذى لم يكن موجودًا به إلا المؤذنين، وهم فى أعلى المآذن لرفع الأذان، وبعض الخدام القائمين على حراسته، وبعد بدء الحريق حاول الناس إطفاءه فلم يتمكنوا، فقد أتلفت جزءًا كبيرًا من سقوفه كها امتدت إلى شهاله وغربه (٢).

ويذكر السمهودى أن النيران خلال وقت قصير، قد دمرت جميع سقوف المسجد النبوى وحواصله وأبوابه، وما كان فيه من خزائن الكتب والمصاحف (١٠)، كما أتلفت الكثير من أسطواناته، فيما عدا الأساطين الملاصقة لجدار الحجرة النبوية الشريفة، وهدمت أكثر المئذنة الرئيسية (٥٠). وكذلك احترقت المقصورة والمنبر النبوى – منبر المؤيد شيخ –، ولم تصب النيران الحجرة النبوية والقبة التى فوقها، وفي البداية ترك الناس الأنقاض والردم الحاصل عن الحريق كما هو حتى تأتى إليهم أوامر السلطان بما يجب فعله، إلا أن أمير المدينة والقضاة وغيرهم، قاموا بنقل الأنقاض من مقدم المسجد إلى مؤخرته، وقاموا بنصب الخيام للصلاة، وخاصة جهة القبلة وحول الحجرة النبوية (١٠).

عظيمة وصار المسجد كبحر لجى من الناريرمى بشرر كالقصر إلى أن استوعب الحريق جميع المسجد والقبة العليا إلى فوق قبة النبى على وذاب رصاصه ولم يصل أثر النار إلى جوف الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لسلامة القبة السفل وعدم التأثير فيها مع ما سقط عليها كها هو أمثال الجبال واحترقت حتى حجارة الأساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين اسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوى والصندوق الذي في المصلى الشريف والمقصورة التي حول الحجرة الشريفة وسلمت الأساطين الملاصقة والصندوق الذي في المصلى الشريف والمسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار كأنها للحجرة الشريفة وسلم ما حول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار كأنها تكفها عن بيوت جيران النبي من يحق مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها". انظر: النهروالى، الإعلام، ج ٢، ص ٢٢٧، ٢٢٨ انظر أيضًا: على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٢٩، ٢٠.

<sup>(</sup>١) صالح لمعي مصطفى، المدينة المتورة، ص ٨٤.

<sup>(</sup>۲) السمهودي، وفاء الوفاءج ۲، ص ٦٣٣.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، المصدر نفسه، ص ٦٣٣، ٦٨٥.

<sup>(</sup>٤) جدير بالذكر أن السمهودى قد شاهد هذا الحريق بنفسه، بل واحترق فيها احترق بعض أشياء تخصه كان يحتفظ بها فى مؤخرة المسجد ومن ضمئها أصل كتابه وفاء الوفا وقد قدم لنا السمهودى وصفًا تفصيليًا دقيقًا لظروف هذا الحريق ومراحله. انظر: السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ٤٥٧.

<sup>(</sup>٥) السخاوي، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ٧٥؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٣٥، ٦٣٦.

<sup>(</sup>٦) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

وأرسل أمير المدينة في ١٦ رمضان ١٨٨هـ/ نوفمبر ١٤٨١م (١١)، رسولًا إلى مصر لعرض أمر الحريق على السلطان قايتباى (٢)، الذى وقع عليه الخبر كالصاعقة إذ ذكر ابن إياس أن السلطان عندما سمع بذلك " بكى وبكى من كان حوله "(٢)، كما أصاب المسلمون الجزع من الدخول إلى الحجرة الشريفة لإصلاحها، وثار جدل حاد حسمه السمهودى الذى قدم الحجج الشرعية لذلك وطالب بسرعة إصلاح الحجرة (١).

وبالنسبة إلى العمارة الثانية للمسجد النبوى فى عمصر قايتباى بعد حريق سنة المدمر الذي المدمريق سنة المدمر ١٤٨١م، فيذكر السمهودى أن السلطان رأى فى إعادة بناء المسجد النبوى، مزيد التشريف له وكمال التعريف به، وأنه كرامة من الله تعالى أكرمه بها، وذخيرة يرجو

بطيبة سيئات الركب بدلها رب العلاحسنات عندما زاروا وعندما قبلت ضاهت لذى حرم المختار من أكلت قربانه النار

قال ابن إياس وأعتذر آخر عن ذلك: لم يحترق حرم النبي لحادث يخشى عليه ولا دهاه العار

لكنها أيدى الروانض لامست ذاك الجناب فطهرته النـار واعتذر آخر عن ذلك:

قالوا لقد غاب الصواب لحادث تبنى عليه رضاهم الكفار بل ضم شمل السحت وهو عرم عند الرسول فحرقته النار

انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٨٧، ١١٨٨ انظر أيضًا: عمد هزاع الشهرى، عارة المسجد النبوى، ص ٣٢٥.

(٤) مصطفى نبيل، المدينة المنورة، طيبة الحجاز، العدد ٢٥٢، مجلة العربى، ذو القعدة ١٣٩٩هـ، نوفمبر
 ١٩٧٩م، ص ٨٢.

<sup>(</sup>١) محمد هزاع الشهرى، عارة المسجد النبوى، ص ٣٢٢.

<sup>(</sup>٢) الإسحاقى، محمد عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحد بن عبد المغنى بن على الإسحاقى المنوف، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحن عبد الرحيم، الشويخ، الكويت، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٣٢٠.

<sup>(</sup>٣) قال ابن إياس: فكتب بذلك عضر وثبت على قضاة المدينة وكان عما كتب فى المحضر أن المؤذن لما طلع على المئذنة الشرقية لأجل التسبيح فرأى صاعقة عظيمة نزلت من السياء على المسجد الشريف فعملت فيه النار فلها عاين المؤذن ذلك خرس ونزل من المئذنة، فأقام ساعة ومات وقد عاينوا (كذا) الناس عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول المسجد تمنع النار أن لا تحرق البيوت التي حول المسجد وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور فلما سمع السلطان ذلك بكى وبكى من حوله وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت في مثل هذا المكان الشريف فأخذ شيخنا شمس الدين محمد القادري يعتذر عن ذلك وهو يقول:

الفوز بسببها(۱)، لذلك أصدر قايتباي مرسومًا بوقف جميع عماشره في مكة وغيرها(۱)، للتحول لعمارة المسجد النبوي.

كها يذكر ابن طولون فى حوادث سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م، أنهم شرعوا فى إعادة بنائه قبل دخول موسم الحاج، حيث وردت المراسيم بعهارته، وأن يكون ذلك تحت إشراف خير بك حديد، الذى كان محبوسًا بقلعة دمشق، لكنه أبى وقال: هذا عهارته طويلة واستمر منفيًا بمكة، وعلق ابن طولون على موقفه هذا بقوله: "فواحزناه عليه فإن ذلك يدل على سوء طويته"(٣).

ولإنجاز ذلك أرسل السلطان على الفور مجموعتين من العمال لإزالة آثار الحريق من المسجد، المجموعة الأولى: قدر عددها بقرابة مائة صانع، من أرباب الصنائع منهم البناءون والنجارون والنشارون والدهانون والحجارون والنحاتون والحدادون والمرخون، وعددًا كبيرًا من الحمير والجمال، ومبلغ عشرين ألف دينار ألف دينار ضمنهم مجموعة من أهل دمشق، حيث أرسل السلطان قايتباى فى ذى القعدة سنة المحمد/ ١٤٨١م فى أخذ جماعة من الصناع الذين عمروا الجامع الأموى (٥). وكان ذلك تحت إشراف الأمير سنقر الجمالي (١) وأخيه شاهين الجمالي (٧).

كها يذكر السمهودى أن السلطان شرع " فى تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت فى الطور والينبع والمدينة الشريفة "، وكانت تلك المؤن والآلات تصل إلى المدينة، بمعرفة موظفين مكلفين من السلطان بذلك (^).

<sup>(</sup>١) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٨.

<sup>(</sup>٢) النهروالي، الإعلام، ج ٣، ص ٢٢٨.

<sup>(</sup>٣) ابن طولون، شمس الدين محمد بن طولون ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تاريخ مصر والشام، القسم الأول من سنة ٨٨٤ إلى سنة ١٩٢١هـ ( ١٥٨٠ - ١٥١٥م)، تحقيق/ محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م، ص ٥٣.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، خلاصة الوفاءج ١، ص ٣٦٨.

<sup>(</sup>٥) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ق ١، ص ٥١.

<sup>(</sup>٦) هو يوسف بن كاتب حكم الزيني أبو السعادات رقى فى الخدمة حتى ولى شادية العهائر بمكة والمدينة يعاونه فى ذلك أخاه الأمير شجاع ولى حسبة مكة عدة سنين كان ممدوح الأخلاق محمود الأعمال. انظر: السخارى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٧٢؛ التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٧، ١٩٨، ٢١٢.

<sup>(</sup>٧) صالح لمعي مصطفى، اللَّدينة المنورة، ص ٨٤.

<sup>(</sup>۸) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ۱، ص ٣٦٨.

أما المجموعة الثانية: فتتكون من ثلاثهائة من الصناع وغيرهم من الحهالين والمبيضين والجباسين والسباكين، وأكثر من مائتى جمل ومائة حمار، وقد حضر وامن القاهرة ومعهم مواد البناء اللازمة (۱)، بالإضافة إلى مبلغ قدره مائة ألف دينار، وقد أكثر السلطان من تجهيز المؤن حتى امتلأت البنادر من الخيرات (۱)، فيذكر السمهودى أن هذه الأحمال صارت تتواصل وقل أن تنقطع برًا وبحرًا (۱)، وذلك بإشراف ابن الزمن الذى سبق أن أشرف على العهارة الأولى قبل الحريق (۱).

ذكر عبد العزيز بن فهد خبر وصول ابن الزمن إلى ينبع، حيث وصلت أخبار إلى مكة في ١٧ ربيع الثانى " بأن الخواجة شمس الدين بن الزمن وصل إلى الينبع، ومعه القاصد ومعه خلعته، وتوجه إلى المدينة الشريفة مشرفًا ومتكلمًا على عمارة المسجد الشريف النبوى "(٥).

ورغم عدم وجود السمهودى فى ذلك الوقت فى المدينة المنورة لوجوده فى مكة، ومنها سافر إلى مصر لزيارة أهله، رغم ذلك فإن السمهودى يطلعنا على التجديدات التى تمت فى المسجد النبوى، حيث تتبع أخبارها بعد عودته ووصفها لنا(١٠).

بدأت أعيال العيارة فى بداية ٨٨٧هـــ/ ١٤٨٢م، واستمرت حتى نهاية سنة مدمد ١٤٨٣م. وقد بدأت بجد واجتهاد، وبدايتها كانت بعيارة المئذنة الرئيسية حيث هدموها إلى أساسها وبنوها(٧)، وقد أوضح السمهودى أن ارتفاع هذه المئذنة، التي أقيمت في عهد قايتباى قبل الحريق من رأس هلالها إلى أسفلها خارج المسجد ٧٧

<sup>(</sup>۱) السمهودي، وفاه الوفاء ج ۱، ص ٤٦٠؛ أنظر أيضًا: أحمد رجب محمد على، المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، رمضان ١٤٢٠هـ/ يناير ٢٠٠٠م، ص ٦٩.

<sup>(</sup>٢) الإسحاقي، لطائف أخبار الأول، ص ٢٣٠؛ النهروالي، الإعلام، ج ٣، ص ٢٢٩.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ١، ص ٣٦٨.

<sup>(</sup>٤) أحمد رجب محمد على، المستجد النبوى بالمدينة المنورة، ص ٢٩؛ صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٤.

<sup>(</sup>٥) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى في الذيل على إتحاف الورى، ج ١، حوادث سنة ٨٨٧هـ.

<sup>(</sup>٦) صالح لمعي مصطفى، اللهينة المنورة، ص ٨٤.

<sup>(</sup>۷) السمهودي، خلاصة الوفاءج ١، ص ٣٦٨.

ذراعًا ( ٣٥, ٣٥ مترًا)، وقد بلغ ارتفاعها بعد إعادة بنائها أزيد من ١٠٠ ذراع ( أكبر من ٥٠ مترًا)<sup>(١)</sup>، وهي مكونة من أربعة طوابق السفلي: مربع المسقط مرتفع، وينتهي من أعلى بثلاثة حوائط من المقرنصات تعلوها شرفة، وبالجسم السفلي أربع شرفات صغيرة محمولة على مقرنصات تفتح عليها أبواب عقودها على نمط عقود فتحات المآذن المملوكية، ووضعت هذه الفتحات من الخارج في قوصرات معقودة بعقد مثلث يحيط به حفت يتقاطع أعلى العقد بشكل دائرة، ثم يستمر حول بدن المئذنة، كما يستمر نفس القطاع حول بدن المئذنة أيضًا في منسوب القوصرة. أما الطابق الثاني: فهو مثمن القطاع قليل الارتفاع حلى بدالات ملونة باللون الأحمر والأبيض في المنتصف، حدد هذا الجزء بحلية من أعلى ومن أسفل، وينتهي هذا الجزء بثلاثة حوائط من المقرنصات يعلوها شرفة، يعلو ذلك الطابق الثالث المستدير وهو أقل ارتفاعًا من الطابق أسفله، وينتهي يعلوه خوذة مضلعة تتوج من أعلى بفانوس (٢).

كها أولوا الحجرة النبوية وما يجاورها والمصلى النبوى عناية خاصة، حيث أقاموا على جدران الحجرة النبوية قبة فوق السقف الذى كان عليها، وجعلوا فوق هذه القبة قبة أخرى ترتكز على أعمدة أو أساطين جديدة أقاموها خصيصًا لذلك واقتضى متولى العهارة في سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م، أن تكون القبة متناهية العلو، وأن تكون من الآجر على دعائم عظيمة بأرض المسجد وحولها العقود (٣).

وتم إعادة ترخيم الحجرة النبوية الشريفة وما حولها، وألبسوا الحجرة الستارة التى أرسلها السلطان، وكان قايتباى قد احتفل بهذه المقصورة فى شعبان من سنة ٨٨٨هـــ/١٤٨٣م قبل إرسالها؛ حيث نصبت أمامه بحوش قلعة القاهرة، ووزنها أربعهائة قنطار من الحديد، حملت إلى المدينة على سبعين جملًا(1).

<sup>(</sup>١) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣١١.

<sup>(</sup>٢) صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٦.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، خلاصة الوفاءج ١، ص ٣٤٦.

<sup>(</sup>٤) محمد هزاع الشهرى، عارة المسجد النبوى، ص ٢٤٤.

ذكر عنها ابن شاهين الظاهرى أنه سنة ٨٨٨هـ " نصبت المقصورة التى صنعها السلطان من الحديد لأجل حجرة النبى الله بالحوش من القلعة، وكانت بديعة الصنعة فرآها من حضر رأس الشهر من القضاة وغيرهم " وذكر أن زنتها ثمانهائة قنطار من الحديد(١).

والأنسب أن يكون وزنها كما ذكره ابن إياس وغيره أربعهائة قنطار، وذلك نظرًا إلى عدد الجمال الحاملة للمقصورة، والأخذ في الاعتبار طول المسافة بين القاهرة والمدينة المنورة. وقد نقش عليها نص هو: "أنشأ هذه المقصورة الشريفة مولانا وسيدنا السلطان أبو النصر قايتباى تقبل الله منه في عام ثماني وثمانين وثماناتة من الهجرة النبوية "(٢).

كما أعادوا تجديد المنبر والمحراب النبوى، فبعد أن احترق المنبر الذى أرسله السلطان المؤيد شيخ سنة ١٤٨٠ م في الحريق الثانى سنة ١٤٨٦هـ/ ١٤٨١م، قام أهل المدينة ببناء منبر من الآجر طلى بالنورة في محله (٢)، إلا أن السلطان قايتباى أمر بصناعة منبر من الرخام على صفة المنبر الأول، من حيث عدد درجاته، إلا أنه ينقص عنه فى الامتداد نحو ثلاثة أرباع ذراع، ويزيد عنه فى العرض، وقد انتقص من الروضة خمسة قراريط، وتقدم عن المنبر الأول إلى جهة الجدار القبلى عشرين قيراطًا(١). وبالنسبة إلى المحراب النبوى، فقد جعلوا أرض المحراب مرتفعة قليلًا على المصلى الشريف، وتم زخرفة المحراب النبوى بكثير من الآيات القرآنية التي كتبت بخط بارز مذهب في إطار ضيق يحيط بالجزء العلوى من المحراب النبوى، وتم تحلية واجهته بتقسيات الرخام البديعة (٥)، والمحراب الذي أنشأه السلطان قايتباى مصنوع من حجر المرمر ومزين بالآيات القرآنية " المرقوم خطها الثلثى النافر بهاء الذهب وقطع ملونة من الرخام وناهيك بجمال العمودين بجوانبه فهما من الرخام الأحمر ذى اللون الإثمدى، و في وناهيك بجمال العمودين بجوانبه فهما من الرخام الأحمر ذى اللون الإثمدى، و في المناه المناه علي المودين بحوانبه فهما من الرخام الأحمر ذى اللون الإثمدى، و في المناه المناه بالمنان المناه المناه

<sup>(</sup>١) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، ص ٣٥٥.

<sup>(</sup>٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٥٤١.

<sup>(</sup>٣) على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٦١.

<sup>(</sup>٤) القلوبي، نبذة لطيفة في مباحث شريفة، ص ٦٠، ٦١.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، وفاء الوفاءج ٢، ص ٣٧٨.

الجانب الغربى من المحراب كتب بخط نافر: (هذا مصلى رسول الله ﷺ)(١) "بسم الله الله وصلى الله على سيدنا محمد أمر بعمارة هذا المحراب النبوى الشريف العبد الفقير المعترف بالتقصير مولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى خلّد الله ملكه بتاريخ شهر الحجة الحرام سنة ثمانى وثمانين وثمانيائة من الهجرة النبوية ".

كذلك قاموا بزخرفة محراب القبلة وترخيمه، ونقشوا بجزئه العلوى من مدخله كثيرًا من الآيات القرآنية، كها تم زخرفة محراب الحنفية (٢) الذى بنى غربى المنبر النبوى بناه طوغان شيخ بعد سنة ٥٨٩هـ/ ١٤٥٥م، حيث أراد طوغان أن يصلى بأصحاب المذهب الحنفى إمامًا خاصًا بهم بالمحراب الذى بناه، فقام بعض المتمسكين بالسنة بالوقوف ضده، فها كان منه إلا السعى لدى الدولة المصرية، حتى استطاع الحصول على إجازة بذلك، فأصبح يصلى بالحنفية إمامًا لهم بالمحراب البدعى بعد صلاة الناس وراء إمام شافعى يقف بالمحراب النبوى وكانا يصليان التراويح معًا، واستمر ذلك إلى سنة ١٢٢٩هـ، وقد رخم هذا المحراب بالرخام الأبيض والأسود السلطان سليان سنة ٩٣٨هـ، ولهذا سمى بالمحراب السلياني (٣)، فأصبح إجمالي محاريب المسجد النبوى أربعة محاريب هي المحراب النبوى وعراب القبلة ومحراب الحنفية، بالإضافة إلى محراب البع بالمتهدد شالى الحجرة في إحدى دعائمها، وهو من باب جبريل وتجاه خزانة رابع بالمتهجد شالى الحجرة في إحدى دعائمها، وهو من باب جبريل وتجاه خزانة الخدام (١٠).

وتم تشيد مجموعة من القباب، منها قبة على محراب القبلة، وقبة على الحجرة الشريفة، وقبة في الحجرة الشريفة، وقبة في الجهة الشهالية وكان بجوارها ثلاث قباب، بالإضافة إلى قبتين أمام باب السلام من الداخل(٥٠).

 <sup>(</sup>١) حسين على المصطفى، أضواء على معالم المدينة المنورة وتاريخها، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٣٣٠.

<sup>(</sup>٢) محمد هزاع الشهرى، عهارة المسجد النبوى، ص ٣٤٣.

<sup>(</sup>٣) إبراهيم رفعت، مرأة الحرمين، ج ١، ص ٤٦٩، ٤٧٠.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيقة، ج ٢، ص ٥١.

 <sup>(</sup>٥) زكريا هميمى، الحرم النبوى الشريف وصفحات من تاريخ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى،
 ٢٠٠٧م، ص ٦٤.

كيا خفضت أرضية مقدم المسجد حتى ساوت أرضية الروضة الشريفة، وجدد ابن الزمن النفق الذى كان يعرف بخوخة آل عمر رغم أوامر السلطان سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م بإغلاقه، وتباطأ مرة ثانية فى تنفيذ أوامر السلطان سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٢م بهذا الخصوص، عا كان سببًا فى ضيق السلطان منه، فكان أن قام شيخ الحرم النبوى بسده فيها بعد ببناء محكم من خارج المسجد، حيث نزع باب طابقه وردمه بالأثربة حتى ساوى أرض المسجد، حتى إذا جاءت سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م لم يعد له أثر (۱).

ووضعوا على حدود المسجد النبوى مما يلى القبلة درابزين من الخشب المخروط (۱) وأعيد بناء الحائط الخارجي للمسجد من باب جبريل بالجهة الشرقية إلى باب الرحمة بالجهة الغربية، وقد زيد في سمك الحائط عن السابق قليلًا (۱). أيضًا عملت خزائن بالحائط الشرقي بالإضافة إلى فتحات دائرية ومعقودة بالجزء العلوى من ذلك الحائط وبالحائط الجنوبي "حائط القبلة"، وكان سبب عمل الفتحات هو أن العقود قد قللت من الضوء داخل الأروقة فسدت الفتحات في حائط القبلة، ما عدا تلك التي في منطقة المحراب العثماني وعمل للفتحات قمريات بالزجاج عليها شباك من النحاس (۱). بالنسبة إلى أبواب المسجد النبوى الرئيسية، فقد احتفظت بعددها ومواضعها في هذه العارة، فهي أربعة أبواب (۱) هي باب السلام وياب الرحمة وهما في الجهة الغربية، وباب جبريل وباب النساء وهما في الجهة الشرقية (۱)، وباب السلام هو أعظم أبواب الحرم الشريف عملًا وخاصة في الموسم، أما باب الرحمة فهو أقل منه بيسير في الازدحام والعمل (۷). كما أن المسجد كان له إلى جانب هذه الأبواب الرئيسية، مجموعة أخرى من

<sup>(</sup>١) عمد هزاع الشهرى، عارة المسجد النبوى، ص ٣٤٢.

<sup>(</sup>٢) ذكر البرزنجى فى نزهة الناظرين (ص ٣٧) أثناء حديثه عن عبارة السلطان عبد المجيد خان أنهم "استبدلوا الدرابزين الخشب والخزائن الموضوعة فيها يسامت حد المسجد الأصلى من جهة القبلة... بحاجز مسنم من الحجر الأحر المنحوت...".

<sup>(</sup>٣) صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٤.

<sup>(</sup>٤) عمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤٧.

<sup>(</sup>٥) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٧٦، ٧٧٤.

<sup>(</sup>٦) السخاوي، التحفة اللطيقة، ج آ، ص ٢٦، ٢٧.

<sup>(</sup>٧) على بن موسى، رسالة في وصف المدينة المتورة، مخطوطة رقم ( ١٦٤٤ ) تاريخ، ميكروفيلم رقم (٣٠٧٧٩)، دار الكتب المصرية، ورقة ٣.

الأبواب الصغيرة، منها الأبواب التى فتحت فى الجدار الغربى بين باب السلام وباب الرحمة للدخول منها إلى المدرسة والرباط اللذين بناهما السلطان قايتباى فى هذا الجانب من المسجد (١).

ویذکر محمد هزاع الشهری أنه علی الرغم مما أخذ علی ابن الزمن خلال عهارته للمسجد النبوی، فإنه قد استكمل عمله وانتهی منه أواخر سنة ۸۸۹ه/ ۱۶۸۶ م، یؤکد علی ذلك بها ذکره ابن طولون عن عودة الحجاج فی تلك السنة إلی دمشق محملون أخبار العهارة التی انتهت علی أحسن حال (۱٬۰۰۰ إلا أنه بمراجعة ما ذکره ابن طولون من خلال مؤلفه " مفاکهة الخلان "، تبین أن ما ذکر کان ضمن حوادث سنة ۸۸۸ه / ۱۶۸۳ م، وحیث إن رحلة الحج هی رحلة سنویة فهم مخبرون بتطور عهارة المسجد سنویا والتی قد تستغرق سنوات عدة، ولذا جاء تاریخ نهایة عهارته مختلفة، کها أن هناك فرقا بین الانتهاء من سقف المسجد وبین انتهاء أعهال عهارته، وهم قد أخبروا بعهارة الحرم النبوی، وأنه عمر فی عهارة عظیمة علی ید ابن الزمن لکنه لم یکمل (۱٬۰۰۰ ما یدل دلالة واضحة علی أن غمر فی عهارة عظیمة علی ید ابن الزمن فی عهارة المسجد النبوی کان فی سنة ۸۸۹ه / ۱۶۸۶ م.

ويدل على ذلك أيضًا ما ذكره ابن شاهين الظاهرى فى " نيل الأمل "، من أنه سنة الممهم ١٤٨٤ م عاد الصناع والعمال الذين سبق أن توجهوا لعمارة المسجد النبوى، حيث انتهوا من العمل فيه وقد جاء البناء حسنًا (١٤٠٠ كما ورد خبر عمارة المسجد فى " وجيز الكلام " حيث يذكر السخاوى: "استهلت ( السنة )، وقد كمل الحرم الشريف المدنى كله، ولم يبق منه شيء أصلًا، وكذا لم يبق من المدرسة السلطانية غير الترخيم وبعض تتمات من أعلاها وسكن بعض خلاويها وانتهى الفرن والطاحون وما تم ترخيمها حتى وصل شاد عمار الحرمين منها لمكة وناظرها للقاهرة "(٥).

<sup>(</sup>۱) السمهودي، وفاء الوفاء ج ۲، ص ٦٤٣، ٦٨٠.

<sup>(</sup>٢) محمد هزاع الشهرى، عيارة المسجد النبوى، ص ٣٤٩.

<sup>(</sup>٣) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ق ١، ص ٥٩.

<sup>(</sup>٤) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، ص ٣٦٨.

<sup>(</sup>٥) السخاوى، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، الجزء الثالث، تحقيق/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٩٤٨؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ق ١، ص ٦٢.

إلا أنه وقبل الانتهاء من هذه العارة، أخذت الأخبار تتوالى على السلطان قايتباى بها حدث من نقص فى بعض جوانب عارته، فقام السلطان سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤ م بإرسال جماعة من الدهانين لمحو الآثار السيئة لاستخدام النيلة فى بعض أجزاء سقف المسجد، وأبدلوا ذلك باللازورد، وكان ذلك سببًا فى تغير خاطر السلطان على ابن الزمن (۱۱) عا دعاه لاستبداله بإرسال بهاء الدين أبى البقاء بن الجيعان إلى المدينة فى ٧ ذى القعدة ٩٨٨هـ/ نوفمبر، ديسمبر ١٤٨٤ م، الذى أشرف على إصلاح ما ظهر بأسقف المسجد (۱۲) وبعد الانتهاء من هذه العارة سنة ٩٨ههـ/ ١٤٨٤ م أصبح طول المسجد ٢٥٣ ذراعًا ( ١٢٦ , ٥ متر)، وعرضه فى المقدمة ١٦٧ ذراعًا ( ٨٣ , ٥ متر)، وفى المؤخرة ١٣٥ ذراعًا ( ١٢ , ٥ متر)، وقد زادت مساحة المسجد النبوى الشريف نحو ١٢٠ مترًا مربعًا، وبذلك أصبحت مساحة المسجد النبوى الإجمالية ١٠ ٩ أمتار مربعة (١٢٠).

حتى وبعد انتهاء عارته ظهرت بعض جوانب الخلل فيه، حيث بلغ السلطان ظهور شروخ في القبة وميل في المئذنة الرئيسية، فعين السلطان الأمير شاهين الجالى وفوضه في مشيخة الخدام ونظر المسجد والساط، وقد وصل المدينة سنة ٨٩١-٨٩هـ/ ١٤٨٦ – ١٤٨٧ م أواجتمع مع أهل الخبرة وكبار المدينة، وتوصلوا إلى "هدم المنارة الرئيسية"(٥)، فقام بالهدم وإعادة البناء وكتب على طراز القبة من الناحية الغربية "أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجي عفو ربه القدير قايتباي"(١٤٠٠ كها تبين أن السبب في ميل هذه المئذنة عدم كفاية حفر أساسها، فحفر أساس المئذنة من جديد حتى بلغ الماء، واستخدم في هذا الأحجار السود، وتم البناء بإحكام وحسن، كها زاد في طولها ٢٠ ذراعًا، بحيث أصبحت ١٢٠ ذراعًا وزاد في عرض جدرانها(٧٠).

<sup>(</sup>١) السمهودي، خلاصة الوفاءج ١، ص ٣٧١.

<sup>(</sup>٢) صالح لعي مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٥.

<sup>(</sup>٣) زكرياً هميمي، الحرم النبوى الشريف وصفحات من تاريخ المدينة المنورة، ص ٦٤.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٧١.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٦٤٦.

<sup>(</sup>٦) محمود الشرقاوي، المدينة المنورة، ص ١٩٦.

<sup>(</sup>٧) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٥٢٧.

أما عن مصاريف هذه العمارة وغيرها من المدرسة وتوابعها، فيذكر السخاوى أن: "مصروف العمارة بالمسجد والمدرسة وتوابعهما نقدًا... وغير ذلك مائة وعشرون ألف دينار فأزيد فيما قيل"(١). وبعد قايتباى كان الاهتمام بعمارة المسجد النبوى محدودًا، من ذلك أن السلطان قانصوه الغورى كسا الحجرة النبوية الشريفة أثناء حج زوجته(٢).

من ذلك يتضح أن السلطان قايتباى كان من أعظم سلاطين الجراكسة الذين اهتموا بعمارة المسجد النبوى، كما أنه وقف بنفسه على ما كان من عمارته خلال زيارته للمدينة المنورة سنة ٤٨٨هـ/ ١٤٧٩م، وبعد عودته إلى مصر أوقف الكثير من الدور والأراضى للنفقة من ريعها على عمارة المسجد النبوى بخلاف من سبقه من السلاطين، الذين اهتموا فقط بإرسال الأموال والفنيين كلما احتاج المسجد للعمارة (٢٠)، أو إرسال بعض من المنابر.

## خسوة الحجرة النبوية الشريفة وبعض ما أهدى لها عصر الماليك الجراكسة:

يذكر السمهودى أنه فى زمنه كان للحجرة النبوية ثلاث ستائر بعضها فوق بعض (1)، كما ذكر ما قاله كل من الفاسى والزين المراغى، من أن كسوة الحجرة كانت كل ست سنين مرة تعمل من الديباج الأسود مرقومًا بالحرير الأبيض ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائرة عليها، إلا كسوة المنبر فإنها بتقصيص أبيض وكانت العادة تقسيم الكسوة المعتبقة عند ورود الكسوة الجديدة (٥).

من ناحية أخرى استمر إرسال القناديل وتعليقها في الحجرة النبوية الشريفة أجيالًا متعاقبة، ولم تزل القناديل في زيادة، حيث ذكر السمهودي أن السبكي ألف تأليفًا سهاه

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٨٢.

<sup>(</sup>٢) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١١٥.

<sup>(</sup>٣) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي، ص ٢٨٦.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٣٩.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، المصدر تقسه، ص ٣٤٠.

"تنزل السكينة على قناديل المدينة "(١)، وذكر أن أحسن ما رآه من معاليق الحجرة قنديل من الفولاذ حسن التكوين مكفت بالذهب، عليه كتابة تبين أن الناصر محمد بن قلاوون علقه بيده هناك، وكان بالقبة فعلقه الشجاعي شاهين الجهالي قبالة المصلي النبوي(١).

في عصر السلطان قايتباى تم نقش اسمه على الكثير من التحف الفنية التى أهديت إلى المدينة المنورة، ومنها الشمعدانان النحاسيان اللذان أوقفهما على الحجرة النبوية الشريفة، يحتفظ بهما متحف الفن الإسلامى بالقاهرة للآن، والشمعدان الأول من النحاس الأصفر، يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية البدن الأكبر مساحة قوام زخرفته كتابة دعائية باستدارة البدن وبخط الثلث المملوكى على مهاد من الزخارف النباتية نصها "عز لمولانا السلطان الملك العادل المجاهد سلطان الإسلام والمسلمين الملك الأشرف أبو النصر قايتباى"(٢)، وعلى منطقة الرقبة من هذا الشمعدان توجد كتابة بخط الثلث المملوكى نصها " هذا ما أوقف على الحجرة النبوية مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى بتاريخ سنة سبع وثهانين وثهانهائة "، ولم تكف المساحة لكتابة بقية النص فتم استكماله على مساحة من الكتف بعبارة " عز نصره " " في رمضان المعظم قدره ".

أما الشمعدان الثاني فقد أوقفه السلطان قايتباي على الحجرة النبوية الشريفة أيضًا، وهو من النحاس ويشبه الأول من حيث الشكل العام والعناصر الكتابية مع اختلاف

<sup>(</sup>۱) يجب الإشارة إلى ما كان من الخلاف الذى وقع بين علماء المسلمين في العصور المختلفة حول جواز تحلية المحجرة النبوية بالذهب والجواهر النفيسة مع العلم بأنها مكروهة شرعًا حلية للأفراد والمنازل والمساجد فالذين يقولون بالجواز فيستندون إلى ما كان يوهب للكعبة وأن رسول الله لم ينكره وأن أبا بكر لم يفكر في التصرف فيه وأن عمر فكر في ذلك، ثم عدل عنه تاسيًا برسول الله وأما الذين يقولون بعدم الجواز فيذكرون حديث النبي لعائشة: "لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض " فهو قلة لم يفعل وما منعه اعتبار من الشرع وإنها منعته اعتبارات السياسة ويذهب قوم إلى أن المحجد النبوى لا يجوز تحليته بالذهب والفضة أسوة بالمساجد جميمًا، ويذهب آخرون إلى أن الحجرة غير المسجد ويبلغون حد القول بأن المدفن الشريف بالحجرة له شرف على جميع المساجد وعلى الكعبة فلا يلزم من المنع في المساجد والكعبة المنع منا وقد كان لهذا الخلاف أثره في الحبات ونوعها في القرون الأولى من الإسلام وقد بلغ حد التفاني في المبات. انظر: محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، ص ٥٥٧.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ١، ص ٣٤٢.

<sup>(</sup>٣) عائشة عبد العزيز محمد التهامى، أضواء على بعض التحف الفنية التي أهداها السلطان قايتباى للحجرة النبوية، عبلة المؤرخ العربي، العدد الخامس، المجلد الأول، مارس ١٩٩٧م، ص ٥٣٣٠.

بسيط في النص الكتابي على البدن. لم تقتصر إهداءات قايتباى على ذلك، بل أنه أهدى الحجرة النبوية ما يقارب الخمسة شمعدانات في سنة ١٤٨٧هـ/ ١٤٨٢ م (١)، كذلك أهدى قايتباى للحجرة النبوية مصحفًا كبيرًا " مصحف حمايلي " أى ينوء بحمله الإنسان ولا يستطيع حمله ربها لثقل وزنه وكبر حجمه، وكان هذا المصحف من النوادر على حد تعبير ابن إياس، كتب هذا المصحف الشريف الخطاط الشهير شاهين النورى ومات ولم يتمه، فأكمله الخطاط وكاتب الوثائق خطاب بن عمر الدنجاوى بأمر من السلطان قايتباى، ويعد غلاف هذا المصحف من أبدع الأغلفة الجلدية ذات الزخارف المضغوطة والمذهبة من ذلك العصر، وهذا المصحف محفوظ الآن في دار الكتب المصرية بالقاهرة (٢).

غير أن الحجرة النبوية الشريفة تعرضت للنهب وسرقة ما بها من تحف على يد بعض الأمراء المتصارعين حول السلطة (٢)، من ذلك ما كان من تمرد الأمير جماز بن هبة، عندما صدر مرسوم السلطان بعزله سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م (١) فأخذ ستارتى باب الحجرة كها طلب من الخدام تسعة آلاف درهم حتى لا يتعرض لحاصل الحرم فامتنع الخدام عن إعطائه ما طلب فضرب شيخهم وكسر قفل الحاصل. وذكر ابن حجر أن جماز أخذ من

<sup>(</sup>۱) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٤٨- ٢٥٠؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ٣٣١- ٣٣٣؛ عائشة عبد العزيز محمد التهامي، أضواء على بعض التحف الفنية، ص ٥٣٥، ٥٣٥.

 <sup>(</sup>٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤ ٠٣٠ انظر أيضًا: عائشة عبد العزيز محمد التهامي، أضواء على بعض التحف الفنية، ص ٥٣٧، ٥٣٨.

<sup>(</sup>٣) لقد تعرضت الحجرة الكريمة منذ القرن الثامن الهجرى للسلب والنهب من أولئك الذين يعتبرون حماتها وقد أورد السخاوى في كتابه " التحفة اللطيفة " عددًا من أمراء المدينة نمن نهبوا ما في الحجرة منهم:

<sup>-</sup> جماز بن هبة بن جماز بن منصور سنة ٥٠٨هـ.

<sup>-</sup> غرير بن هيازع بن هبة سنة ٤ ٨٢هـ .

<sup>-</sup> ثابت بن نعير بن هبة بن جماز سنة ٩ ٨٢هـ.

<sup>-</sup> عجلان بن نعير بن هبة بن جماز سنة ٨٣٠هـ.

<sup>-</sup> ذربان الحسيني الطفيلي عاون عجلان بن نعير على النهب سنة ٥٣٠هـ.

<sup>-</sup> حسن بن زبیری بن قیس بن ثابت بن نعیر بن منصور سنة ۹۰۱هـ.

<sup>-</sup> شامان بن زهير- لم يترجمه السخاوي - وذكر أنه بمن نهب الحجرة.

انظر: حمد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٧، ١٨.

<sup>(</sup>٤) محمود الشرقاوي، المدينة المنورة، ص ٢٠٠.

حاصل الحرم إحدى عشر خوشخانًا وصندوقين كبيرين وصندوقًا صغيرًا بها فى ذلك من المال... كها صادر أموال بعض الخدام (١)، وقد أعدت قائمة بها نهبه جماز، فكان وزن ما كان بالحجرة من قناطير الذهب تسعة قناطير، ومن قناديل الفضة ثلاثة وعشرون قناديل.

لم تكن حادثة جماز هى الوحيدة، بل إن الأمير غرير بن هيازع قام سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢١م بأخذ بما كان بالقبة ما زنته سبعة عشر وماثة رطل من الفضة، وزعم أن ذلك على سبيل القرض، فر به إلى القاهرة حيث مات مسجونًا.

ولم تزل القناديل المهداة فى زيادة حتى عدا على الحجرة الشريفة أواخر سنة ٥٨٨ه/ ١٤٥٥ م، برغوث بن بتير بن جريس الحسيني، بتسوره جدار المسجد النبوى ٢٠ من طريق دار الشباك وأخذ من الحجرة الشريفة من القناديل الشيء الكثير، عما يدل على تردده مرات كثيرة على الحجرة فى غفلة من خدام المسجد، إلا أن أمة لبعض جيران دار شباك رأت شخصين فى أعلى الدار يتعاطيان شيئًا له حجم كبير، وفى الصباح أخبرت بواب المسجد فلم يعبأ بذلك، ولكن الله أراد كشف ما قام به برغوث، فقد أبلغ بعض الناس أمير المدينة عن ما ظهر من مال كثير مع برغوث، وهذا غير معروف عنه فقبض عليه الأمير وسجنه، لكنه هرب إلى الينبع سنة ٢١٨هه/ ٢٥٦ م، ومعه قطع من ذهب القناديل، وتفقد النظار الحجرة الشريفة فوجدوه أخذ أكثر القناديل ٢٠ فاجتمع أعيان المدينة وكتبوا إلى أمير ينبع بالقبض عليه وإرساله، فقبض عليه ومعه دبوس بن سعد الحسينى الطفيلي الذي ساعده، وبعد القبض عليه وشريكه قرر أمير ينبع عدم إرساله المدينة حتى تأتى أوامر السلطان، فجاءت المراسيم بقتل من تجرأ على الحجرة النبوية الشريفة.

وذكر السمهودى عدة القناديل التي كانت موجودة في الحجرة النبوية الشريفة على زمنه، أول سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م، والتي عدت بأمر السلطان قايتباي حيث أمر

<sup>(</sup>١) حد الجاسر، حوادث تتعلق بالحجرة النبوية، ضمن رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٨٩، ١٩٠.

<sup>(</sup>٢) محمود الشرقاوي، المدينة المنورة، ص ٢٠٠.

<sup>(</sup>٣) حمد الجاسر، حوادث تتعلق بالحجرة النبوية، ص ١٩١، ١٩٢.

شيخ الحرم الأمير إينال والقاضى الزكوى بذلك، فكانت معاليق الذهب ثهانية عشر قنديلًا وبعض قنديل وأربع مشنات ومغرفان وسواران وزنة ذلك سبعة آلاف قفلة أهداه سلطان الكلبرجة شهاب الدين أحمد وعدة معاليق الفضة ثلاثهائة قنديل وأربعة وأربعون قنديلًا وثرية كبيرة زنة ذلك ستة وأربعون ألف قفلة وأربعهائة وخمسة وثلاثون قفلة، ضبطت قبل ذلك في سنة ٢٦٨هـ/ ١٤٥٧م على يد الأمير برد بك التاجى، فكان الزائد على ما ضبط في التاريخ المتقدم من الذهب ألف قفلة ومائة وخمسة وخمسون ومن الفضة ثلاثة عشر ألف قفلة وسبعهائة وخمسة وثهانون قفلة، فذلك القدر هو الوارد من عام ٣٨هـ/ ١٤٥٤م وهناك الكثير غيرها(۱).

وفى سنة ٩٠١مهـ/ ١٤٩٥م قام أمير المدينة حسن بن زبيرى مع جماعة مسلحة بالسيوف، فدخلوا المسجد النبوى وأمر خازندار الحرم الشريف بإحضار مفاتيح الحاصل، فامتنع فضربه ضربًا مبرحًا وكسر باب الحاصل، وأخذ جميع ما فيه من نقد وقناديل وسبايك في ثلاثة أحمال على فرسين وبغل وغراير تسع على ظهور الحمالين، ذهب بكل ذلك إلى حصنه وأحضر الصياغ وسبك تلك القناديل، وذكر أن ذلك رغبة منه عن إمارة المدينة؛ لأن الشريف محمد بن بركات أمير الحجاز أخذ حصته من الصدقات والإقطاعات وعطل ما كان يأتيه من مصر عما حمله على فعل ذلك (٢).

ورغم ذلك فإن المسلمين لم ينصرفوا عن إرسال الهدايا لتوضع في الحجرة النبوية الشريفة.

# ثانيًا - اهتمام سلاطين الماليك الجراكسة بمساجد المدينة المنورة الأخرى

اهتم سلاطين الماليك الجراكسة بإصلاح وتجديد مختلف المساجد الموجودة بالمدينة المنورة، وذلك لتؤدى دورها كاملًا، من ذلك ما حدث زمن الأشرف برسباى؛ حيث

<sup>(</sup>١) حمد الجاسر، حوادث تتعلق بالحجرة النبوية، ص ١٩٢، ١٩٣.

<sup>(</sup>٢) حمد الجاسر، المرجع نفسه، ص ١٩٦.

قام أبى القاسم المحلى (۱) سنة ٤٨٠ / ١٤٣٦م بتجديد أغلب سقف مسجد قباء (۱) وإن كان محمد كبريت الحسيني في " الجواهر الثمينة " ذكر أن ذلك " في سنة أربع وثهانهائة "(۱) لكن التاريخ المرجح هو سنة ١٤٣٠ / ١٤٣٦م؛ لأن سلطنة برسباى كانت بين سنتي (٨١٥ - ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٧م). وكذلك ما حدث سنة كانت بين سنتي (١٤٧٦ م بإشراف ابن الزمن على عصر قايتباى من هدم مئذنة مسجد قباء وإعادة بنائها من أساسها، التي سبق أن سقطت سنة ١٤٧٧هـ / ١٤٧٢ (١) وأحدث هذا السقوط أضرارًا للأسقف المجاورة، مما استدعى إعادة بنائها وإجراء إصلاحات للسقف والسور الخارجي الغربي من جهتها وحتى الباب الغربي، وقد بلغ ارتفاع هذه المثلذنة بعد بنائها من سطح الأرض ٢١ ذراعًا قرابة (٥٠, ٣٠ مترًا) (١٠).

أما مسجد الجمعة فيذكر السمهودى عنه أن سقف هذا المسجد خرب، وقام بتجديده الخواجة شمس الدين قاوان في القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى (١٠) كما يعطينا وصفًا له في نهاية القرن التاسع الهجرى، ومن خلاله يتضح أن المسجد عبارة عن مستطيل طوله من الشهال إلى الجنوب ٢٠ ذراع، وعرضه من الشرق إلى الغرب ٥٠ (١٦ ذراع، ويتكون من رواق بسقف مستو من الخشب، ينفتح من الجهة الشهالية على رحبة عن طريق عقدين بينها عمود في المنتصف، وجدد عمارته أيضًا الملك المظفر بايزيد العثماني قرابة سنة ٥٠٠هـ/ ١٤٩٤م (٧).

<sup>(</sup>۱) أبى القاسم المحلى: كان أحد شيوخ خدام المسجد النبوى ويلقب أيضًا بشيخ الحرم استقر به الأشرف برسباى سنة ٩٨٩هـ بعد بشير التيمى بسؤال منه ثم صرف سنة ٩٨٤هـ بفارس الأشرف الرومى ويكون من الأغوات وهم الخصيان الذين كانوا يجلبون من إفريقيا منذ العهد الأيوبى. انظر: السخاوى ، التحفة اللطيفة ، ح ١ ، ص ٣٤.

المعليمة على المعلى ال

<sup>(</sup>٣) الحسيني، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٨٨.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، خلاصة الوفاءج ٢، ص ٤٤.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤٤ الحسيني، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٨٨.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤.

<sup>(</sup>٧) الحسيني، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٨٨.

مسجد القبلتين لم تتحدث المصادر عن أى إصلاحات أو تجديدات له خلال عصر سلاطين الجراكسة قبل عصر قايتباى، حيث يذكر السمهودى أن هذا المسجد قد تشعث فأصلحه، وجدد سقفه شاهين الجهالى شيخ خدام المسجد النبوى فى سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٨٨م(١١).

وعن مسجد الشجرة الذى يقع فى آبار على على طرف وادى العقيق، فيذكر السمهودى أنه فى سنة ( ١٨٨هـ/ ١٤٥٦ – ١٤٥٧م)، قام زين الدين استادار المملكة المصرية خلال إقامته بالمدينة المنورة، بتجديد حوائطه على أساسه القديم وبدون تجديد مئذنته، وهو مربع مساحته اثنان وخمسون ذراعًا(٢)، وجعل له ثلاث درجات فى الشرق والغرب والشهال، وعمل له محرابًا فى حائط القبلة(٢).

مسجد المصلى يقع جنوب غرب المناخة قريب من المسجد النبوى، حدثت به بعض الإصلاحات على عصر السلطان الجركسى إينال سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م وذلك بإشراف بردبك المعارى، كما قام بردبك بعمل دكة خارج المسجد أمام الباب، خصصت لجلوس المبلغين (١٤).

مسجد أبى بكر الصديق عرف بهذا الاسم نظرًا لصلاته به زمن خلافته، لم تحدث أى إصلاحات أو تجديدات به كها ذكر السمهودى؛ حيث لم يجد به موضع للصلاة، وقد أشار إليه أنه كالمزبلة، وذلك ما دعاه للتحدث عنه مع شيخ خدام المسجد النبوى الشريف إينال الإسحاقى (٥٠)، كما يشير السمهودى إلى أن بعض الفقراء قد جددوا المسجد المنسوب لأبى بكر رَضَيَالْفَيْنُ في سنة ٢٠٩هـ/ ١٤٩٦م (١٠)، وكذلك أشار إليه العباسى في القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى، لكنه لم يذكر حالة المسجد المعمارية (٧٠).

<sup>(</sup>۱) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ۲، ص ٦٣؛ انظر أيضًا: محمد صالح البليهشي، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، هذه بلادنا (۷)، د. ت، ص ٥٠؛ أحمد ياسين الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ١٩٦.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، المصدر نفسه، ص ١٥٤.

<sup>(</sup>٣) صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة، ص ٧٠٧.

<sup>(</sup>٤) صالح لمعى مصطفى، المرجع نفسه، ص ١٣٦؛ أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ١٤٢.

<sup>(</sup>٥) صالح لمى مصطفى، المرجع نفسه، ص ١٤٦،١٤٥.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ٢، ص ٦٠.

<sup>(</sup>٧) صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة، ص ١٤٦.

مسجد على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - يقع غربى المسجد النبوى، أشار إليه السمهودى فقال: "المسجد المنسوب إلى على - كرم الله وجهه - كان قد تهدم ودثر حتى صار بعض الحجاج يدفنون فيه من يموت فى زمن الموسم، فإنه إلى جانب منزلة الحجاج، فجدد بناءه أمير المدينة رزين الدين ضيغم المنصورى فى سنة ١٨٨هـ/ ١٤٧٦م "(١).

إلا أن هناك اختلافًا فيها ذكره السمهودى عن تاريخ تجديد هذا المسجد على يد الأمير ضيغم في موضعين من كتابه "خلاصة الوفا "، أحدهما أن ذلك كان سنة ١٨٨هـ/ ١٧٦ م، والآخر أنه كان سنة ١٨٧هـ/ ١٧١ م، وليس معقول أن يستمر تجديد هذا المسجد لمدة خس سنوات، فالمؤكد أن ما قام به أمير المدينة كان سنة ١٨٨هـ/ ١٤٧٦م، لوجود لوحة تؤرخ لهذا التاريخ بسنة ١٨٨هـ/ ١٤٧٦م، وقد أشار بوركهارت سنة ١٨١٥م لهذا المسجد، وذكر أن بناءه كان سنة ١٨٧هـ/ ١٤٧١ خلال تلك الفترة.

مسجد عمر بن الخطاب رَفِكَ النَّفَيُّ لَمْ يَذكر هذا المسجد فى أى من كتابات مؤرخى المدينة المنورة، إلا أن السمهودى كان قد ذكر مسجدًا فى قبلة مسجد المصلى على رابية مرتفعة بوادى بطحان فى مكان كان لإعداد الآجر، وقد أقام هذا المسجد شمس الدين محمد بن أحمد السلاوى بعد سنة ٥٠٨هـ/ ١٤٤٦-١٤٤٧م، وفى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى، أشار إليه أحمد العباسى، بأنه المسجد المسمى عند العامة بمسجد سيدنا عمر (۱).

مسجد الفتح كما سمى بمسجد الأحزاب، وصفه السمهودى فى آواخر القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى، بأنه كان مكونًا من رواق واحد مغطى بقبو ينفتح من الجهة الشمالية على رحبة عن طريق ثلاثة عقود، وعرض المسجد من الشرق إلى الغرب ١٧ ذراعًا، وطوله بالرحبة ٢٠ ذراعًا".

<sup>(</sup>١) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٣٠.

<sup>(</sup>٢) صالح لمى مصطفى، المدينة المنورة، ص ١٥١.

<sup>(</sup>٣) صالح لمي مصطفى، المرجع نفسه، ص ١٨٦، ١٨٦.

مسجد الإجابة سمى بذلك لأن الرسول على دعا فيه فأجيب، يقع شرقى البقيع أشار إليه ابن النجار في القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى بقوله: "أنه خرب متهدم ولكن ما زال محرابه قائمًا وفيه أسطوانات قائمة "، وفي القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى أشار السمهودى إلى عدم وجود الأسطوانات التي أشار إليها ابن النجار، وأضاف أن حوائط المسجد قد رممت وأن المحراب ما زال قائمًا، كما ذكر أن مقاسات المسجد كانت من الشرق إلى الغرب أقل من ٢٥ ذراعًا، ومن الشمال إلى الجنوب (القبلة) أقل من ٢٠ ذراعًا.

مسجد بنى قريظة يقع شرقى مسجد الفضيخ قرب الحرة الشرقية، ذكر السمهودى أن شاهين الجالى جدد بناء جداره فى سنة ٩٣هـ/ ١٤٨٧م، وجعل مكان منارته دكة (٢)، كما يذكر القليوبى أن مساحته ـ طولًا وعرضًا ـ أربعة وأربعون ذراعًا (٢).

مسجد سلمان الفارسى وصفه السمهودى بقوله: "وسقف كل من مسجد الفتح والذى فى قبلته ( يقصد مسجد سلمان الفارسى ) رواق واحد مقبو قبوًا محكمًا، وفى كل منها ثلاث قناطر آخذة من المشرق إلى المغرب "، ومساحة المسجد من القبلة إلى الشام ١٤ ذراعًا، ومن المشرق إلى المغرب ١٧ ذراعًا (١٤)، ويبدو أنه امتدت إليه يد البناء والتعمير، وذلك لاستمراره إلى عصر السمهودى.

مسجد السقيا سمى باسم إحدى آبار حرة المدينة الغربية المعروفة ببئر السقيا، يرجح السمهودى من خلال آثاره فى عصره، أنه يرجع إلى عصر عمر بن عبد العزيز، أما فى عصر السمهودى فقد أقيم بناء جديد للمسجد فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، على أساسه الأول وهو مربع مساحته نحو سبعة أذرع طولًا وعرضًا(٥).

<sup>(</sup>١) صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة، ص ٢٠٥.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٥٢.

<sup>(</sup>٣) القليويي، نبذة لطيفة في مباحث شريفة، ص ٧٠.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٣، ص ٨٣٦.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ٢، ص ٦٤.

مسجد الراية يقع على جبل صغير بعد ثنية الوداع، كانت عمارته بالحجارة وقام بتجديده بعد أن تهدم النيروزى سنة ١٤٤٥هـ/ ١٤٤١م، ومساحته ١٦م٢ كما أن له قبة في وسطه(١).

مسجد البقيع يذكر السمهودى عنه أنه كان به عقدان وقد سقطا وكانت بقاياه موجودة، وتبين منها أنه كان مبينًا بالحجارة المنقوشة على ما بناه عمر بن عبد العزيز. كما يذكر أيضًا أن هذا المسجد جدده شاهين الجمالى سنة ٢٠٩هـ/ ١٤٩٦م، وأنهم عندما حفروا أساسه أخرجوا أحجار كثيرة منحوتة من بنائه الأول استخدموا بعضها فى بناء الحائط الشامى (٢).

مسجد حمزة بن عبد المطلب رَضَيَالْثَنَيْ، زاد فيه قايتباى من الجانب الغربى فى سنة ٨٩٣هـــ/ ١٤٨٧م، كما حفر خارجه بثرًا بدرج للنزول للماء وذلك على يد شاهين الجمالى<sup>(١)</sup>.

وهناك الكثير من المساجد التى وجدت بالمدينة المنورة فى ذلك العصر، لكن اقتصر الحديث على مساجدها، التى نالت اهتهام سلاطين المهاليك الجراكسة من حيث التجديد والعهارة.

### ثالثًا \_ سلاطين الماليك الجراكسة وسائر المنشآت المدنية في المدينة المنورة

اتسعت المدينة المنورة فى زمن الجراكسة نحو الغرب مرة ونصف امتدادها نحو الشرق، وامتد العمران غرب المسجد النبوى ثلاثة أمثال ما كانت عليه فى نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى(٤٠).

<sup>(</sup>١) عمد صالح البليهشي، المدينة المنورة، ص ٥٤.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ٢، ص ٦٩.

<sup>(</sup>٣) أحمد ياسين الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ١٨٩، ١٩٠.

<sup>(</sup>٤) ذكر البكرى المتوفى سنة ٤٨٧هـ/ ٤٠٩٤م أن أول من بنى سورًا حول المدينة إسحاق بن عمد الجعدى بنى هذا السور سنة ٢٦٣هـ وذكر أن له أربعة أبواب باب فى الشرق وراء دار عثمان بن عفان وباب فى المغرب يخرج منه إلى بقيع الغرقد ويخرج منه إلى العقيق وباب من الشيال والمغرب يفضى إلى مسجد الفتح وباب آخر يخرج منه إلى تبور شهداء أحد ( الجزيرى: درر الفوائد المنظمة، ص ٢٤٠ ) يبدو أن هذا النص

نقله البكرى من كتاب الأوراق لأبى بكر الصولى نقد قال: إنه فى سنة ٢٦٣ أغارت بنو كلاب على مدينة رسول الله فقتلوا رجالًا وسبوا نساء وصبيانًا فجاء صريخهم إلى بغداد، فتولى البزاز، وكان صالحًا عدلًا عملًا عملًا عمل المعمل المعمل المعمل المعمل المعانم عمد بن إسحاق الجعدى عام ٢٣٦ ولعل هذا تحريف فى الطباعة. انظر: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٥٤ عبد القدوس الأنصارى، آثار المدينة المنورة، ص ٢٦٩ على حافظ، فصول من تاريخ المدينة، ص ٢٦٧ على حافظ، فصول من تاريخ المدينة، ص ٣٧ ، ٣٨.

ويذكر بعض مؤرخي المدينة ( المطري، التعريف بها آنست الهجرة من معالم دار الهجرة، ص ٧٣؛ المراغي، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، ص ٢٣٩؛ الفيروزآبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، ص ١٩٩٠ العباسي، عمدة الأخبار في مدينة المختار، ص ١٤٥ ) أن أول من بني سورا حول المدينة هو عضد الدولة البويهي بعد ٣٦٠هـ، ولكن الرحالة المسلمين ذكروا سورًا يحيط بالمدينة قبل عهد عضد الدولة البويهي فهذا الإصطخري المتوفي عام ٣٤٦هـ/ ٩٥١م فقد قال:"وأما المدينة أقل من نصف مكة... وعليها سور والمسجد في نحو من وسطها... ومصلى رسول الله ﷺ الذي كان يصلى فيه الأعياد في غربي المدينة داخل الباب ويقيع الغرقد خارج باب البقيع في شرقي المدينة ". انظر: الإصطخري، المسالك والمهالك، ص ١١٨ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٧.قال المقدسي المتوفي سنة ٣٨٠هـ والمدينة هائلة الأبواب ولها أربعة أبواب باب البقيم وياب الثنية وياب جهينة وباب الخندق والخندق من نحو مكة عامرة الحصن مشرفة. انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٨٢. ثم تهدم السور الذي بناه عضد الدولة البويمي وخرب لخراب المدينة ولم يبق إلا آثاره قبلي جبل سلم. انظر: المطرى، التعريف، ص ٧٧ المراغي، تحقيق النصرة، ص ٢٣٩؛ الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ٤١٠؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٦٦، ثم جدد الوزير جمال الدين محمد بن أبي منصور الجواد الأصفهاني سورًا عكمًا على رأس ٥٤٠هـ وبعد أن كثر الناس خارج السور وفي أثناء زيارة السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكي في سنة ٥٥٧هـ طلب أهل المدينة من السلطان بناه السور لحفظ ماشيتهم وأبنائهم فأمر ببناه السور المحيط بالمدينة وكتب اسمه على باب البقيم. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٤١٤ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٤٣ المطري، التعريف، ص ٤٧٤ المراغي، تحقيق النصرة، ص ٢٤١.

قال الرحالة ابن جبير حينها زار المدينة عام ٥٧٩هـ" وللمدينة أربعة أبواب وهي تحت سورين في كل سور باب يقابله آخر الواحد منها كله حديد ويعرف باسمه باب الحديد ويليه باب الشريعة ثم باب القبلة وهو مغلق ثم باب البقيم ". انظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٧٥.

وذكر المراغى أن السور قد جدد في سنة ٧٥٥هـ في أيام الملك الصالح صالح أحد أولاد الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر. انظر: المراغى، تحقيق النصرة، ص ٢٤٢ وقد نقل عنه السمهودى في وفاء الوفا ( السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص • ٤٤٧ العباسى، عمدة الأخبار، ص ١٤٦ ) وبعد استيلاء الدولة العثمانية على الحجاز قام السلطان سليان القانوني عام ٩٣٩ هـ بيناء سور المدينة الذي استمر قائبًا حتى إذالته في العهد السعودى الحديث وقد بني هذا السور على أساس السور القديم واستمر العمل فيه سبع سنوات حيث انتهى العمل منه في عام ٤٢٦ هـ. انظر: العباسي، عمدة الأخبار، ص ١٤٧.

(١) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١١٢.

سواء من حيث البناء والهدم أم التجديد، واختلفت طبيعة ذلك على مر العصور التاريخية (١)، فكانت غير محكمة سواء من ناحية التصميم أم البناء (١).

لعبت أسوار المدينة المتعاقبة دورًا بارزًا في تشكيل المدينة المنورة عمرانيًا، فأصبحت على شكل بيضوى تبعًا لشكل السور (٢٠). لذلك يعتبر سور المدينة المنورة من أهم المنشآت التي اهتم بها سلاطين الماليك الجراكسة، لضمان الأمن والاستقرار بها، لذلك ما كان يحدث أي خلل في هذا السور أو هدم جزء منه، حتى يسارع الماليك في القيام بترميم هذا الخلل، من ذلك ما قام به السلطان قايتباى سنة ٥٨٨هـ/ ٢٤٧٥ م، من تجديد بعض أجزاء السور (١٠)، حيث جدد السور من باب المصرى غربي المدينة، إلى الركن القبلي بطول سبعائة ذراع وأربعة عشر ذراعًا، وبناه من الحجر إلى أعالى العقود التي من خلفه من داخل المدينة وبني أعاليه باللبن (٥).

وكانت جميع أسوار المدينة قد أنشثت بغرض حمايتها خلال فترات ضعف الدولة الإسلامية، وذلك يدل على قدر اهتهام حكام المسلمين بالمدينة المنورة، وعندما كانت تغلق أبواب أسوارها فإنها تعزلها عن غيرها(١٠). وتتفق كثير من المصادر على أن السبب في إنشاء تلك الأسوار للمدينة هو حمايتها من هجهات الأعراب عليها(١٠).

<sup>(</sup>۱) مختار محمد بلول، المدينة المنورة درة المدائن، الطبعة الأولى، دار بلول للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هــ/ ٢٠٠٠م، ص ٥٠.

 <sup>(</sup>٢) عمر الفاروق، المدينة المتورة التركيب الوظيفى... النمو والتغيرات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ٩٧٧ م، ص ١٨.

<sup>(</sup>٣) عمد محمود السرياني، السكن الحضري، ص ١٨٠.

<sup>(</sup>٤) العباسي، عمدة الأخبار، ص ١٢١؛ السمهودي، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٢٨.

<sup>(</sup>٥) ابن الرومى، محمد بن خضر الرومى الحنفى، كتاب التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة، ضمن رسائل في تاريخ المدينة، تقديم وإشراف/ حمد الجاسر، الطبعة الأولى، منشورات دار اليامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٨٦.

<sup>(</sup>٦) عمر الفاروق، المدينة المتورة، ص ١٩.

<sup>(</sup>٧) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤١٠ محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٦٣.

كذلك اهتم سلاطين الماليك بأبواب المدينة المنورة، حيث كان لها في تلك الفترة أربعة أبواب:

- الباب الأول: في غرب المدينة من جهة المصلى، عند منزلة الحاج المصرى، وهو يعرف بدرب المصلى و درب سويقة، وقد ذرع السمهو دى ما بينه وبين عتبة السلام فكان ( ٦٤٥ ذراعًا )، كان عليه باب متقن صناعته، أحرقه صبيان الأمير ضيغم بن خشرم سنة عزله سنة ١٤٦٥م، فأخذ أمير المدينة باب الحوش الذي عمره الأمير ضيغم وجعله عليه، ثم عمل به بابًا متقنًا كالأول في عهارة المسجد المتجددة بعد الحريق الثاني الذي حدث سنة ٢٨٨هـ/ ١٤٨١م.

- الباب الثانى: فى جهة الغرب عند رحبة حصن أمير المدينة، ويعرف بالدرب الصغير.

- الباب الثالث: وهو المعروف بالدرب الكبير والدرب الشامى.

- الباب الرابع: وهو المعروف بدرب البقيع في شرق المدينة، ويعرف بدرب الجمعة، وعليه باب متقن مغشى بصفائح الحديد، ويذكر السمهودى أنه باق من زمن نورالدين، وذرع السمهودى ما بينه وبين عتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل فكان ( ٤٣٣ ذراعًا )، وفي قبلة سور المدينة موضع باب مسدود، كان يعرف بدرب السوارقية (١٠٠٠).

كها وجد فى المدينة المنورة الشوارع التجارية، تركزت على أطراف المدينة لتسهيل حركة نقل السلع دون إعاقة الحركة داخلها، كمثل الشارع الواصل بين الباب المصرى وباب السلام، وبين باب الرحمة والباب الشامى، مع ملاحظة عدم السماح بوجود أى نشاط تجارى كثيف قرب المسجد النبوى، لتحقيق الاحترام الواجب - اللهم إلا بعض

<sup>(</sup>۱) السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ٧٧٠؛ انظر أيضًا: أحمد محمد شعبان، أسوار المدينة المنورة في التاريخ، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثاني عشر، محرم -- ربيع الأول ١٤٢٦هـ/ مارس-مايو ٢٠٠٥م، ص ٢٥، ٦٦.

الأدوات الخاصة بالعبادة والصلاة والعطور - لا سيما وأن المنطقة المحيطة بالمسجد قد ازدحت بالمنشآت (۱)، فكان في المدينة سكتان طويلتان، إحداهما تمر من الغرب إلى الشرق، وهي معوجة متصلة بالسكة الأخرى، وتشتمل على بيوت وقصور وأسواق، والسكة الأخرى من الشرق من باب السلام إلى جهة الغرب، حيث الباب المصرى، وهي تشتمل على أسواق وحوانيت وبيوت وقصور، بالإضافة إلى عطفات أخرى تشتمل على حوانيت وبيوت وقصور كثيرة (۱)، وكان باب عاتكة من أبواب المسجد النبوى يعرف أحيانًا بباب السوق؛ لأن سوق المدينة كانت تقع في جهته، وكان يسمى أيضًا بباب الرحة (۱)، وجميع هذه الأماكن نستطيع أن نقول إنها كانت عبارة عن أسواق، تحتوى على جميع ما يرغب به أهل المدينة من بضائع، ويذكر السمهودى أن قريبًا من المدرسة الباسطية، توجد وكالة السلطان قايتباى، وفي غربها سوق المدينة يباع فيها المفاكهة (۱).

كها اهتم سلاطين الجراكسة بإنشاء الأسبلة والحهامات في المدينة المنورة، منها السبيل الذي أنشأه القاضي عبد الباسط، وألحقه بمدرسته قرب المسجد النبوي<sup>(٥)</sup>، كها أمر السلطان قايتباي في سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م بإنشاء سبيل ملحق بمدرسته بإشراف ابن الزمن، وكذلك أمر السلطان الغوري في ربيع الأول سنة ٢١٩هـ/ ١٥١٥م بإنشاء سبيل في بدر<sup>(١)</sup>.

وبالنسبة إلى إنشاء الحامات، فهناك الحام الذى أنشأه السلطان قايتباى ضمن مجموعته المعارية، ناحية ميضأة باب السلام، حيث لم يكن في المدينة حمام عام (٧).

<sup>(</sup>١) عبد الفتاح أحمد دسوقي، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٣.

<sup>(</sup>٢) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٤٣.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ٢، ص ٨.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، المصدر نفسه، ص ١٢.

<sup>(</sup>٥) عمد حزة إساعيل الحداد، الأسبلة في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة " دراسة تاريخية آثارية "، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، سلسلة العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٤٠٠٤م، ص ٢٩، ٣٠.

<sup>(</sup>٦) عمد حزة إسهاعيل الحداد، المرجع السابق، ص ٣٠، ٣١.

<sup>(</sup>٧) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٧٠.

ولعل من أهم سلاطين الجراكسة الذين اهتموا بإنشاء العديد من المنشآت في المدينة المنورة، السلطان قايتباى الذي لم يكد ينتهى من عهارة المسجد النبوى بعد حريق سنة المنورة، السلطان قايتباى الذي لم يكد ينتهى من عهارة المسجد النبوى بعد حريق سنة آخر بدل ١٤٨١م، حتى أنشأ رباط بجانب مدرسته الأشر فية، بالإضافة إلى بناء رباط آخر بدل رباط الحصن العتيق كها بنى حمام ناحية ميضأة باب السلام، وسبيل ماء وفرن وطاحون، حيث لم يكن في المدينة طاحون عام ومطبخ لطبخ الدشيشة وتوزيعها يوميًا على الفقراء (۱)، وكذلك بنى وكالة ذات حواصل في الدور التي اشتروها من قبل من دور العياسا (۱)، من أجل بناء السهاط الذي أراد السلطان بناءه بالمدينة (۱).

ولعل أهم ما أنشأه قايتباى فى المدينة المنورة هى مدرسته عند باب السلام، وهى مكان نزول أمير الحاج المصرى حين قدومه إلى المدينة (٤)، وقد ظلت هذه المدرسة قائمة حتى زارها الرحالة النابلسى سنة ١٠٥ه هم، وقال عنها: "مدرسة السلطان قايتباى التى عمرها على شكل القاعة بأربعة لواوين (يقصد أواوين)، كلها بالحجارة المنحوتة الملونة والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر، وفى وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش، مرتفعة يصعد إليها بدرج ودهليز مبلط، وشبابيكها مطلة على داخل الحرم النبوى من جهة الغرب قبالة الحجرة النبوية، وفيه الخلوات للمجاورين ولها شباك مطل على باب السلام "(٥).

كان لهذه المدرسة مثذنة خاصة بها فى ناحية باب الرحمة، كذلك كان فيها الخلوات لسكن الطلبة، وقد أصبحت فيها بعد تستخدم لاستضافة المجاورين(١٠).

كها كان هناك أبواب صغيرة فتحت فى الجدار الغربى للمسجد النبوى بين باب السلام وباب الرحمة للدخول منها إلى المدرسة والرباط اللذين أنشأهما السلطان (٧).

<sup>(</sup>١) السمهودي، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٧٠.

<sup>(</sup>٢) هم الأشراف بنو عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني وهو جد العياسا.

<sup>(</sup>٣) السمهودي، خلاصة الوفاء ج ١، ص ٣٧١.

<sup>(</sup>٤) الإسحاقي، لطائف أخبار الأول، ص ٣٢٠.

<sup>(</sup>٥) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٥؛ انظر أيضًا: على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٨٩، ٩٩.

<sup>(</sup>٦) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٩٨، ٩٩.

<sup>(</sup>٧) - محمد هزاع الشهرى، عارة المسجد النبوى، ص ٣٤٨.

وكذلك أنشأ خلاوى للفقراء، وخزانة كتب ومكتب للأيتام(١)، وكانت جملة ما تكلفته جميع منشآت عمارة قايتباى، بما فيها عمارة المسجد النبوى الشريف " مائة وعشرون ألف دينار "(٢).

يتضح من ذلك أن سلاطين الماليك الجراكسة قد اهتموا بكل مظاهر العمران في المدينة المنورة لعظيم شرفها وأهمية مكانتها لديهم.

وقد اقتصر الحديث على بعض المنشآت المهمة فى المدينة المنورة التى نالت عناية ورعاية سلاطين الجراكسة.

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٨٢.

<sup>(</sup>٢) عمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٥٠.

# • الفصل الخامس

# الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة

أولًا \_ دُور العلم في المدينة المنورة

ثانيًا ـ خزائن الكتب ( المكتبات )

**تْالْتًا**ــأنواع العلوم

رابعًا ـ أثر الأوقاف على الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة

# أولًا ـ دُور العلم في المدينة المنورة

تعددت دُور العلم بالمدينة المنورة زمن الماليك الجراكسة، فكان منها الآتي:

#### (١) المساجد

كانت المساجد من أهم مراكز التعليم في العصور الإسلامية الأولى، حيث لم يقتصر دورها على العبادة والصلاة، وإنها كان لها دور تربوى من خلال حلقات العلم لدراسة القرآن الكريم والفقه واللغة العربية وغيرها(۱). ويمثل المسجد النبوى الشريف أهم تلك المساجد؛ حيث كانت سواريه والروضة الشريفة أماكن للقراء والمحدثين والفقهاء وغيرهم من العلهاء، يقصدونها للعلم والتعلم(۱)، وكانت حلقات العلم بالمسجد تمثل أبرز مظاهر النشاط العلمي في المدينة، بها أتاحته من إثراء للحركة العلمية، حيث كان العلماء يلقون دروسًا مختلفة في التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول والصرف والنحو والبلاغة، وإن كانت هذه الدروس بغير نظام أو إدارة مسئولة أو اختبارات منظمة (۱)، فهم يلقون العلم فيه بنظام الحلقات العلمية، حيث يجلس من يريد العلم على

<sup>(</sup>١) سحر بنت عبد الرحمن مفتى الصديقى، أثـر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢١.

<sup>(</sup>٢) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٥٥.

<sup>(</sup>٣) محمد عبد الرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢ م، ص ٦٣.

الأرض بشكل دائرة حول الشيخ، الذي يستقبلهم بوجهه ويلقى عليهم الدروس، كما أن منهم من كان يجلس على مكان مرتفع ليظهر للجميع (١٠).

وأشار السخاوى إلى أن أماكن الدرس ومجالس العلم، قد شملت جميع أنحاء المسجد النبوى الشريف، فيذكر عن نفسه أنه عندما جاور في المدينة قرأ " تجاه الحجرة النبوية على مؤرخها البدر بن عبد الله بن فرحون "، ويذكر أيضًا أن ضمن أساطين المسجد كانت هناك أسطوانة تعرف بأسطوانة عائشة (٢)، كان يجلس بجوارها الراغبون في قراءة الحديث النبوى الشريف وعلومه، وكانت لا تخلو من كبار العلماء الذين يلتف حولهم طلبة العلم (٢)، في حلقات يتحكم في عدد طلابها شهرة شيخهم (١)، فيجلس الشيخ مستقبل القبلة في المكان المخصص من أروقة المسجد وحوله الحاضرون الذين يقرأ عليهم درسه ويناقشونه (٥).

وقد تمتد حلقات بعض مشاهير العلماء لسنوات، وعند ذلك يكون لهم مكان معلوم في المسجد يختلف إليه طلبة العلم فيه (٢)، فيجلس طلاب العلم بين يدى الشيخ ويسمعون منه الدروس في الحديث والتفسير والفقه وعلوم العربية، ويستمرون في هذا لسنوات، ومتى أحس الطالب مقدرة على التدريس بتشجيع من أساتذته يبدأ الطالب

<sup>(</sup>١) عدنان على الفراجى، الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٥٥.

<sup>(</sup>٢) أسطوانة عانشة: أسطوانة أم المؤمنين السيدة عانشة رَيَّعَ الْفَيْجَالُهُ عَلَيْهَ الرَّوْسَة السلوانة عانشة وَيَعَ الْفَيْجَالُهُ عَلَيْهَ السلوانة الماطين الناريخية في الروضة المطهرة بالمسجد النبوى الشريف تعرف أيضًا بأسطوانة المهاجرين أو بمجلس المهاجرين ويطلق عليها أحيانًا مع غيرها من الأساطين وصف ( المخلقة ) أى المعطرة بطيب الخلوق ووجه تسميتها بأسطوانة عائشة أن أم المؤمنين رَيَحَ المُعْفَقَة هي التي أخبرت بها وحددت مكانها وقيل: لم تحددها السيدة عائشة رَيَحَ المُعْفَق الله ولكن استنبط مكانها بعد ذلك وقيل: هي التي كانت عائشة رَيَحَ المُعْفة والحرمان الشريفان عارة التعريف، ص ٢٥؛ انظر أيضًا: عبيد الله محمد أمين كردى، الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عارة وتاريخًا، الرياض، ص ٢٥١.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١.

<sup>(</sup>٤) عبد الغنى محمود عبد العاطى، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والماليك، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٦٩٠.

<sup>(</sup>٥) على سسالم النبساهين، نظسًام التربية الإسلامية في عصر دولة الماليك في مصر، الطبعة الأولى، إشراف د/ إبراهيم عصمت مطاوع، د/ عبد الغني عبود، تقديم د/ عبد الغني عبود، مكتبة التربية الإسلامية، الكتاب الثالث، دار الفكر العربي، ١٩٨١م، ص ٣٦٦.

<sup>(</sup>٦) عدنانُ على الفراجي، الحياة الفكرية في المدينة المنورة، ص٥٦.

دروسه، ويتوقف نجاحه أو فشله في ذلك على مقدرته في إدخال المعلومات إلى عقول مستمعيه وإلى رأى هؤلاء المستمعين(١).

كها عرفت طريقة التعلم بالملازمة؛ حيث يلازم الطالب أحد المشايخ باستمرار، وفيها يكون نبوغ الطالب العلمي ظاهرًا بشكل واضح ٢٠٠.

وقد أشار السخاوى إلى تخصيص الكثير من دروس العلم داخل المسجد النبوى الشريف، لطلبة أحد المذاهب دون غيره من المذاهب الأخرى، أو تخصيصها لمذهبين من المذاهب، مثل المذهب الشافعى والحنفى (٣)، كما أنه رغم أن الحريق الثانى الذى شب بالمسجد النبوى الشريف في سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م أيام السلطان قايتباى، قد عطل المسجد عن أداء وظيفته التعليمية، إلا أنها كانت فترة قصيرة، عاد المسجد بعدها إلى عمارسة مهامه (١٤).

وكانت مجالس العلم في المسجد النبوى تعقد غالبًا بعد صلاة العصر وتمتد إلى صلاة العشاء، وتفتتح بذكر الله تعالى والصلاة على الرسول عليه (٥٠).

وعمن تولى التدريس والإقراء في المسجد النبوى الشريف، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم اللخمى الأسيوطى (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٦م). كان ماهرًا في الفقه والعربية والأصلين وقام بالتدريس والإفتاء في الحرمين (١٠٠ ومنهم إبراهيم بن على بن فرحون اليعمرى (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) حدث في المسجد النبوى وبرع في الفقه على المذهب المالكي (٧).

<sup>(</sup>١) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٩٨.

<sup>(</sup>٢) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٢٩.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ٦٤.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٢٠١.

<sup>(</sup>٥) ابن رشيد، أبو عبد الله تحمد بن عامر رشيد الفهرى السبتى، مل العيبة بها جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة الوجهة الوجهة المومن مكة وطيبة، الجزء الخامس، تحقيق د/ محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م، ص ٢٦، ٢٧.

<sup>(</sup>٦) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤١، ١٤٢.

<sup>(</sup>٧) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣١، ١٣٢.

كذلك كان هناك أحمد بن محمد الجلال أبو الطاهر الخجندى (ت ١٨٥هـ/ ١٣٩٩م)، أقام بالمدينة أكثر من أربعين سنة، قام بالتدريس والإفتاء، وكان إمامًا للحنفية(١).

وكان منهم محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان الششترى (ت ١٤٨٠هـ/ ١٤٨٠م)، تصدى للإقراء، التى أخذها عن محمد الكيلاني وغيره، فانتفع به أهل المدينة، كما أخذ عنه السيد المحيوى قاضى المذهب الحنبلي في المدينة (٢٠). وهناك كثيرون من الأعلام الذين أخذوا القرآن الكريم قراءة وتجويدًا على شيوخ في المسجد النبوى الشريف.

ولا شك أن حلقات العلم في المسجد النبوى الشريف، قد لعبت دورًا كبيرًا في الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة، خلال عصر سلاطين الجراكسة، فالمسجد كان له دوره ولا يزال هذا الدور قائمًا، ليسهم في تطور الأمة الإسلامية دينيًا وفكريًا وحضاريًا (٢٠)، كما أنه لا شك أن هذه الحلقات العلمية كانت تمثل المدرسة في الإسلام، وكان لها منهجها وطرق تدريسها، وقد خرجت متخصصين في كثير من العلوم(١٠).

## ( ٢ ) الكتاتيب ( المكاتب ) في المدينة المنورة (٥)

خلال عصر الماليك الجراكسة تم عزل الكتاتيب عن المدارس والمساجد، لأن

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٦٣.

<sup>(</sup>٢) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٥٦.

<sup>(</sup>٣) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٢٦.

<sup>(</sup>٤) عبد الله قاسم الوشلى، المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية، سلسلة نحو النور (٩)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت.، ص ٢٤.

<sup>(</sup>٥) تعريفات لإعطاء صورة واضحة لمدلول الكُتاب الذي نتحدث عنه لغويًا وتربويًا:

١ - " الكِتاب بالضم والتشديد والمكتب واحد والجمع الكتاتيب والمكاتب أي موضع الكتابة "

٢ - " إلكتاب مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن والجمع كتانيب "

٣ - الكُتاب عند القابسي " هو المكان الذي يتلقى فيه الصبيان العلم ".

٤ - الكتاتيب مفردها كُتاب وهي " المكان الذي يجتمع فيه أطف ال المسلمين لحفظ القرآن الكريم قراءة
 وكتابة وتلقى مبادئ الدين الإسلامي وتستخدم أيضًا كلمة " المكاتب "ومفردها مكتب "

٥ - "الكتاب جمعه كتاتيب وهو موضع تعليم القراءة والكتابة وهو من المؤسسات التعليمية المهمة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتثقيف لصغار وتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة ". انظر: دخيل الله عبد لله الحيدري، التعليم الأهل في المدينة المنورة من ١٣٤٤هـ إلى ١٤٠٨هـ دراسة تاريخية وصفية، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي (٧٠)، ص ٤٤، ٤٤.

الأطفال لم يكونوا حريصين على النظافة والهدوء، وكان يقام بعضها بجوار سبيل للهاء وبعضها بنى بجوار الحرم النبوى الشريف (١٠). كما كان شائعًا أن يوضع الكُتاب فوق السبيل، ما عدا أمثلة قليلة يتم وضع الكُتاب فوق إحدى الوحدات المعارية الأخرى، وذلك بغرض أن يكون الكُتاب عرضة لأكبر قدر من الإضاءة والتهوية؛ حيث يوجد به عدد كبير من الأطفال (٢٠).

عرفت الكتاتيب باسم مكاتب السبيل أو مكاتب تعليم الأيتام أو مكاتب تعليم الأبناء، وكان عدد أطفال الكتاتيب يتراوح بين الثلاثين والأربعين طفلًا (٢٠)، فالهدف من إنشاء معظم الكتاتيب في الأصل تعليم الأيتام ولهذا قام أهل الخير بإقامتها والوقف عليها (٤٠).

وكان الأطفال يتعلمون فيها العلوم الأساسية التى تتناسب ومداركهم، منها القرآن الكريم فهو " أول العلوم التى ينبغى أن يدرسها الصبيان، بل هو المحور الذى يدور عليه التعليم في الكتاتيب " وضرورة ذلك تنبع من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحث على تعلم القرآن وتعليمه (٥٠).

إلى جانب تعليم القرآن الكريم، كان الأطفال يتعلمون الكتابة، ويبدو أنهم يتعلمون كتابة الحروف مفردة لأول مرة، ويعتمدون طريقة التهجى لحفظها، وفى مرحلة متقدمة يتعلمون بعض الشعر والأمثال، أما اللغة العربية والنحو فكان يتعلم الأولاد إياها فى مرحلة متقدمة من دراستهم فى الكتاب، وكان الصبى يتعلم فضلًا عن ذلك الحساب وشيء من السيرة النبوية (١).

يمكن إجمال ما كان يتعلمونه في الكتاب، فيها قاله ابن الأخوة أن يعلمه المؤدب: "السور القصار من القرآن بعد حذاقته بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ويدرجه

<sup>(</sup>١) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٨١.

<sup>(</sup>٢) عدنان محمد فايز الحارثي، عمارة المدرسة في مصر والحجاز، ج ١، ص ٣٧٣، ٣٧٤.

<sup>(</sup>٣) حمد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة، ص ٥١،٥٢.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ٤، ص ١٤؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤.

<sup>(</sup>٥) عدنان محمد فايز الحارثي، عبارة المدرسة في مصر والحجاز ( في القرن 9هـ/ ١٥م )، ج ١، ص ٦٩.

<sup>(</sup>٦) عدنان على الفراجي، المرجع نفسه، ص ٧٠، ٧١.

بذلك حتى يألفه طبعًا، ثم يعرفه عقائد أهل السنة ثم أصول الحساب وما يستحسن من المراسلات، وفي وقت البطالة يأمرهم بتجويد الخط على المثال ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظًا غائبًا لا نظرًا "(١).

ولم يكن سن الالتحاق بالكتاب يختلف كثيرًا عن سن الالتحاق بالتعليم الابتدائى في عصرنا غير أنه لم يحدد حد أدنى لدخول الكتاب (٢٠). حيث كان الطفل يلتحق بالكتاب من سن الرابعة وحتى العاشرة، وتتوقف مدة وجوده في الكتاب على مدى استعداده وقدراته، حيث كان بعضهم يدرس إلى سن العاشرة، وأما إذا بلغ الطفل سن الحلم، فكان يصرف ليحل محله طفل آخر (٢٠).

فتشير الكثير من المصادر إلى أن الحد الأعلى للبقاء في الكتاب هو سن البلوغ(١).

أما عن مواعيد الدراسة والعطلات، فيذكر ابن الحاج: "وانصراف الصبيان واستراحتهم يومين في الجمعة لا بأس به، وكذلك انصرافهم قبل العصر بيومين أو ثلاثة وكذلك بعده بل ذلك مستحب، لقوله عليه على "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة"، فإذا استراحوا يومين في الجمعة نشطوا لباقيهما "(٥) فكانت العطلة في الكتاتيب عطلة أسبوعية في يومي الخميس والجمعة، ويروى أن العطلة الأسبوعية كانت في الجمعة فقط أول الأمر (٢٠) وعن إلحاق يوم الخميس بالجمعة، تذكر المصادر قصة خلاصتها أنه لما خرج عمر بن الخطاب رَضَيَا فَيْنَ إلى الشام عام فتحها، وقد مكث شهرًا ثم رجع إلى المدينة، وقد استوحش الناس فخرجوا للقائه تلقاه الصغار على مسيرة يوم، وكان ذلك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا في خروجهم ورجوعهم، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين فصار ذلك سنة متبعة ودعا بالخير لمن أحيا هذه

<sup>(</sup>١) ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٢٦١.

<sup>(</sup>٢) على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٢٥٠.

<sup>(</sup>٣) ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٧٠.

<sup>(</sup>٤) على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٢٥٠.

<sup>(</sup>٥) ابن الحاج، أبو عبدالله محمد بن عمد العبدري ت ١٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، المدخل، مدخل إلى الشرع الشريف على المذاهب، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٢٩م، ص ١٠٠٠

<sup>(</sup>٦) عدنان على الفراجي، الحياة الفكرية في المدينة المنورة، ص ٦٤.

السنة، وكان ثمة عطلة أخرى للكتاتيب على العرف المشتهر المتواطأ عليه وهى "ثلاثة أيام فى عيد الفطر... وخمسة أيام فى الأضحى يوم قبل النحر وثلاثة أيام النحر واليوم الرابع وهو آخر أيام التشريق، ثم يعودون - التلاميذ - إلى معلميهم فى اليوم الخامس من أيام النحر وهذا أوسط الرفق ".

يذكر عدنان على الفراجي أن هذا العرف استمر في المدينة وفي غيرها إذ: "اقتدى به السلف في الاستراحات المشروعة إلى يومنا هذا..."(١).

وعندما ينتهى الطفل من حفظ القرآن الكريم، كان يحتفل به احتفالًا يسمى "الإصراف"، حيث تزين أرض الكتاب وحيطانه، ويقوم أهل الطفل بتزينه بقلائد الذهب والعمائم ويركبونه على فرس أو بغلة ويمشى بين يديه أطفال الكتاب حتى يصلونه إلى بيته فيدخل المؤدب ويعطى أهل الطفل لوح الإصرافة، فيقوم أهله بإعطاء المؤدب ما يقدرون عليه من مال ويحتفلون بالجميع ويقدمون لهم الأطعمة والحلوى (٢٠). بالإضافة إلى أنه كان يصرف إلى الصبى مكافأة مالية تشجيعية لإتمامه حفظ القرآن الكريم (٢٠).

أما عدد الكتاتيب في المدينة المنورة، فكان بها عدد غير معروف يرتبط معظمه بالمعلمين الذين يدرسون فيها، ومنها الكتاب الذي أنشأه السلطان قايتباي لتعليم الأطفال في المدينة المنورة، ضمن مجموعته التي أنشأها بجوار المسجد النبوى بعد إعهاره في أعقاب الحريق الذي حصل له سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م (١٠)، ولا شك أنه كان يوجد منها الكثير في المدينة في ذلك العصر.

## (٣) المدارس في المدينة المنورة

لم تختلف المدرسة في المدينة المنورة، على عصر المهاليك الجراكسة عن المسجد، من

<sup>(</sup>١) عدنان على الفراجي، الحياة الفكرية في المدينة المنورة، ص ٦٥.

<sup>(</sup>٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٣١.

<sup>(</sup>٣) محمد على فهيم بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز أبان العصر العثماني، ص ٨.

<sup>(</sup>٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤.

حيث البناء ولا الوظيفة (۱)، حيث يتشابه التصميم المعارى للمسجد والمدرسة، بحيث يصبح من الصعب التمييز بينها، ولكن روعى فى تصميم المدرسة الأغراض التعليمية، وإنشاء مساكن للطلبة والمدرسين وغيرهم من أصحاب الوظائف وبعض الملحقات من القاعات والحواصل، وغالبًا ما يكون بجوار المدرسة سبيل للهاء يعلوه مكتب لتعليم الأيتام (۱)، وقد حرص المنشئون لها على أن تكون مطلة على المسجد النبوى الشريف لارتباطهم به (۱)، ومعظمها كانت دُورًا أو أربطة تم شراؤها ثم أعيد بناؤها لتناسب غرض التدريس (۱)، واختلفت الدراسة بها باختلاف المذاهب الفقهية وباختلاف المدف من إنشائها، ذكر السخاوى في ترجمته للسمهودى بأن خيرى بك قرره في المدرسة الشافعية بالمدافعة بالمدينة (۱۰).

وكان هناك مدارس للحنفية، فيذكر السمهودى أن المدرسة التى بناها الأمير بازكوج أحد أمراء الشام، قد بناها لأبناء المذهب الحنفى ودراسة فقه المذهب المنادوس بعض المدارس لمذهب الحنابلة والمالكية، وكذلك وجدت مدارس لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، مثل مدرسة الأشرف قايتباى بإيواناتها الأربعة؛ حيث تم تخصيص كل إيوان منها لأبناء أحد المذاهب (٧).

كما حرص الواقفون على اختيار العلماء والمدرسين للتدريس بمدارسهم، وقد اشترطوا فيهم أن يكونوا معروفين بالعلم والفضل، من ذوى المذاهب الأربعة (١٠) كما كان يتم اختيار المدرسين من بين المقيمين في المدينة أو من القادمين إليها (١٠).

<sup>(</sup>١) عبد الله قاسم الوشل، المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية، سلسلة نحو النور (٩)، دار التوزيم والنشر الإسلامية، د. ت.، ص ٧٢.

<sup>(</sup>٢) عبد اللطيف إبراهيم على، دراسات تاريخية وآثرية في وثانق من عهد السلطان الغورى، الجزء الأول، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٤٩.

<sup>(</sup>٣) أحد هاشم أحد بدر شيئى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٣٧.

<sup>(</sup>٤) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٦٠.

<sup>(</sup>٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٣٢.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٦٦٢.

<sup>(</sup>٧) السمهودي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٣٢.

<sup>(</sup>٨) راشد سعد راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ص ٩٤.

<sup>(</sup>٩) عبد الباسط عبد الزراق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٦٠.

ووجد في المدارس الكبرى خازن للكتب، كان في كثير من الأحيان من كبار العلماء، ويعرف "بمفرق الربعة الشريفة"، مهمته تفريق المصاحف الشريفة على الطلبة للقراءة، ثم جمعها بعد الانتهاء من القراءة والمحافظة عليها(١١).

وكانت كثير من هذه المدارس غالبًا ما تسمى باسم منشئيها، وقلما تسمى باسم أحد من مدرسيها أو مكان وجودها، وذلك يتضح من الأسماء التى أطلقت على هذه المدارس ومن أهمها:

#### ١ - المدرسة البنجالية الغياثية

أنشأها السلطان غياث الدين أبى المظفر صاحب بنجالة من بلاد الهند في سنة انشأها السلطان غياث السلطان غياث قد ندب حاجى إقبال مولى خان جهان وزير صاحب الهند بصدقة لأهل المدينة المنورة، وكذلك هدية لأميرها جماز بن منصور، كما أمر حاجى إقبال ببناء مدرسة للسلطان الهندى في المدينة وشراء وقف عليها(٢٠)، وقد أنشئت هذه المدرسة بمكان يقال له الحصن العتيق عند باب الرحمة من أبواب المسجد النبوى، كان هذا الحصن العتيق منزلًا لأمراء المدينة، ثم انتقل إلى السلطان غياث الدين بالشراء، حيث أقام فيه المدرسة ورتب لها المدرسين والطلبة وجعل لها وقفًا(٤٠).

#### ٢ - المدرسة الباسطية (٥)

أنشأها عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الزيني الدمشقى ( ٧٨٤ - ١٣٧٢ - ١٣٧٢ -

<sup>(</sup>١) سحر بنت عبد الرحمن الصديقي، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٤٣؛ على السيد على الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٠٤.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٣٣٣.

<sup>(</sup>٣) يسرى أحمد زيدان، دور الهنود في الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المهاليك، عجلة المؤرخ العربي، المجلد الأول، العدد الثاني عشر، القاهرة، مارس ٢٠٠٤م، ص ٢٤٦.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٣٣٣٠؛ انظر أيضًا: يسرى أُحد زيدان، دور الهنود في الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، ص ٢٤٦.

<sup>(</sup>٥) انظر المدرسة الباسطية في المدينة المنورة ملحق رقم ٣ شكل رقم ٤.

• ١٤٥٠م)، ناظر الخاصة والكتابة عند السلطان الأشرف برسباى (١)، أنشأها في سنة • ١٤٥٨م / ١٤٣٦م، حيث قام بشراء دار مطيع التي كانت بأيدى أويس بن سعد بن أبي السرح وهدمها، وأقام عليها المدرسة التي كانت تقع في مواجهة المدرسة الأشرفية التي بناها فيا بعد السلطان الأشرف قايتباى (٢) قريبة من باب السلام أحد أبواب المسجد النبوى الشريف (٢).

وعندما تحدث السخاوى عن الشيخ على بن إبراهيم الحسيني العجمي (٤)، ذكر أن القاضى عبد الباسط لم ينشئ هذه المدرسة إلا من أجل هذا الشيخ حيث قرره الزيني فيها(٥).

هناك اختلاف فى تاريخ نشأة هذه المدرسة، حيث أشار إليها السمهودى إشارة عارضة، وذلك أثناء تحديده لبعض دور المدينة القديمة، فذكر أنه يقابلها دار أخرى هى " اليوم المدرسة الباسيطة التى أنشأها القاضى عبد الباسط سنة بضع وأربعين وثهانهائة"(۱).

وهو بذلك يذكر أن المدرسة قد أنشئت بعد سنة ٩٤٠هـ/ ١٤٣٦م، ولكن أحد الباحثين وهو سامى نوار يذكر في " الأعمال المعمارية للقاضى عبد الباسط " أن المدرسة أنشئت سنة ٩٨٥هـ/ ١٤٤٩م، ودون تقديم دليل يرجح قوله (٧٠)، إلا أن الأقرب إلى الصواب هو أن إنشاء تلك المدرسة على ما ذكره السمهودى من أنه كان في البضع والأربعين وثمانهائة، وذلك لقرب عهد السمهودى بتاريخ إنشاء تلك المدرسة ومؤكد

<sup>(</sup>١) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٦٢.

<sup>(</sup>٢) السخاوى، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ١٥؛ انظر أيضًا: أبوب صبرى باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ص ١٩٩٣ آمنة حسين محمد على جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٩٨.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٢.

<sup>(</sup>٤) على بن إبراهيم بن محمد السيد الحسيني ولد ونشأ في فارس، ثم ارتحل طالبًا للعلم حتى استقر به المقام في المدينة المنورة معلبًا ومدرسًا حتى توقى سنة ( ١٢٥هـ/ ١٤٥٥م) أو سنة ( ١٢٥هـ/ ١٤٥٧م). انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٥٨، ١٥٩.

<sup>(</sup>٥) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٥٩.

<sup>(</sup>٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٢٢.

<sup>(</sup>٧) عدنان عمد فايز الحارثي، عارة المدرسة في مصر والحجاز، ج١، ص ٢٠٤.

أن تلك المدرسة كانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعي، حيث تولى مشيختها علماء الشافعية، مثل الشيخ على بن إبراهيم الحسيني، ومن بعده وليها أحد علماء الشافعية، وهو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحن المدنى الشافعي(١).

ومع عدم توافر أية معلومات عن عدد الطلاب بها، فمن المرجح أنها كانت تقوم بوظيفة الخانقاة وبها مكتب سبيل مثلها كمثل المدرسة الباسطية في مكة (٢٠)، وقد ذكر السخاوى أنه جاور فيها في إحدى مجاوراته (٢٠)، كما سكنها ودرس فيها عدد من علماء المجاورين، وقد اشتهرت هذه المدرسة بتدريس العلوم الشرعية والعربية وتدريس تجويد الخط (١٠).

#### ٣ – المدرسة الزمنية

أنشأها الشمس بن الزمن، ناظر العهارة الذى قام بعهارة المسجد النبوى، بعد الحريق الثانى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م في عهد السلطان الأشرف قايتباى؛ حيث أنشئت في سنة ١٣٧٣م (٥٠).

## ٤ - المدرسة الكلبرجية

أنشأها السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد صاحب كلبرجة من بلاد الهند(١) في سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م(٧)، ولكن هناك العديد من المراجع التي تبين أن تاريخ إنشاء

<sup>(</sup>١) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح المدنى، ولد فى المدينة المنورة ونشأ وتعلم بها ورحل مرارًا فى طلب العلم وقد ولى مشيخة الباسطية بالمدينة المنورة علاوة على الإمامة والخطابة فى المسجد النبوى الشريف. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ١، ص ١٤٨، ١٤٩.

<sup>(</sup>٢) عدنان محمد فايز الحارثي، عهارة المدرسة في مصر والحجاز، ج ١، ص ٢٠٥.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٦.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢.

<sup>(</sup>٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٤، ص ٦٤.

<sup>(</sup>٦) كالبرجة: تقع بإقاليم الدكن بالهند كان يحكمها في ذلك الوقت ملوك مسلمون وساحلها الديبل. انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٩٢٩.

<sup>(</sup>٧) السمهودي، وفاه الوفا، ج ٢، ص ٦٩٦؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٤٩.

هذه المدرسة كان في سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م، وهي نفس السنة التي توفى فيها السلطان شهاب الدين (١).

أشار السخاوى إلى أن إنشاء هذه المدرسة كان فى سنة ١٩٣٨هـ/ ١٩٣٤م قرب باب الرحة (٢٠)، ومن خلال البحث عن تاريخ إنشاء هذه المدرسة نجد أن التاريخ المؤكد لهذا هو سنة ١٤٣٨هـ/ ١٤٣٤م، فهذه المدرسة أنشئت أمام المسجد النبوى، فى الأرض التى كان عليها دار جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، جهة المسجد الشالية ملاصقة لباب الرحمة (٢٠). وذكر أن السلطان المذكور بعث مالًا كثيرًا لكى تعمر به مدارس له فى مكة والمدينة والقدس (١٠).

## ٥ - المدرسة الأشرفية أو المدرسة السلطانية أو مدرسة قايتباي

أنشأها السلطان قايتباى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٧٧م أو"، لكن ابن شاهين الظاهرى فى "نيل الأمل فى ذيل الدول " يبين أنه فى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م " وردت الأخبار أن الخواجة شمس الدين بن الزمن ابتدأ بعبارة مدرسة السلطان بالمدينة، وزاد ابن إياس بقوله: "وأنا حججت تلك السنة وشاهدت هذه الوقائع، وجاءت بعد ذلك من أحسن المبانى، وأنه أخذ لها مكانًا يسكنه الرافضة، وهو الذى كان السبب المفضى لقتل القاضى "(١). قاضى المدينة المنورة. لكن بعض المراجع ذكرت غير ذلك، حيث ذكرت أنه أنشأها سنة ٨٨هـ/ ١٤٨١م، حيث قام ببناء هذه المدرسة بعد الحريق الثانى للمسجد النبوى الشريف سنة ٨٨هـ/ ١٤٨١م، بعد هدم كل من المدرسة الجوبانية (٧) والمدرسة النبوى الشريف سنة ٨٨هـ/ ١٤٨١م، بعد هدم كل من المدرسة الجوبانية (٧) والمدرسة

<sup>(</sup>١) يسرى أحمد زيدان، دور الهنود في الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، ص ٢٤٧.

<sup>(</sup>٢) عمر بن فهد، إتحاف الوري، ج ٣، ص ٦٤٣؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٤.

<sup>(</sup>٣) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٩٨.

<sup>(</sup>٤) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٤٣؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧٧.

<sup>(</sup>٥) محمد على فهيم بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص٧.

<sup>(</sup>٦) ابن شاهين الظّاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، ص ٢٠٧.

 <sup>(</sup>٧) المدرسة الجوبانية: بنيت بأمر جويان بن تدوان اتابك العساكر المغولية نائب السلطان المغولى أبو سعيد
 ابن خربندا في مناطق آسيا الوسطى سنة ٤٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م قتل على يد أبى سعيد سنة ٨٧٤هـ/ ١٣٢٧م وموقعها كان دار عبد الله بن مكمل غربى المسجد النبوى وقد خصصت غرفة بها لتكون مدفئاً له وأنفق

الغياثية وبنى مكانهها المدرسة والرباط والحهام وكتاب للأطفال فيها بين باب السلام وباب الرحمة من أبواب المسجد النبوى الشريف(١٠).

والرأى الراجح أن إنشاء تلك المدرسة كان بعد الحريق الذى حدث للمسجد النبوى الشريف في سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، حيث إنه لو كان إنشاؤها كها ذكرت بعض الروايات سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٧٧م أو ٨٨٨هـ/ ١٤٧٨م لكانت قد تأثرت بها وقع للمسجد النبوى من حريق سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨١م، وخاصة أنها كانت مجاورة للمسجد بين بابى السلام والرحمة، إلا أن أى من المعاصرين لم يذكر ذلك وخاصة السمهودى، مما يؤكد ما دللنا عليه، كها يمكن القول إنه ربها شرع السلطان قايتباى فى بناء مجموعته المعارية فى سنة ٩٨٨هـ/ ١٤٧٧م، وأخذ بناء تلك المجموعة عدة سنوات، وربها كان الانتهاء منها سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٧م، وأخذ بناء تلك المجموعة عدة سنوات،

على أنه يمكن القول إن من ذكر من المؤرخين أن بناء مدرسة السلطان قايتباى فى المدينة كان فى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٧٧م، فلا بد أنه قد اختلط عليه الأمر بالتداخل بين ما قام السلطان قايتباى بإنشائه بين مكة والمدينة، حيث كلف السلطان قايتباى ابن الزمن وسنقر الجالى ببعض الإنشاءات فى مكة، فقاموا بشراء دار الشريفة شمسية بنت عجلان بنت رميثة (ت ٨٨٢هـ/ ١٤١٩م) ورباط المراغى وجزء من رباط السدرة، وبدء فى أعال الهدم سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٧٧م، وتم الانتهاء من ذلك سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٧٩م، وكانت هذه المنشآت عبارة عن مدرسة ورباط وميضأة وسبيل وبيت لتعليم الأيتام، ومن حسن تشييدها وصفت بأنها لا نظير لها فى مكة (٢٠).

على بنائها بسخاء حتى أن المشرف على بنائها شكا له أن طين المدينة غير قابل لعمل الآجر الذى سيستخدم في بنائها فقال: "يحمل ذلك من بغداد على ظهور الجهال" وقد مات سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٢٧م، ولكنه لم يتحقق له قصده بالدفن بها لامتناع أمير المدينة عن دفئه فيها. انظر: السخاوى، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٤٣٣٤ السمهودى، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٧٠٤ ابن فهد، إتحاف السمهودى، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٧٠٤ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ١٨٥.

<sup>(</sup>۱) السمهودي، وفاء الوفا، ج ۲، ص ۷۰۲.

<sup>(</sup>٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٠؛ عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٢١٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٠٧.

<sup>(</sup>٣) الفاسي، الصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣٠؛ عمر بن فهد، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦١٢؛ السخاوي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٠٧.

لذلك يمكن القول إنه اختلط التاريخ على بعض المؤرخين، فخلط بين تاريخ منشآت قايتباي في مكة والمدينة.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن السلطان قايتباى عندما علم بأمر حريق المسجد النبوى الشريف أوقف العمارة في مكة، وأمر بالاتجاه إلى عمارة المسجد النبوي.

وكان لهذه المدرسة شبابيك تطل على حرم المسجد النبوى (۱)، كما كانت المدرسة متصلة بالرباط الملحق بها، والمبنى الذى يشمل المدرسة يتكون من ثلاث طبقات إحداها تحت الأرض، كان بجداره ثلاثون فتحة موزعة على طبقاته، وقد أثارت شبابيك المدرسة المطلة على الحرم اعتراضات بين الكثيرين (۱).

وقامت على السلطان الأشلة في ذلك (٢) – على حسب قول ابن إياس – وأفتى بعض العلماء بأن ذلك لا يجوز فإن حرمة النبى ﷺ ميتًا كحرمته وهو حى (١)، وقد أضيف فيها مئذنة وقرر فيها أربعين طالبًا، وأوقف عليها السلطان عدة قرى في مصر كانت ترسل عوائدها في كل عام نحو ألفي دينار ذهبًا ظلت تحمل لها حتى القرن الثاني عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادي (٥)، كما ألحق بها السلطان قايتباى بعض المرافق الأخرى مثل كتاب للأيتام وسبيل، وقد استمرت المدرسة تؤدى رسالتها حتى العصر العثماني (١).

قام النابلسى بزيارتها سنة ١١٠٥هـ خلال رحلته ووصفها بقوله بأنها: "على شكل قاعة بأربعة أواوين كلها بالحجارة المنحوتة الملونة والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر، وفي وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش مرتفعة يصعد إليها بدرج

<sup>(</sup>١) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٥٥.

<sup>(</sup>٢) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٦٣.

<sup>(</sup>٣) الأشلة: لم أجد لها معنى في القواميس العربية ولعل المقصود بها كها يفهم من سياق المعنى أن المعارضة كانت شديدة على السطان الأشرف ( من جانب عساكر المهاليك )..

<sup>(</sup>٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٦٠ السخاوي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٣ –٦٤٥.

<sup>(</sup>٥) محمد على فهيم بيومى، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص ٧، ٨؛ طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص ٧٧ - ٧٩.

<sup>(</sup>٦) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٠٧، التحقة اللطيقة، ج ٣، ص ٤١، ١١، ١١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٢٩.

ودهليز مبلط وشبابيكها مطلة على داخل الحرم النبوى من جهة الغرب قبالة الحجرة النبوية (١)، وفيها الخلوات للمجاورين ولها شباك مطل على باب السلام"(٢).

لا شك أن السلطان قايتباى هو أكثر سلاطين الجراكسة اهتهامًا ورعاية ببلاد الحجاز، فقد بنى وجدد العديد من المنشآت سواء في مكة أو المدينة، منها في المدينة تجديد وإعادة عهارة المسجد النبوى وبنى المدارس والأسبلة والرباع وغيرها، بالإضافة إلى أعهال البر والخير كبذل الأموال والصدقات لفقراء المدينة وغيرهم.

#### ٦ - المدرسة المزهرية

فى سنة ٩٣هـ/ ١٤٨٧م أنشأها أبو بكر بن مزهر (٢) رئيس ديوان الإنشاء بمصر (١)، وتقع هذه المدرسة قريبة من باب الرحمة أحد أبواب المسجد النبوى الشريف، ذكر السخاوى أنه جاور فيها فى إحدى مجاوراته فى المدينة، فى سنة ٢٠٧هـ/ ١٤٩٧م (٥).

فضلًا عها ذكر كان هناك كثير من المدارس، منها السنجارية مقابل باب النساء، وإن كنا لا نعلم الكثير عن هذه المدارس، فإنه بلا شك أن نظامها لم يكن يختلف عن غيرها، كما أن مدارس المدينة المنورة في فرشها وبنائها لم تختلف عن الكثير من مدارس المدن الإسلامية الأخرى. فقد اشتملت على كل ما يحتاجه طلبة العلم والصوفية ففيها مطبخ وبيت طهارة ومكان للصلاة وإيوانات.

<sup>(</sup>۱) وقع خلاف بين العلماء حول مدرسة السلطان- قايتباى- بالمدينة المنورة في سنة ۱۸۸۷هـ في شعبان وقع الكلام بسبب المدرسة التي أنشأها السلطان بالمدينة المشرفة وجعل لها شبابيك تطل على الحرم النبوى وأنه هل يجوز ذلك أم لا ؟ من العلماء من جوز ذلك ومنهم من حرمه ومنهم من فضل ذلك والأليق أن ذلك لا يجوز؛ لأنه تَنْ معظمًا حرمته حيًا وميتًا ( خبر خلاف العلماء في: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٣، ق ٧، ص ١٩٩٦). انظر: ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذبل الدول، مخطوطة مكتبة بودليان، ج ٢، ق ٧، ص ٢٩٢، ٣٢١.

<sup>(</sup>٢) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٥.

<sup>(</sup>٣) هو أبو بكر بن محمد بن محمد الزين بن البدر الأنصارى الدمشقى يعرف بابن مزهر ولد سنة ( ٨٣١هـ) زار مكة والمدينة المنورة وغيرهما واشتهر بوفرة الذكاء حج غير مرة وله سبيل بمكة ومدرسة ورباط بالمدينة المنورة وفاته سنة ( ٨٩٣هـ). انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ١، ص ٨٨، ٨٩.

<sup>(</sup>٤) أيوب صبرى باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٨٧٥.

<sup>(</sup>٥) السخارى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٦.

وقد فرشت الأرضيات بالحصر أو البسط والسجاجيد التي كان يتم إحضارها من مصر، لما عرف عنها من شهرة في صناعة الحصر(١).

كذلك كان لكل مدرسة الأوقاف المخصصة لها، يصرف من ريعها على رواتب المدرسين والطلاب واحتياجات معيشتهم، فضلًا عن صيانة المدرسة، وكان عندما يقل ريع هذه الأوقاف يقل عدد الطلاب، وقد تغلق المدرسة أبوابها(٢).

## ( ٤ ) بيوت الصوفية في المدينة المنورة<sup>(٦)</sup>

بالإضافة إلى المسجد النبوى والمدارس فى المدينة المنورة، كانت هناك أيضًا الأربطة والزوايا والخانقاوات، وقد أدت هذه البيوت دورًا ثقافيًا كبيرًا، إذ كان يعتبر كل منها بمثابة وحدة ثقافية قائمة بذاتها، يدرس بها الفقراء كثيرًا من العلوم سواء فى الفقه

<sup>(</sup>١) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٠١؛ عبد اللطيف إبراهيم على، المكتبة المملوكية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٤٣.

 <sup>(</sup>٢) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٦٠.

<sup>(</sup>٣) الرباط: اختلف معناه حسب الظروف والأحوال التي مرت بها الدولة الإسلامية ففي أول الأمر عندما كانت الدولة في حالة غزو وجهاد في سبيل الله أطلق الرباط على المكان الذي يرابط فيه جنود المسلمين للجهاد في سبيل الله وبعد ذلك صار يطلق على المكان الذي يرابط فيه الصوفية للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والتوبة ومجاهدة النفس، ثم تطور بعد ذلك ليصبح مأوى للعاجزين والنساء والمطلقات واليتامي والفقراء ومسكنًا للفقهاء وأحيانًا لكبار العلماء وبذلك أصبح يؤدى خدمات اجتماعية ودينية وثقافية. انظر: سحر بنت عبد الرحمن الصديقي، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٢٩. الخانقاه: هو الاسم الفارسي لكلمة ربط بالعربية ومعناها الدار أو البيت وقد جرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر وعدد من الصوفية وقد اختلف عددهم في كل خانقاه حسب اتساعه وربع أوقافه فتراوح عددهم بين مائة صوفي وعشرة نفر من الصوفية، واعتبرت مشيخة الخوانق من الوظائف التي يتولى يصدر بها قرار من السلطان وكل خانقاه يعامل شيخها في المكاتبة السلطانية حسب أهمية الخانقاه التي يتولى مشيختها، انظر: سحر بنت عبد الرحمن الصديقي، أشر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، مسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة،

الزوايا: هى فى الأصل ركن البناء وكانت تطلق فى بادئ الأمر على صومعة الراهب، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصل تفريقًا بينها وبين الجامع ولا يزال هذا المعنى مستمرًا فى كثير من البلاد الإسلامية إلا إنه فى شهال إفريقيا له معنى أكثر شمولًا فهو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع دينى وهى تشبه اللير أو المدرسة، ثم أصبح استعهالها مقتصرًا على المساجد الصغيرة فى المشرق الإسلامى منذ العصور الوسطى. انظر: سحر بنت عبد الرحمن الصديقى، أشر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٢٥- ٣٤.

أو علوم القرآن أو الحديث أو علوم العربية والسيرة والأدب، ويقوم مشايخ الصوفية بتدريس مختلف هذه العلوم(١).

تتشابه الكثير من هذه البيوت فيها تقوم به، لذلك سوف يقتصر الحديث على الأربطة ودورها في الحركة العلمية والثقافية في المدينة المنورة، ووجد في المدينة المنورة عدد كبير من هذه البيوت، بعضها قبل عصر الجراكسة واستمر دورها، وبعضها أنشئ في عصرهم ومن أهمها:

#### ١ - رباط ناظر الخاص

فى سنة ١٧٩هـ/ ١٣١٩م أنشأ الفخر ناظر الخاص هذا الرباط فى مقابل دار معاوية، وبابه يطل على سوق المدينة (٢)، وفى سنة ٣٠٨هـ/ ١٤٠٠م قام بيسق الظاهرى (٣) بتجديد هذا الرباط وبنائه خلال حجه (١٤٠٠).

#### ٢ - رباط المغاربة

يعرف برباط سيدنا عثمان بن عفان رَضَيَلِثَةَ وكان هذا الرباط موقوفًا على طلاب العلم من المغاربة ويلازم فيه الفقراء من المغاربة، كذلك سمى برباط دكالة، وهو رباطان أحدهما للرجال والآخر للنساء (٥٠).

## ۳ - رباطی ریحان الهندی

أقام الخادم الهندى ريحان(١) في المدينة المنورة رباطين عم النفع بها، وهو أحد خدام

<sup>(</sup>١) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١١٨.

<sup>(</sup>۲) السمهودي، وفاء الوفا، ج ۲، ص ٧٢٣.

<sup>(</sup>٣) الأمير بيسق عبد الله الشيخى الظاهرى: الأمير أخور الثانى أحد أمراء الطبلخانات وأمير حاج المحمل سنة ٨١١ هـ نفى إلى بلاد الروم فى الدولة المؤدية وله آثار بمكة والمدينة وكان يحبًا للهال مع البر والصدقة وتوفى فى القدس سنة ٨٢١هـ انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٢، ٢٣، ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، ج ١، ص ٢٠٠.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٥.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٣١؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٥.

<sup>(</sup>٦) ريحان المندى: كان يشتغل بخدمة المسجد النيوى وهو عب للخير حس بره على الصالحين يتصف بعلو الممة في العيارة توفى بعد العشرين وسبعانة. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٧٧، ٧٣.

المسجد النبوى الشريف، كان مشهورًا بكثرة المعروف ومآثره حسنة في المدينة المنورة (١٠)، منها رباطان وسقاية عم النفع بها، وتوفي بعد العشرين وسبعمائة من الهجرة (٢٠).

#### ٤ - رباط الشسترى

أنشأ هذا الرباط الشيخ شمس الدين الشسترى، ذكر السمهودى أن هذا الرباط كان في مقابلة بيت وزقاق، وعن طريقها يصل الناس إلى الرباط<sup>(٢)</sup>.

## ه - رباط السبيل

هذا الرباط للقاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري، في موضع دار عمرو بن العاص، وكان يسكن هذا الرباط الرجال(١٠).

#### ٦ - رباط غياث الدين

أقام هذا الرباط غياث الدين سلطان بنجالة فى سنة ١٤١٨هـ/ ١٤١١م، وذلك فى مكان دار مروان بن الحكم، التى كانت شارعة فى ناحية رحبة القضاء بجانب باب السلام(٥).

## ٧ - رباط المراغى

أنشأ هذا الرباط قاضى القضاة أبى بكر المراغى (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)(١٠).

<sup>(</sup>١) يسرى أحمد زيدان، دور الهنود في الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين الماليك، م ١، ص ٢٤٩.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٧٢.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٠ السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢، ص ٦٩٥.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٥؛ السمهودي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٩٠، ١٩٤.

<sup>(</sup>٥) السمهودي، خلاصة الوقاءج ٢، ص ٩، ١٠.

<sup>(</sup>٦) أبو بكر المراغى: هو أبو بكر بن الحسين بن عمر العثمانى زين الدين الشافعى نزيل طيبة توفى سنة ١٦٨هـ/١٤١٣م، وله مؤلفات عديدة فى الحديث والفقه. انظر: المقريزى، السلوك، ج ٢، ص ٢٣٠٠ السخاوى، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٢٨٠.

## ۸ - رباط ابن أبي شاكر

أنشأ هذا الرباط في أواخر سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م ابن أبي شاكر(١٠).

## ٩ - رباط زوجة السلطان الأشرف إينال

أنشأت زوجة السلطان إينال هذا الرباط في المدينة المنورة، حين حجت في سنة المشات روجة السلطان إينال هذا الرباط في المدينة، وأنشأت ميضأة في الرباط نفسه، وخصصته للنساء المنقطعات والأرامل(٢).

#### ١٠ - رباط السلطان قايتباي

أنشأه السلطان الأشرف قايتباى بجوار مدرسته بالمدينة المنورة (١٠)، حيث أمر في سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م الخواجة شمس الدين بن الزمن بإنشاء رباط ومئذنة ومدرسة، وذلك في أعقاب الحريق الذي حدث للمسجد سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م (١٠)، وكلها تشرف على المسجد النبوى بين باب السلام وياب الرحمة، فقام شمس الدين بن الزمن بهدم دار الشباك والمدرسة الجوبانية وأقام المدرسة، ثم قام بشراء منازل آل عباس وبنى الرباط وربطه بالمدرسة، وبنيت كل من المدرسة والرباط على ثلاثين كمرًا وللبناء ثلاث بوابات كبيرة.

كان فى البداية الرباط والمدرسة يقعان جهة القبلة؛ حيث بدأ العمل على هذا الأساس، ولكن تغير الحال، وتم تزين كل منها بالزجاج الملون وشبكت أطرافها الخارجية بالأسلاك النحاسية، وبنى الرباط بالقرب من باب السلام مكان الميضأة التى كانت موجودة، وأقيم أمام الرباط سبيل وحمام وعمل طاحونة مع تأسيس فرن

<sup>(</sup>۱) ابن العهاد، أبو الفلاح بن عبد الحى بن أحمد الحنبلى ت ۱۰۸۹ هـ، شذرات الذهب بأخبار من ذهب، الجزء السابع، القاهرة، د. ت.، ص ۱۲۰.

<sup>(</sup>٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٦٠.

<sup>(</sup>٣) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٤٥.

<sup>(</sup>٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٩٦؛ السمهودي، وفاه الوفا، ج ٢، ص ٧٠٢.

لعمل الدشيشة، وكل ذلك في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م (١)، وقد تم الانتهاء من الرباط وغيره من مدرسة ومئذنة وحمام وكتاب وسبيل، وكلها باسم السلطان قايتباى سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م (٢).

## ( ٥ ) منازل العلماء في المدينة المنورة

كانت بداية التعليم في الإسلام في المنزل، قبل أن ينشأ المسجد وغيره من المدارس، وتعد بعض بيوت العلماء في المدينة المنورة مكانًا شهد نشاطًا علميًا متخصصًا، ولا سيها في قراءة القرآن الكريم وتعليمه (٢٠)، فكانت منازل العلماء مراكز تعليمية يؤمها بعض طلاب العلم للاستزادة منهم أو للتخصص في بعض العلوم النادرة (١٠)، وكان للمرأة نصيب كبير من التعليم في المدينة، مما جعل لها دورًا في ازدهار الحياة العلمية والثقافية، لذلك وجب توضيح هذا الدور.

## \* تعليم المرأة ودورها في الحياة العلمية والثقافية

فى المدينة المنورة خلال عصر سلاطين الجراكسة كان النشاط العلمى للمرأة أكثر وضوحًا، إذ تبوأت المرأة مكانة عالية فى مجال التعليم، يدل على ذلك كثرة الألقاب التشريفية التى أطلقت على كثير من نساء ذلك العصر (٥٠)، حبث وجد نساء مشهورات فى الفقه والأحاديث والشعر مع الكتابة بشكل جيد، ليس فى المدينة وحدها بل فى العديد من مدن الحجاز (١٠).

<sup>(</sup>۱) ابن إياس، بائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٦٠.

<sup>(</sup>٢) عدنان على الفراجي، الحياة الفكرية في المدينة المنورة، ص ٧١.

<sup>(</sup>٣) على سالم النياهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٢٧١.

<sup>(</sup>٤) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٥.

<sup>(</sup>٥) أحد محمد عدوان، المكانة العلمية للمرأة فى أرض الحرمين الشريفين، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ، ص ١١٠.

<sup>(</sup>٦) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٩١،٩٠.

وأخذ كثير من طلبة العلم ومشايخه من الذين وفدوا على المدينة المنورة عن كثيرات منهن، يدل على ذلك عبارات كثيرة مثل "روى عنها" و"قرأ عليها" و" درست على جملة من مشايخ عصرها "و" أخذ عنها جملة من العلماء الأعلام "و"تردد إليها كثير من طلبة العلم". ورغم تشابه هذه العبارات فإنها تدل على نشاط المرأة العلمى (١٠)، ومن الأمثلة على ذلك "رقية المدنية" التى أجازت لكثيرين من مشاهير العلماء في عصرها (٢).

وحصلت المرأة على إجازات علمية شفوية أو مكتوبة مثلها مثل الرجال (٢)، والتى غالبًا ما تكتب على الكتاب الذى أجازه الشيخ لتلميذه، وهناك الإجازات التى تكتب في كراسة يكتبها الشيخ بخطه وباسمه الشخصى، والتى تتضمن صفة صاحب الإجازة أو صاحبتها والألقاب الشريفة التى يرى الشيخ بأن تلميذه يستحقها.

لم تكتف الكثيرات بالحصول على إجازة واحدة، وإنها تعددت الإجازات لهن، فهناك إشارات كثيرة تقول: "وأجاز لها كثيرون " أو " أجاز لها جماعة "، فمثلًا الشيخة كهالية ابنة على بن أحمد النويرى حصلت على إحدى وثلاثين إجازة، ويذكر ابن فهد بعد ذلك: "وأجاز لها آخرون "(1).

<sup>(</sup>١) فقد قرأ السخاوى على ابنة عبد الله بن على بن محمد... ثلاثيات مسند أحمد... وقد حدثت وسمع منها فضلاء. انظر: السخاوى في الضوء اللامع.

<sup>(</sup>۲) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٨، ص ٩ ٢٠.

<sup>(</sup>٣) الإجازات

الأول: إجازة معين لمعين وهذا أرفع أنواع الإجازة المجردة عن المناولة.

الثاني: أن يعين الشخص المجاز له دون الكتاب المجاز.

الثالث: أن يعم المجازله فلا يعينه كقوله: "أجزت للمسلمين أو لكل أحد... ".

الرابع: الإجازة للمجهول أو بالمجهول.

الخَّامس: الإجَّازة المعلَّقةُ بِالمُشْيِّئة.

السادس: الإجازة للمعدوم وهي على قسمين:

<sup>-</sup> أحدهما: أن يعطف المعدوم على الموجود كقوله:"أجزت لفلان ولولده ما تناسلوا "

<sup>-</sup> الأخر: "أن يخصص المعدوم بالإجازة من غير عطف على موجود كقوله: " أجزت لمن يولد لفلان". السابع: الإجازة لمن ليس بأهل حين الإجازة للأداء والأخذ عنه.

الثامن: إجازة ما سيحمله الميز عالم يسمعه قبل ذلك.

التاسع: إجازة المجاز كقوله:"أُجَزتُ لك مجازاتي ونحو ذلك "

انظر: الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٢٠٨هـ)، شرح فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٠٠.

<sup>(</sup>٤) أحمد محمد عدوان، المكانة العلمية للمرأة، ص ٢٤ - ٢٦.

لم يقتصر الأمر على ذلك بل كان للنساء نصيب فى منح الإجازات العلمية، ومنها الإجازة التى حصل عليها ابن رشيد الرحالة المعروف من امرأة تسمى أم الخير فاطمة البطائحى، التى جاءت للحج وجلست فى المسجد النبوى، وتصدت للتدريس به وأجازت لعدد من الطلبة، كان منهم ابن رشيد(١). وشاركت بعضهن فى الأعمال التى لها صلة بالعملية التعليمية، مثل: إنشاء المدارس والأربطة ورعاية الأيتام والفقراء وتعليمهم(١)، ومن ذلك يتضح أن المرأة قد أدت دورًا مهم فى الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة خلال عصر سلاطين الجراكسة

# ثانيًا \_ خزائن الكتب ( المكتبات ) ( ۱ ) خزائن كتب المسجد النبوى الشريف

اهتم حكام المسلمين وسلاطين الماليك وكثير من الأمراء، بخزائن كتب الحرم النبوى الشريف، فقد أوقف الشاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدى سلطان بلاد فارس (ت ٧٨٧هـ/ ١٣٨٣م)، خزانة كتب للمسجد النبوى عندما زار المدينة المنورة، فيذكر السخاوى عن آثاره في المدينة المنورة " الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها فها من طالب مقتبس إلا وهو يستفيد من جواهر زواخرها "(۲).

وعندما زار مؤرخ المدينة الشهير السمهودى القاهرة سنة ١٤٨١م، في عصر السلطان الأشرف قايتباى، أمر السلطان بتعويض مكتبات الحرم النبوى الشريف تعويضًا عما أحرق من كنوز التراث من المصاحف والكتب المدينية المختلفة وغيرها، ترسل في صحبة السمهودى وذلك عند عودته، حيث عوض بأكثر مما كان فيه قبل الحريق.

<sup>(</sup>١) ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٣، ص ٢٠١١ ابن رشيد، ملء العيبة بها جمع بطول الغيبة، ج ٥، ص ٢١.

 <sup>(</sup>۲) أحمد محمد عدوان، المكانة العلمية والاجتهاعية للمرأة في مصر في العصر المملوكي، مجلة العصور، الجزء الأول، المجلد الرابع، دار المريخ للنشر، لندن، جمادى الأولى ١٤٠٩هـ/ يناير ١٩٨٩م، ص ١٥٠.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٩، ٢١٠.

كما عين السلطان ناظرًا للحرم النبوى الشريف ليشرف على إعادة بناء خزائن الكتب في الجدار الشرقى، وصار ناظر الحرم الشريف الأمير الكبير فخر الدين قاسم الفقيه، يباشر أمر بناء الربعات والمصاحف بنفسه ومماليكه، واتخذ لها كراسى صغارًا توضع عليها بالروضة الشريفة في أوقات الصلوات النهارية فيقرأ الناس فيها فعم نفعها(١).

بعث السلطان قايتباى سنة ٩٨٨هـ/ ١٤٨٤م إلى الحرم النبوى الشريف كثير من الكتب في مختلف العلوم العقلية والنقلية، أرسلها مع بهاء الدين أبى البقاء بن الجيعان الذى وصل المدينة في السابع من شهر ذى القعدة من نفس السنة ومعه أحمال كتب العلوم الشرعية وغيرها، وعما أرسله معه مصحف كبير الحجم حمل على جمل بمفرده "مصحف حمايلي"، والذى اعتبر لا مثيل له ومن النوادر على حد قول ابن إياس المؤرخ المعاصر(۱).

كان ازدهار خزائن كتب المسجد النبوى الشريف على مر العصور، بفضل ما قام به كثير من الحكام والسلاطين والعلماء، بتزويد خزائنه بمختلف أنواع الكتب القيمة، وذلك نظرًا لمكانته الروحية في نفوسهم.

#### (٢) خزائن الكتب في المدارس

كان تزويد الخزائن المدرسية بالكثير من الكتب تلبية لحاجة المدرسين والطلاب، حيث أوقف عليها كتب في مختلف أنواع المعرفة، كما خصصت لتلك الخزائن أماكن في المدارس، فلا نجد مدرسة إلا وخصص بها مكانًا داخل تصميمها المعارى ليكون خزانة لكتبها<sup>(۱۲)</sup>، في وسط بناء المدرسة بين الإيوانات الأربعة أو بين الإيوانين، إذ كانت المدرسة مبنية من إيوانين فقط، حتى يسهل الوصول إليها، وغالبًا ما كانت خزانة الكتب مكانها إيوان القبلة. ولعل السبب في ذلك أن تكون كتبها في متناول الجميع من العلماء والطلبة الدارسين في مختلف الإيوانات (١٠).

<sup>(</sup>١) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٤٤.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، وفاء الوفاءج ٢، ص ٩٩٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٩٩٠.

<sup>(</sup>٣) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

<sup>(</sup>٤) على السيد على، المرجع نفسه، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

نالت مدارس المدينة المنورة نصبيًا من وقفيات الكتب، فقد أوقف محيى الدين ابن زكريا الحوراني خزانة للكتب عظيمة على المدرسة الشهابية (۱۰ التي أشاد بها السخاوى بقوله: "بها من الكتب ما لا يحصى (۱۰ كما قام السلطان مظفر شاه ( ۹۱٦ - ۹۲۲ هـ/ ۱۵۱ - ۱۵۲ م) سلطان دولة الكجرات بالهند بتزويد الخزائن بالكتب حيث كان له اهتهام بالعلم (۱۰ .

واحتوت خزائن الكتب على كتب فى مختلف العلوم " لتخدم القراء من الفقهاء والعلماء والأدباء والدارسين للفقه وأصوله على المذاهب الأربعة وعلوم القرآن والتفسير والحديث والقراءات والتاريخ والأدب والتوحيد والفرائض واللغة والطب والمنطق والمندسة والحساب والجبر وغيرها من العلوم"(۱).

وكان يوجد فى بعض مدارس المدينة المنورة خازن للكتب، والذى يعتبر من أهم موظفى خزائن الكتب، كما أنه في بعض الأحيان كان يتولى شئون هذه الوظيفة أحد كبار العلماء، فقد ولى السلطان قايتباى، المؤرخ السمهودى الإشراف على خزانة الكتب في المدرسة الأشرفية، التى بناها السلطان في المدينة المنورة (٥٠).

## (٣) خزائن الكتب في بيوت الصوفية

لم تكن خزائن الكتب قاصرة على المسجد النبوى الشريف والمدارس فى المدينة المنورة فى عصر سلاطين الجراكسة، بل كانت موجودة داخل الأربطة والزوايا والخانقاوات من بيوت الصوفية، التى كانت منتشرة بكثرة بالمدينة، وبداخلها أعداد كبيرة من الطلبة والمشايخ.

<sup>(</sup>١) الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص ٤٣٥.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٤.

<sup>(</sup>٣) عبد الغنى محمود عبد العاطى، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والماليك، ص ٣٢.

<sup>(</sup>٤) عبد الوهاب عزام، اهتمام المسلمين بدور العلم وخزائن الكتب، مجلة جامعة الملك سعود، العدد الثاني، السنة الثانية، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م، ص ١٣.

<sup>(</sup>٥) حد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة، ص ٧٢.

يذكر السخاوى أن عدد الأربطة حول المسجد النبوى، كانت أكثر من أربعين رباطًا(١)، وذلك فى أواخر القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى، ولا شك أنه قد تم وقف الكثير من الكتب على تلك البيوت، لكى يستفيد منها طلبة العلم والمشايخ(٢).

#### (٤) خزائن الكتب الخاصة (خزائن العلماء)

وجد بالمدينة المنورة عدد كبير من العلماء سواء المقيمون أو القادمون إليها، ومنهم من تميز بالغنى والثراء (٢) فامتلك خزائن خاصة للكتب، منهم رشيد بن عبد الله شهاب الدين الفقيه المتدين المتعبد، كان يصطحب العلماء ويأخذ عنهم ويشترى كتب العلم ويوقفها عليهم (١)، كما أوقف إبراهيم بن رجب بن حماد العارى السلمانى الشافعى كتب نفيسة على المسجد النبوى، حيث كانت لديه خزائن للكتب (١٠).

كما تميزت المدينة المنورة بجذبها لعدد كبير من مثقفى ذلك العصر، كان منهم الشغوف باقتناء الكتب، فضلًا عن تأسيس مكتبات خاصة بهم (٢)، وقد كان لهذه الخزائن الخاصة دور كبير في المحافظة على ذخائر الكتب ونوادر المخطوطات.

أشار السخاوى أن بلاد الحجاز فى العصر المملوكى عرفت الفهرسة الخاصة بالكتب فى خزائنها، وكانت معظم خزائن الكتب فى المدينة المنورة، تحتوى على دواليب كبيرة وصغيرة، لضخامة أعداد الكتب فيها، وكان على كل منها ورقة بعناوين الكتب التى تحتويها هذه الدواليب، بالإضافة إلى أرقامها، حيث كان يكتب عنوان الكتاب واسم

<sup>(</sup>١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٧.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٥.

<sup>(</sup>٣) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٦٧.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ٢، ص ٦٤، ٦٥.

<sup>(</sup>٥) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٤.

<sup>(</sup>٦) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٦٩.

المؤلف على كعب الكتاب المجلد، بل وعلى أطراف الصفحات مجتمعة، ليسهل على المناول التعرف عليها(١).

### (٥) أسواق الكتب

أدى ازدهار الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة في عصر الجراكسة، إلى نشاط تجارة الكتب، ووجود مجموعة من الأسواق والمتاجر الخاصة بالكتب، يأتى إليها العلماء وطلاب العلم، كان لها صفة الدوام، ووجد أيضًا مراكز للنسخ والتجليد ساعد على ازدهارها هذا العدد الكبير من المدارس والأربطة وغيرها(")، وللدلالة على كثرة الكتب في المدينة وتنوعها، ما ذكر من أنه: "ما من عالم صنف كتابًا بالمشرق أو بالسند أو بالهند أو العراق أو غيرها من الأقاليم إلا يصرف نسخة للمدينة المشرفة تبركًا ورجاء الإقبال على كتبه "(").

يتبين مما ذكر قدر ما بذل فى سبيل العناية بالكتب، والتنافس على اقتنائها والتفاخر بها، وبذل النفائس فى سبيل تحصيلها، وكد النساخ فى نسخها، وافتنان الوراقين فى تجليدها، وكل ما قام به الخلفاء والسلاطين فى إنشاء الخزائن لها، وتسهيل قراءتها لكل راغب(1).

## ثالثًا \_ أنواع العلوم

قسم الفقهاء العلم إلى قسمين عدوه فيهما فرضًا، فقالوا إن العلم الذى هو فرض عين، هو ما يجب أن يتعلمه كل مسلم من أمور دينه ومعاشه، وهو الذى ورد في حديث

<sup>(</sup>١) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٤٤؛ انظر أيضًا: صحر بنت عبد الرحمن الصديقى، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٥٩.

<sup>(</sup>٢) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

<sup>(</sup>٣) عمد المنوني، الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، د. ت.، ص ٢٠١.

<sup>(</sup>٤) عبد الوهاب عزام، اهتمام المسلمين بدور العلم وخزائن الكتب، ص١٢.

النبى رَسِيْ الطب العلم فريضة على كل مسلم "(۱)، وقال عنه المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة، إذ بها يتوصل إلى العلوم كلها، وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام "(۲)، أما العلم الذى هو فرض كفاية، فهو العلم الذى " لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب...، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين... "(۲).

وقد تعددت العلوم التي وجدت في دور العلم في المدينة المنورة، وتناولها العلماء بالتدريس والطلاب بالتعلم ولعل منها:

## أ - العلوم النقلية

## (١) علوم القرآن الكريم

كان القرآن الكريم أول العلوم التى وجدت اهتهامًا كبيرًا، خاصة أنه مرتبط بفريضة الصلاة التى يجب تعلمها (١٠)، كها ظهرت الكثير من العلوم ذات الصلة به، منها علوم التفسير والقراءات وغيرها (٥)، واحتلت القراءات السبع والقراءات العشر (١) مكانًا

<sup>(</sup>۱) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ۲۰۹ – ۲۷۳هـ سنن ابن ماجه، الجزء الأول، الطبعة الأول، تقيق/ بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٨١.

<sup>(</sup>٢) الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ت ٥٠٥هـ، إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، د. ت، ص ١٤ - ١٦.

<sup>(</sup>٣) أحمد نؤاد الأهواني، التربية في الإسلام والتعليم في رأى القابسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٩٢.

<sup>(</sup>٤) أحمد عمد عدوان، المكانة العلمية للمرأة، ص ٢٧.

<sup>(</sup>٥) عدنان على الفراجي، الحياة الفكرية في المدينة المنورة، ص ٤٤.

<sup>(</sup>٦) القراءات السبع: يقرأ القرآن بسبع طرق تواتر نقلها وتنسب إلى من اشتهر بروايتها وهي أصول القراءة وزيدت بعد ذلك طرق أخرى لحقت بالسبع حتى وصلت إلى أربع عشرة رواية. انظر: على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٧٩.

القراء السبع: أي أصحاب القراءات للقرآن الكريم وهم:

۱ – نافع. ۲ – ابن کثیر.

٣- أبو عمرو بن العلاء.
 النجود.
 ٦- هزة الزيات.
 ٧- الكسائي.

٤ - عبد الله بن عامر. ٥ - عاصم ابن أبي النجود.

كبيرًا عند العلماء والطلاب الدارسين لهذا العلم، ساعد على ذلك كثرة مشاهير علمائه في المدينة المنورة (١).

من علماء القراءات في المدينة المنورة عصر الجراكسة، الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن صالح بن إسهاعيل الكناني المدنى، لقب بشمس الدين بن شمس الدين المدنى المدنى، لقب بشمس الدين بن شمس الدين وسبعائة بالمدينة ونشأ بها، وحفظ كتبًا في فنون من العلم وقرأ القرآن بالروايات السبع أو بعضها على والده، وأذن له في الإقراء بذلك، وسمع الحديث من قاضي المدينة بدر الدين عبد الرحمن في الحكم والخطابة والإمامة بالمدينة المنورة، وكان ذا نباهة في الفقه وغيره وفيه خير وديانة، قدم مكة غير مرة للحج والعمرة وقدم في أول المحرم سنة أربع عشرة وثمانهائة، فأدركه الأجل بها بعد قضاء نسكه في أول صفر سنة أربع عشرة ودفن بالمعلاة، وهو سبط القاضي بدر الدين عبد الله بن محمد بن فرحون المدنى "(۱).

ومنهم الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافى الحسينى، كان من قراء الحرمين وأحد شيوخ القراءات العشر (ت ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨ م) (٦٠). أخذ علم القراءات فى المدينة المنورة عن عمد الكيلانى، وفى مكة المكرمة عن الشهاب الشوائطى، وهم من كبار مشاهير هذا العصر فى القراءات (١٠). ومن ذلك يتضح أن المشتغل بعلم القراءات يتحتم عليه حفظ القرآن الكريم والإلمام بالنحو والصرف والفقه والقراءات السبع أو العشر المعروفة، بالإضافة إلى علوم أخرى مساعدة مثل: السيرة والتاريخ وأصول الدين والحساب (٥٠).

والقراءة إفرادًا أن يقرأ لكل واحد من المذكورين ختمًا كاملًا على مذهبه، ثم يقرأ ختمًا جمعًا وكيفية قراءة الجمع أن يقرأ الآية على مذهب قارئ، ثم يعيد قراءتها على مذهب قارئ آخر حتى يأتى على أوجة قراءات هؤلاء القراء السبعة في آية واحدة ثم يأخذ في قراءة الآية التي تليها. انظر: محمد أحمد الدهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٢٢.

<sup>(</sup>١) أحمد هاشم بدر شيني، أثـر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة، ص٥٦.

<sup>(</sup>٢) الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٩٤، ٢٩٤.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ١٤، ١٥.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠١.

<sup>(</sup>٥) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٩٨.

وبالنسبة إلى التفسير فقد وجد في أواخر عصر الماليك، عبد المعطى بن أحمد بن محمد السخاوى المدنى، وصفه بابا التنبكتي فقال: "الفقيه العالم المصنف الجامع"، وله تفسيره المسمى " فتح الحميد " في ستة أجزاء (١).

## ( ۲ ) الحديث النبوى الشريف

ازدهر علم الحديث في المدينة المنورة في عصر سلاطين الجراكسة، بفضل العلهاء المقيمين فيها والقادمين إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وقد تميز في علم الحديث في المدينة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الحجندي المدنى الحنفي، أبو محمد بن العلامة جلال الدين أبي الطاهر ( ٧٧٩- الحجندي المدنى الحديث عن ابن صديق والمراغى، وكذلك أجاز له التنوخي وابن الذهبي، وقام بشرح الأربعين النووية، وكان له نظم ونثر، مات بالمدينة المنورة، وقد جاوز السبعين من العمر.

كذلك الشيخ محب الدين أبو المعالى المطرى ( ٧٨٠-٥٥هـ/ ١٣٧٨-١٤٥٦م)، هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خليف بن عيسى بن عباس ابن بدر بن على بن يوسف بن عثمان، ابن قاضى القضاة الرضى بن حامد الأنصارى الحزرجى الأصل المدنى الشافعى، سبط الزين أبى بكر المراغى، ويعرف بالمطرى، ولد في المدينة المنورة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم والمنهاج، وسمع الحديث على الجمال الأسيوطى والبرهان بن فرحون والقاضى على النويرى والزين العراقى وجده، ولما سافر إلى القاهرة سمع بها على الجمال الحفيلى، كما زار بيت المقدس، وقد أجاز له كل من التنوخى وابن الذهبى وغيرهم، وهو من مشاهير علماء المدينة وقد مات بها(٢).

منهم الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الجلال أبو الطاهر بن الشمس ابن الجلال بن الجمال الخجندي المدنى الحنفي (ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)، من كبار

<sup>(</sup>١) بابا التنبكتي، أبو العباس أحمد باب بن أحمد ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الطبعة الأولى، تحقيق/ عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٨٧.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، التبر المسبوك، ص ١٦،، ٤١٧.

علماء الحديث في عصره، له تصنفات كثيرة منها شرح البردة وشرح الأربعين النووية والأربعين التوحيدية المسمى بالأنوار التغريرية في شرح الجوامع الأربعينية (١٠).

كها وجد بعض من نساء المدينة المنورة اهتممن بدارسة الحديث النبوى، منهن فاطمة ابنة أبى اليمن درست الحديث في المدينة المنورة (٢٠)، كها خرج السخاوى أربعين حديثًا لأنسى ابنة عبد الكريم بن أحمد (٢).

#### (٣) الفقه

علم أحكام التكاليف الشرعية كالعبادات والمعاملات، وما يتصل بالأمور الدنيوية من قضائية وسياسية وحربية (١)، اهتم علماء المدينة المنورة اهتمامًا كبيرًا بعلم الفقه، كما كان لانتشار المذاهب الفقهية الأربعة أثره في ازدهاره، وأول هذه المذاهب انتشارًا المذهب الشافعي، مما يفسر كثرة مصنفات فقهاء هذا المذهب مقارنة بالمذاهب الأخرى، حيث شجع سلاطين المهاليك أصحابه بالأموال التي تم وقفها عليهم، كما قصروا بعض المناصب الدينية على علماء الشافعية، مما جعل الكثيرين يتحولون إليه، كما تميز إمام المذهب الشافعي ببدئه الصلاة في الحرم النبوى الشريف (٥).

ممن تميز في علم الفقه في المدينة عصر الجراكسة القاضى تاج الدين الأنصارى (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، وهو عبد الواحد بن عمر بن عباد، أخذ الفقه والعربية عن البدر بن فرحون، حتى صار من المعتبر بهم في المدينة، وقد اختصر " مغنى اللبيب " في كراريس، سماه " المدنى إلى فوائد المغنى "، كما كان من كبار القضاة بالمدينة المنورة.

ومنهم الشيخ إبراهيم بن على بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)، ولدونشأ بالمدينة المنورة تعلم الفقه وبرع فيه، كما صنف وجمع الكثير، وتولى قضاء المدينة، وتعددت

<sup>(</sup>١) السخاوى، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٢٥٣.

<sup>(</sup>٢) السخاوي المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٤٨،٥٤٧.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٢، ص ١١،١٠.

<sup>(</sup>٤) سيد سابق، فقه انسنة، الجُزء الأول، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٦٥ هـ، ص ١٢.

<sup>(</sup>٥) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقــاف الحرمين الشريفين، ص ٣٨٥، أثــر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة، ص ٨٤.

مؤلفاته، منها كتاب في الأحكام، وآخر في طبقات المالكية سياه " الديباج المذهب "، وتوفى بالمدينة قرابة السبعين من عمره.

منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خلف الخزرجى المدنى، أبو حامد رضى الدين بن تقى الدين بن المطرى (ت ١٤٠٨هـ/ ١٤٠٨م)، ولد فى المدينة المنورة سنة ٢٤٧هـ/ ١٣٤٥م، كان بارعًا فى الفقه، كها كان حسن الخط وله نظم، وكان مؤذنًا للمسجد النبوى الشريف، وتولى قضاء المدينة المنورة قبل وفاته.

من فقهاء المدينة الشيخ طاهر الخجندى، كان واحدًا من كبار الفقهاء في المدينة في ذلك العصر، وهو طاهر بن أحمد بن محمد الشيخ عز الدين أبو المعالى بن الشيخ جلال الدين الخجندى المدنى الحنفي (ت ٨٤ ٨٥هـ/ ١٤٣٧م)، ولد في المدينة المنورة في سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، سمع الفقه على أبيه وغيره من الفقهاء، وكان بارعًا في الفقه والأصول والنحو، ومن أعيان فقهاء الحنفية المعدودين في المدينة المنورة حتى وفاته(١٠).

ومن كبار علماء الفقه في المدينة المنورة الشريف السمهودي ( ت ٩٩١ مه/ ١٥٠٥ م) مؤرخ المدينة، قال عنه السخاوي " وبالجملة فهو جمال لأهل المدينة عالم مفنن في الفقه والأصلين مع نظم ونثر، متوجه للعبادة وإرخاء العذبة، مديم للمطالعة والاستفادة والكتابة، بحيث ارتقى عها كان يعهد منه، وأمره في ازدياد وتأليفه كثيرة التعداد، وللمباحثة والمناظرة قوى الجلادة على ذلك طلق العبارة، فيه مغرم به مع قوة نفس وتكلف فيها يظهر له، وقد وقفت له على عدة تصانيف، منها جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم والنسب..."(٢).

#### (٤) العقائد

لم يكن هناك اهتهام بهذا العلم لقلة المشتغلين به، وكانت عقيدة السنة هي السائدة في دولة المهاليك سواء بمصر أو الشام أو الحجاز، حيث كان صدى الخلافات في بحوث

<sup>(</sup>۱) ابن تغرى، المنهل الصانى، ج ٣، ص ٣٦٥.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٢٧ - ٢٣٠.

العقيدة تنتقل بين هذه البلاد، وعمن ألف في هذا العلم (۱)، السمهودي ألف " الأنوار السنية في أجوبة الأسئلة اليمنية " وهي ثمانية أسئلة في العقيدة، وردت من الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجيد اليمني سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، وقد أجاب عنها السمهودي (۱).

كها اهتم بهذا العلم عبد رب النبى بن محمد بن عبد رب النبى المغربى الدمشقى المالكى (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، درس بالحرمين أصول الدين لمبتدئى الطلبة (٣).

### (٥) التاريخ

كان ما سجله مؤرخو المدينة فى عصر الجراكسة مصدرًا أساسيًا لمعرفة أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية، ومن أهم ما كتب عنها فى عصر سلاطين الجراكسة:

- كتاب "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة "لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ترجم فيه لكل ما وصل إلى علمه من أهل المدينة والوافدين إليها منذ عهد الرسول حتى عصره، وكتابه الآخر" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع "(١).

ويمكن التدليل على قدر وعلم السخاوى، من تتبع كتابه "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة "، الذى ألفه خلال مجاورته في المدينة بعد اطلاعه على ما تم تأليفه من كتب عن المدينة المنورة، وهو يبين دافعه إلى تأليفه بقوله: "وكان مما حداني على هذا الجمع الذى تقر به العين ويصغى إليه صحيح السمع، أننى لم أجد فيه مصنفًا يشفى الغليل... مع مسيس الحاجة إليه والتنفس به عن المكروب "(٥). وهذا القول يؤكد رغبته في تغطية

<sup>(</sup>١) أحمد هاشم بدر شيني، أثـر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة، ص ٨٩.

<sup>(</sup>٢) حاجى خليفة ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨م، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، الجزء الأول، تحقيق/ عمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربي، د. ت.، ص ١٩٤.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٩٠.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحفة اللطيَّفة، ج ١، ص ٢٢؛ الضوء اللامع، ج ٨، ص ١٧.

<sup>(</sup>٥) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٨٠، ١٨١.

أوجه القصور فيها سبقه من كتابات عن المدينة المنورة، وقد استفاد السخاوي في كتابه هذا من نور الدين السمهودي، وكتبه عن المدينة المنورة حيث كان معاصرًا له.

وهذا الكتاب لا غنى عنه لكل المهتمين بالبحث فى تاريخ المدينة المنورة منذ ظهور الإسلام وحتى عصره، فقد ترجم فيه لمن قطن فى المدينة من الغرباء ولو لسنة واحدة. فيذكر ذلك بقوله: "توجهت لبيان أحوال أهل طيبة المشار إليها والمخصوصة بالمزيد من الفضائل المنبه عليها، وألحقت فيهم من تخلف عن طريقهم، ولم يتعرف على ما أنعم الله به عليه، ولا تبعهم فى توفيقهم، بل لم اقتصر على هؤلاء، حيث ذكرت من قطنها من الغرباء ولو سنة، بشرط أن يكون درس فيها أو حدث أو أفتى بالطريقة المرضية والسنة الواضحة الحسنة "، وقال: "رجاء أن يكون كتابى بذلك مشتملًا على الخصوص والعموم، وأن يصير كالبدر فى التهام والبحر فى الطموم "(۱).

- ومن أشهر مؤرخى المدينة المنورة، نور الدين على بن عبد الله السمهودى صاحب المؤلفات العديدة في تاريخ المدينة، منها " الوفا بها يجب لحضرة المصطفى "أو " اقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى "، وقد احترق هذا الكتاب قبل إتمامه في حريق المسجد النبوى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م.

ومن مؤلفاته "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى"، لخص فيه ما اطلع عليه من تواريخ المدينة فى مؤلفات ابن زبالة وابن شبه وابن النجار والمطرى والفيروز آبادى وآثارها، ويقدم الكتاب صورة طيبة عن بعض أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأحوال العمرانية للمسجد النبوى وما يحيط به، وما طرأ على تلك المعالم من تغيير خلال العصر المملوكى، كما أن له كتابًا " خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى "٢٠.

- كتاب " تاريخ المدينة " ألفه عبد المعطى بن محمد السخاوى، أوائل العصر العثماني (٢٠).

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٨-٢١.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٤٦.

<sup>(</sup>٣) بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٢٨٧.

- كتاب "عمدة الأخبار في مدينة المختار "ألفه أحمد بن عبد الحميد العباسي، في العصر العثماني وقد عده حمد الجاسر تلخيصًا لكتاب "خلاصة الوفاء " للسمهودي (١١).

#### (٦) الجغرافيا

ومما جاء فى علم الجغرافيا، ما ذكره السمهودى فى الفصل الثامن من كتاب "وفاء الوفا"، واحتوى على بقاع المدينة المنورة وأعمالها، ورتب أسماءها على حروف المعجم (٢)..

## (٧) علوم اللغة العربية

تعتبر علوم اللغة العربية من العلوم الأساسية للدراسات الدينية، وأركانها أربعة "اللغة والنحو والبيان والأدب "، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، فمآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهما بلغة العرب "(۱)، وقد تميز في علوم اللغة على بن محمد بن على بن يوسف، تولى قضاء المدينة المنورة سنة ١٤١٥هـ/ ١٤١٥، له ثقافة كبيرة في العلوم اللغوية، حيث أعطى دروسًا في النحو في المسجد النبوى، وأخذ عنه أبو الفرج المراغى دروسًا، وأخذ عنه أيضًا الشمس محمد بن عبد العزيز الكازرونى النحو والصرف وإعراب القرآن وغيرهم (١٠).

منهم أحمد بن محمد الشهاب بن الكمال الهندى الحنفى (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)، كان عالمًا في النحو والصرف وغيرهما.

منهم البرهان الهندى، وكان ماهرًا فى النحو والمعانى والبيان، تتلمذ على يديه فى هذه العلوم، عالم الحجاز ورئيسه إبراهيم بن على المكى الملقب بابن ظهيرة (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)(٥).

<sup>(</sup>١) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، المقدمة صك.

<sup>(</sup>٢) السمهودي، وقاء الوقاءج ٤، ص ١٣٢.

<sup>(</sup>٣) ابن خلدون، المقدمة، ج ١، ص ١٤٥.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٥٠.

<sup>(</sup>٥) يسرى أحمد زيدان، دور الهنود في الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، ص ٢٥٢.

منهم كما ذكر السخاوى القاضى نور الدين على أبو الحسن الزرندى، توفى ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م أنه "كان إمامًا بارعًا دينًا شهمًا بشوشًا جميل الهيئة بارعًا في العربية والتفسير " تعلم على يد الكثيرين منهم الشمس محمد بن عبد العزيز الكازرونى، أخذ عنه النحو والصرف والمعانى والبيان وإعراب القرآن (١٠).

كها كان للشعر مكانة بارزة فى المدينة المنورة، ومن شعراء المدينة الذين عاشوا فى عصر سلاطين الجراكسة، محمد بن محمد الأنصارى الزمورى، ولد بزمورة فى المغرب سنة ٧٧٧هـ / ١٣٦٨م، ورحل إلى المدينة المنورة وأقام بها(٢)، اشتغل بالعلم والفقه وعلوم العربية، وتوفى بمكة سنة ٥٨٠هـ/ ١٤٥٥م، ومن شعره فى مدح المدينة المنورة.

لا كسالمدينة مسنزل وكسفى بهسا شسرفًا حسلول عسمد بفناها حظيت ببهجة خير من وطئ الثرى وأجلهم قدرًا فكيف تراها(٣).

منهم الشاعر شمس الدين (ت ٥٠٠هـ/ ١٤٦٥م)، وهو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عمد بن العلامة جلال الدين الخجندى الأصل المدنى الحنفى، ولد في المدينة المنورة في ربيع الأول سنة ٥٨٠هـ/ ١٤٠٧م، وحفظ بها القرآن الكريم والأربعين النووية في الحديث وألفية ابن مالك، وتولى منصب الإمامة في المسجد النبوى الشريف، وكتب نظرًا في سرقة قناديل المدينة المنورة سنة ٥٨٠هـ/ ١٤٥٥م، سماه" عجائب القرن فيمن تهجم على قناديل الحجرة "، يقصد الحجرة النبوية الشريفة ومما كتبه:

أمل يطول وفى آجالنا قصر والدهر ينكى وفى الأيام معتبر والنفس فى غفلة عها يراد بها والقلب من قسوة كأنه حجر (1).

<sup>(</sup>۱) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٥٠؛ انظر أيضًا: آمنة حسين جلال، الأسرات العلمية في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، عجلة قطاع الدراسات الإنسانية، المجلد الثاني، العدد الرابع، يونيو ٢٠٠٩م، ص ٥٣٩.

<sup>(</sup>٢) بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٢٥١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٢٥٢.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٢٥٢.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيقة، ج ٣، ص ٤٥٠، ٤٥١.

ووجد عدد من النساء لهن اهتهام به، منهن آمنة بنت عثمان بن أحمد بن عثمان ومن شعرها

لا يكون الأمر سهلًا كله إنها الدنيا سهول وحزون هون الأمر تعش في راحة قل ما هونت إلا سيهون تطلب المينًا لا يكون خاب من يطلب شيئًا لا يكون

وهذا الشعر هو دعوة إلى الإيهان بالله وقدرته والتوكل عليه، ودعوة إلى الزهد في التكالب على مباهج الحياة الفانية(١).

## ب -- العلوم العقلية

#### (١) الطب

وجد بيهارستان (۲) في المدينة المنورة في النصف الأول من القرن التاسع الهجرى حوالي سنة ١٤٨هـ/ ١٤٣٧م (۲)، ولا بدأن كان له أطباء وعرضون وفراشون وأدوية تصرف للمرضى، إضافة إلى رواتب شهرية تعطى للعاملين به، قياسًا على البيهارستان الذي أنشأه السلطان الأشرف شعبان في مكة (١).

ولا شك أنه نتيجة لازدهار الحياة الثقافية في المدينة، ازدهرت دراسة الطب، ولقى بيارستان المدينة رعاية وعناية كبيرة، فلم يكن مكانًا للعلاج فقط، بل كان أيضًا مدرسة

<sup>(</sup>١) أحمد محمد عدوان، المكانة العلمية للمرأة، ص ٣٠، ٣١.

<sup>(</sup>٢) البيارستان: لفظ مركب من (بيار) أي مريض و (ستان) أي على أو دار أو مكان وهو مكان لمعالجة جميع الأمراض العقلية والجسدية والجراحية وكان يختار موقع بناء المستشفى بدقة وعقلانية متناهية فيراعى المكان الصحى المناسب والذي يتوافر فيه الماء النقي والجو الصحى والبيارستان لفظ فارسى فالفرس كانوا في أوائل من عرفوه. انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول، القسم الثالث، ص ٢١٧؛ انظر أيضًا: عبد الله السعيد، المستشفيات الإسلامية من العصر الأموى إلى العصر العثماني، الطبعة الأولى، دار الضياء، الأردن، ١٩٧٨هم ١٩٧٨م، ص ٥.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحقة اللطيفة، ج ١، ص ٤٨٤؛ ابن فهد، الدرر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مخطوطة رقم ( ٣٠٣٢ )، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة، ص ٦٩.

<sup>(</sup>٤) راشد سعد راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهدالوطنية، الرياض، السعودية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١١٢، ١١٣.

لتعليم الطب، فقد كان رئيس البيهارستان أو حكيم البيهارستان يجمع الطلبة بعد مرورهم على المرضى، ويشرح لهم كيفية التعرف على الأمراض المختلفة(١).

من أبرز أطباء المدينة خلال عصر سلاطين الجراكسة، محمد بن حسين بن على بن رستم، قال عنه ابن فرحون: "وهو الفقيه الفاضل اشتغل بالطب ورحل إلى الشام وخالط الصوفية "٢٠".

كذلك أبو على الحسن الحجام، والحجام تدل على اشتغاله بمهنة الحجامة وكان يختن الأطفال(٣).

#### (٢) الكيمياء

وجد في المدينة المنورة من اشتغل بالكيمياء، منهم الشيخ برهان الدين أبو إسحاق المدنى الشافعي (ت ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)، وهو إبراهيم بن عبد الرحمن بن حسين بن حسن بن قاسم، ولد ونشأ في المدينة المنورة، حفظ القرآن الكريم ونال قسطًا من العربية، كما اشتغل بالكيمياء(١).

اشتغل بعض أبناء أسرة المطرى بعلم الكيمياء، منهم الشيخ أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد المطرى المدنى (ت ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)، ولد ونشأ في المدينة المنورة وتعلم بعضًا من العلوم الدينية، وكان يشتغل بالكيمياء وينسب إليها، وفاته المنية في المدينة المنورة (٥٠).

## (٣) الرياضيات

ازدهرت علوم الرياضيات في المدينة المنورة، حيث اشتغل بها كثير من علماء المدينة

<sup>(</sup>١) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٣٥.

<sup>(</sup>٢) ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المانة الثامنة، ج ٥، ص ٤٨؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٥٦، ١٥٦، ٥٦١.

<sup>(</sup>٣) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٥٠٠.

<sup>(</sup>٤) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٢.

<sup>(</sup>٥) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص ١٥٤.

وطلبة العلم بها، حيث لا تكاد توجد ترجمة من ترجمات علماء المدينة، إلا ونجد أنه قد تعلم أحد علوم الرياضيات وأهمها علم الجساب.

تميز في هذه العلوم الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر الشمس أبو عبد الله التونسي المالكي، استوطن المدينة المنورة سنة ٢٠٨هـ/ ١٣٩٩م، واستقر بها حتى وفاته في سنة ١٨هـ/ ١٦٨هـ/ ٢١٤١م، كان له اهتهام بعدد كبير من العلوم، منها علوم التفسير والأصلين والمنطق والعربية واشتهر بالفرائض، فضلًا عن علوم الحساب والجبر والمقابلة(١٠).

منهم محمد بن أحد بن عثمان بن عمر التونسى المالكى المعروف بالوانوغى، حيث كان له اهتمام بعلوم الحساب والجبر والمقابلة. وكذلك أحمد بن يونس القسطنطينى المغربي المالكي، الذى وصف بأنه إمام في الحساب والمنطق(٢).

ومن ذلك يمكن القول إنه وجدت في المدينة المنورة في عصر سلاطين الجراكسة حركة علمية وثقافية شاملة، جعلت المدينة إحدى منارات الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.

## رابعًا \_ أثر الأوقاف على الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة

ثبتت الأوقاف أركان المؤسسات التعليمية، خاصة المدارس ودعمت نظامها ومكنتها من أداء رسالتها، فمن ريع الوقف على المدرسة شهريًا أو سنويًا نقدًا أو عينًا تم ضهان استمرار عملها(٢)، رغم ذلك هناك بعض الأمثلة لمؤسسات تعليمية، تجمد ما تقوم به من أنشطة لضياع ما أوقف عليها في حالة موت منشئها(٤)، كما كانت وثائق الوقف بمثابة اللائحة الأساسية لهذه المؤسسات، فتشمل الأسس التعليمية والشروط الواجب توافرها في العاملين بها، ومواعيد الدراسة وغيرها(٥)، بل لم يكتف الوافقون

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٧٩.

<sup>(</sup>٢) السخاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٤ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٥٢.

<sup>(</sup>٣) حجة وقف السلطان قايتبان، رقم الحجة ( ٨٩٠ ج )، الأوقاف.

<sup>(</sup>٤) على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٣٩١.

<sup>(</sup>٥) على سالم النباهين، المرجع نفسه، ص ٣٩٢.

بها حددوه من شروط لاختيار المدرسين، فقد اشترط بعضهم كتبًا معينة وحرص بعضهم على توفير معيد أو أكثر لمساعدة المدرس، فيقوم بتحضير الدروس ويقرؤها على الطلاب<sup>(۱)</sup>.

كها أثرت الأوقاف على العلماء، حيث وفرت لهم حياة كريمة، فتفرغوا لأعمال وظائفهم من القراءة والإسماع والوعظ والتدريس وتعليم الطلاب ومساعدتهم على تحصيل العلم، ليصبحوا من العلماء المشتغلين بخدمة العلم ونشره (٢).

وعنى الواقفون بتعليم الأطفال الأيتام، فجاء ضمن حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسنى المؤرخة في ٢٧ عرم سنة ٨٠ ٨هـ/ ١٤٠٥ م (٢)، النص على "الصرف على عشرة أيتام يتعلمون القرآن العظيم والخط العربى على عادة أمثالهم، في ذلك في غرة كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم النقرة الجيدة، أو ما يقوم مقامها من النقود بقيمة الفضة البيضاء معاملة الديار المصرية، لكل نفر منهم عشرة دراهم نقرة فضة بيضًا "(١٠)، كما نصت على تعيين مدرس لهم حافظ لكتاب الله يقوم بتأديبهم وتعليمهم القرآن الكريم والخط العربى في كل يوم من أيام الأسبوع عدا أيام البطالة (٥).

وتم تخصيص من ربع الوقف على دروس العلم بالمسجد النبوى، حيث خصص السلطان الغورى في وثيقة وقفه جزءًا من ربع وقفه، على عالم حافظ لكتاب الله ليقرأ يوميًا ما تيسر له قراءته من القرآن بالروضة تجاه الحجرة الشريفة، كذلك أوقف على عالم حافظ متقن لحديث الرسول على أن يقرأ في كل سنة من أوائل شهر رجب وشعبان ورمضان صحيح البخارى بالروضة الشريفة تجاه الحجرة النبوية الشريفة، ويختم قراءته بذكر الله تعالى والصلاة على النبى على في كل مجلس (1).

770

المدينة المنورة

<sup>(</sup>١) سحر بنت عبد الرحمن الصديقي، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ١٨.

<sup>(</sup>٢) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٠٤.

<sup>(</sup>٣) شاهين بن عبد الله الحسنى الطواشى كانت وفائه سنة ١٥هم. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ترجمة رقم ( ١١٢٤ ).

<sup>(</sup>٤) حجة وقف شاهين بن عبدالله الحسنى، المؤرخة في ٢٧ عرم سنة ٨٠٨هـ، رقم الحجة ( ٦٢ )، رقم المحفظة ( ١٠ )، دار الوثائق القومية.

<sup>(</sup>٥) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

 <sup>(</sup>٦) حجة وقف السلطان الغورى، رقم الحجة ( ٨٨٢ ق )، الأوقاف، ص ٥٥٥ دراسة/ عبد اللطيف إبراهيم على.

وجاء فى حجة وقف أحد الأعيان، وهو أيتمش بن عبد الله (۱) المؤرخة ١٩ محرم ١٥هـ /١٤٤٧م، ما يبين مدى اهتهامه وعنايته بالحركة العلمية فى الحرمين بعامة والمدينة بخاصة فمن أوجه الصرف بها والخاصة بالمدينة، حددت الوثيقة ألفًا ومائتى درهم نقرة لعشرة قراء من الحافظين للقرآن الكريم يرتبهم الناظر بالحرم النبوى، فيقرأ اثنان منهم بعد الصلوات الخمس بين الروضة والمنبر، ثم يدعو أحدهما بثواب القراءة للسلطان الملك الظاهر وللواقف ولذريتهما والمسلمين، ويختم بالصلاة على النبى على السلطان الملك الظاهر وللواقف ولذريتهما والمسلمين، ويختم بالصلاة على النبى على النبى

وحددت الوثيقة أيضًا لمدرس المذهب الحنفي ستائة درهم نقرة سنويًا، كها حددت الطلبته السبعة ثمانهانة وأربعين درهمًا نقرة سنويًا، توزع بينهم بالتساوى، وعلى من يختاره الناظر لضبط الغياب ثلاثين درهمًا نقرة سنويًا، وكان سير الدراسة باجتهاع المدرس مع طلبته بالحرم النبوى، فيها بين طلوع الشمس إلى الزوال فى كل يوم من أيام الأسبوع، عدا المجمعة والثلاثاء وأيام البطالة العادية، ويبدءون بقراءة سورة الملك، ثم يقوم أحدهم بالمدعاء مهديًا ثواب قراءته للسلطان الملك الظاهر وللواقف ولذريته وللمسلمين، وبعدها يلقى المدرس عليهم ما أعده من فقه مذهبه ويناقشهم فيه (١٠٠٠ كذلك قام شيخ خدام المسجد النبوى الشريف، مسرور بن عبد الله الحبشى المعروف بالشلبى حدام المسجد النبوى الشريف، مسرور بن عبد الله الحبشى المعروف بالشلبى منويًا في الحرم النبوى منها • • ٣ درهم لقارئ مصحف بحرم المدينة المنورة و • ٣٠ درهمًا في مصالح الحرم النبوى، وذلك فيها يحتاجه من عهارة وترميم وفرش ووقود والة وغير ذلك و • ٣٥ درهم المافقراء بالمدينة المذكور والإناث السنين غير الزيدية والروافض على ما يراه الناظر، وذكر أنه في حالة تعذر الصرف للحرم المدنى، فإنها تصرف للحرم المكى، وذلك على ما شرطه الواقف لحرم المدينة المنورة، وهذا الوقف عبارة عن قطع المكى، وذلك على ما شرطه الواقف لحرم المدينة المنورة، وهذا الوقف عبارة عن قطع أراض لضرب الطوب فيها بين القاهرة والفسطاط (١٠٠٠).

<sup>(</sup>۱) أيتمش بن عبد الله الخضرى الظاهرى برقوق كان من عاليك برقوق، ثم صار من جملة الدوادارية في أيام ابنه الناصر فرج مات بالقاهرة سنة ٢٤٨هـ انظر: ابن تغرى، الدليل الشانى، ج ١، ص ١٦٤؛ السخاوى، الضوء اللامم، ج ٢، ص ٢٤٤.

<sup>(</sup>٢) حجة وقف السيفي أيتمش بن عبدالله الظاهري، رقم الحجة ( ١١٤٣ ق)، الأوقاف.

<sup>(</sup>٣) عبد اللطيف إبراهيم على، وثيقة وقف مسرور عبد الله الشيلي الجمدار، بجلة كلية الآداب، الجزء الثاني، المجلد الحادي والعشرون، جامعة القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٣٩ – ١٦٦٠.

من الأوقاف على أربطة المدينة المنورة، ما أوقفه عبد العزيز بن عبد السلام الزرندى ( ت ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م )، وكانت له ثروة أنفقها في أعمال الخير، حيث أوقف مزرعة كانت لديه، وجعل لكل رباط في المدينة عائد نخلة من نخيل هذه المزرعة (١٠). كما يذكر السخاوى أن كثيرًا عمن تولوا بعض الوظائف الدينية في المسجد النبوى الشريف، خاصة الخدام الطواشية أوقفوا الكثير من العقارات والنخيل في أنحاء متفرقة من المدينة ويجوارها، على طلبة العلم والعلماء والمؤسسات الثقافية في المدينة المنورة طوال العصر المملوكي (٢٠).

وهكذا كانت العادة أن يتم إنشاء المدرسة، ويتم تخصيص الأوقاف للصرف على المدرسين والموظفين والطلاب، حتى ينصرف الجميع إلى أداء رسالته، دون انشغال بأمور حياته، بل إن كثيرين قاموا بوقف الأوقاف على مدرسة شيدها غيرهم طلبًا للمغفرة وحسن الثواب<sup>(٣)</sup>.

وكان إرسال الكتب إلى دور العلم ووقفها بخزانات الكتب على طلبة العلم من أهم أعمال الخير لينتفع بها المدرسون والطلبة أثره على الحياة العلمية والثقافية.

فقد أوقف السلطان الأشرف قايتباى، مجموعة ضخمة من الكتب على مكتبة المدرسة الأشرفية، وبقيت هذه المكتبة عامرة بالكتب حتى بعد قيام الدولة العثمانية بنصف قرن، يدل على ذلك أن قطب الدين النهروالي مؤرخ مكة سنة ٩٧٦هـ زارها، وذكر: "وكان نزولي في خزانة كتب الأشرف قايتباي رحمه الله"(١).

كها يذكر السخاوى أن السمهودى كان يشرف على هذه المكتبة، وعندما قام الأمير داود بن عيسى بن عمر شيخ عرب هوارة بصعيد مصر بزيارة المدينة أثناء حجه، وقف عدة كتب مثل: كتاب فتح البارى في شرح صحيح البخارى، سلمها للشيخ السمهودى ليضمها إلى خزانة الكتب في المدرسة الأشرفية (٥٠).

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٣١.

<sup>(</sup>٢) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٠٩.

<sup>(</sup>٣) على السيد على، المرجع نفسه، ص ٢٦٤، ٢٦٤.

<sup>(</sup>٤) السخاوي، التحقة اللطيقة، ج ١، ص ١٧٤، ١٧٥.

<sup>(</sup>٥) السخاوى، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٣٤.

كها أرسل قايتباى مصحفًا كبيرًا إلى المسجد النبوى الشريف حمل على جمل وحده، قال عنه ابن إياس، أنه من النوادر "كتبه شاهين النورى ومات ولم يكمله فأكمله الشيخ خطاب بأمر السلطان"(۱)، حيث كانت المصاحف هى أقدم ما كان يوقف للمسجد، ومع ازدهار الحياة العلمية وكثرة المؤلفات، بدأ وقف الكتب بشكل واسع على المساجد(۱).

وتعددت مصادر الأوقاف على المؤسسات العلمية والثقافية، في البلاد الخاضعة لسلطنة الماليك مثل مصر والشام، والتي اشتهرت باسم أوقاف الحرمين الشريفين. عرف أربابها " بأهل الصر "، حيث كانوا يتلقون رواتبهم في صرر تأتي من القاهرة (٣)، وهي التي أشار إليها السخاوي بالأحباس " ويلي هذه الجهة قاضي الشافعية، وفيها ما حبس على الحرمين الشريفين (١٠)، ويؤكد السخاوي أن أموال هذه الصرر كانت توزع على أصحاب الوظائف المختلفة من صغيرهم وكبيرهم في المدينة حتى نهاية العصر المملوكي (٥)، كما يشير إلى أن كثيرًا من سلاطين الماليك، قد أوقفوا نخابز في المدينة المنورة لتمد العلماء وطلبة العلم والقائمين على العمل في المؤسسات الدينية والثقافية وغيرها، ومن هذه المخابز " المخبز الأشرفي بالمدينة "، وقد تولى فيه الشهاب النشوى القاهرى (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) وظيفة كاتب (١٠).

بل كانت هناك أوقاف خارج سلطنة الماليك خصصت على بعض المؤسسات العلمية، منها ما قام به الشيخ شمس الدين محمد بن على بن عمر بن البنا، من أنه توجه وكيلًا عن شيخ الخدام بالمسجد النبوى الشريف وأهل المدينة، في استخلاص أوقافهم ببلاد العجم وذلك في سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م. كما كانت هناك أوقاف عديدة للمساسفة

<sup>(</sup>١) عمد هزاع الشهرى، عارة المسجد النبوى، ص ٣٤٥.

<sup>(</sup>٢) يميى عمود جنيد الساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية، استبطان الموروث الثقاف، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، د. ت.، ص ٦٤.

<sup>(</sup>٣) راشد سعد راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ص ٨٦؛ على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٦٠.

<sup>(</sup>٤) الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ١٥٧ - ١٦٤.

<sup>(</sup>٥) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص٢٦١.

<sup>(</sup>٦) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٧٧.

أهل مسوف من بلاد المغرب الأقصى، حيث أوقفها أصحابها على المجاورين في المدينة المنورة، وخاصة من المغارية (١).

كانت نتيجة كل ذلك أن كثر طلاب العلم فى المؤسسات العلمية فى المدينة المنورة، لما تم إتاحته لهم من مساعدات مادية وعينية، متمثلة فى الأوقاف فأقبلوا على العلم والدراسة، حيث كفل لهم ربع الأوقاف الاستمرار، ووجدوا فى هذه المؤسسات ما يكفيهم من مؤونة السكن والمأكل والملبس وغيرها من أمور معيشتهم، إلى جانب المنح الشهرية أو السنوية، وأيضًا ما كان يقدم إليهم من هبات فى المواسم والأعياد لتشجيعهم على العلم (۱).

يظهر من ذلك الأثر الواضح للصدقات والأوقاف فى النهضة العلمية، التى بدونها ما كان هناك توافد لكثير من العلماء على المدينة المنورة والاستقرار فيها، ولما ظهرت هذه النهضة العلمية الكبيرة في المدينة في ذلك العصر.

<sup>(</sup>١) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٧٤، ١٧٥.

<sup>(</sup>٢) أحمد هاشم بدر شيني، أشر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة، ص ٦٠.

## الخاتمة

وبعد استعراض هذه الدراسة بعنوان "المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين الماليك الجراكسة " يمكن استخلاص أهم نتائجها والتي تدور حول:

أولًا ـ استطاعت دولة الماليك الجراكسة الاحتفاظ بنفوذها في المدينة المنورة، والتدخل عند حدوث خلل أمنى نتيجة صراع الأمراء على ولايتها، كذلك أوقف سلاطين الجراكسة الكثير من الأوقاف والمخصصات على المدينة وأهلها.

ثانيًا .. تميز هذا العصر بكثرة الصراعات بين أمراء الأشراف على تولى الإمارة، تلك الصراعات التى كانت سمة أساسية لهذا العصر، والتى كانت غالبًا ما تنتهى بسقوط أمير وتعيين أمير آخر.

ثالثًا ـ لم يقتصر الصراع بين الأمراء على استخدام العنف فيها بينهم، وإنها اتخذ بعضهم ما يمكن أن نطلق عليه الطرق الدبلوماسية لتولى الإمارة، والتي تتوقف على حسن التوسط لدى السلطان لاستصدار مرسوم الولاية.

رابعًا ـ كان لاضطراب الأحوال السياسية في المدينة المنورة أثره على الحياة الاقتصادية، مما أدى إلى إعراض القوافل التجارية عنها، ورغم ذلك تمتعت المدينة في بعض الفترات بنشاط تجارى كبير، عندما تتحول التجارة إلى مينائها بدلًا من ميناء جدة، الذي كان يفرض به الكثير من الضرائب.

- خامسًا ـ تميزت الحياة الاجتهاعية في المدينة المنورة مثلها مثل مكة المكرمة بعوامل خاصة، كان لها تأثيرها الكبير على مظاهر الحياة الاجتهاعية بها مثل: الحبح والعمرة والأوقاف على الحرم والمجاورين.
- سادسًا ـ نالت عمارة المدينة المنورة اهتمام سلاطين المماليك الجراكسة خاصة المسجد النبوى الشريف، الذى نال قدرًا كبيرًا من الاهتمام في عصر السلطان قايتباي.
- سابعًا \_ شهدت المدينة المنورة نشاطًا علميًا وثقافيًا كبيرًا خلال هذا العصر، حيث وفد إليها عدد كبير من علماء العالم الإسلامي، فضلًا عن اهتمام السلاطين وغيرهم بإنشاء المدارس والأربطة والكتاتيب ووقف الأوقاف على الأنشطة التعليمية، مما ساعد على عودة دورها الثقافي في العالم الإسلامي.

وجدير بالملاحظة أنه كان للأوقاف أثرها الكبير على الكثير من جوانب الحياة فى المدينة المنورة، سواء أكانت الاقتصادية أم الاجتهاعية، كذلك لعبت دورًا مهم في خدمة النواحي العلمية والثقافية.

## الملاحق

## أولًا \_ البحداول

- جـــدول ( ١ ) الخلفاء العباسيون في مصر زمن سلاطين الماليك الجراكسة.
  - جــدول (٢) سلاطين الماليك الجراكسة.
  - جــدول (٣) أمراء المدينة المنورة في عصر الماليك الجراكسة.

#### ثانيًا \_ البيانات

- بيـــان (١) تطور مساحة وعارة المسجد النبوي الشريف.
- بيـــان ( ٢ ) السنين التي مرت بين العمارة والعمارة في المسجد النبوي.

## ثالثًا ـ الخرائط والرسومات والأشكال

- خريطة (١) القرى والمناطق القديمة في منطقة المدينة المنورة.
  - رسم (۱) رسم تقریبی لمیناء الجار.
- شكل (١) بعض العملات من العصر المملوكي الجركسي مع جدول لشرحها.
  - شكل ( ٢ ) المسجد النبوى الشريف وما حدث فيه من عمارة .

- شكل (٣) عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوى الشريف.
  - شكل ( ٤ ) مكان المدرسة الباسطية في المدينة المنورة.

رابعًا \_ نسخة تقليد بإمارة المدينة المنورة .

# أولًا\_الحداول

جــدول (١)
الخلفاء العباسيون في مصر زمن سلاطين الماليك الجراكسة (٠)

السلاطين الذين عاصرهم	سنوات خلافته	اسم الخليفة	الرقم
شعبان بن حسين ( أواخر الدولة	75V 3AVa_\	المتوكل على الله	١
المملوكية الأولى)	۱۳۸۱-۲۸۳۱	محمد بن المعتضد	
على بن شعبان			
على بن شعبان	١٣٨٢هـ/ ١٨٣١م	المعتصم بالله	۲
على بن شعبان - برقوق (سلطنته	لمدة ١٥ يومًا	زكريا بن إبراهيم	
الأولى)	۸۷۳-۵۸۷هـ/	(عودة المتوكل)	
	۲۸۳۱ – ۱۳۸۲		

برقوق برقوق برقوق - حاجى بن شعبان- برقوق ( سلطنته الثانية ) - فرج ( سلطنته الأولى )- عبد العزيز بن برقوق - فرج ( سلطنته الثانية )	0AV- AAVa_\TATI- TATI- AAV- IPVa_\TATI- PATI- IPV- A.A.a_\PATI- T.31-	الواثق بالله عمر بن إبراهيم (عودة المعتصم) (عودة المتوكل)	٣
فرج - شيخ	۸۰۸- ۲۱۸مـ/۲۰3۱- ۲۱3۱م	المستعين بالله العباس بن المتوكل	٤
شیخ - أحمد بن شیخ - ططر- محمد بن ططر - برسبای- یوسف بن برسبای- جمقمق	711 031a_\7131- 1331q	المعتضد بالله بن المتوكل	٥
جقمق	03A- 00Aa/1331- 1031q	المستكفى بالله بن المتوكل	. *
جقمق –عثمان بن جقمق – اینال	۸۰۰- ۲۰۸۵/ ۲۰۶۱- ۲۰۵۱م	القائم بأمر الله بن المتوكل	. V
اینال - أحمد بن اینال - خشقدم - بلبای المجنون - تمربغا - خیر بك ( سلطان لیله) - تایتبای	۵۸۸– ۵۸۸هـ/ ۱۹۵۵– ۱۹۷۹م	المستنجد بالله بن المتوكل	۸
قایتبای- محمد بن قایتبای (سلطنته الأولی) - قانصوه خمسهانة	۸۸۶– ۹۰۳هـ/ ۱۲۷۹– ۱۲۹۷م	المتوكل على الله بن يعقوب بن المتوكل	q

محمد بن قايتباى (سلطنته الثانية)- قانصوه الأشر في - جانبلاط - طومان باى الأول - قانصوه الغورى	4.P- 31Pa_\VP31- P·019	المستمسك بالله بن عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل	١٠
قانصوه الغوری - طومان بای الثانی ( سلیم العثمانی - سلیمان القانونی )	31P- 03Pa_\P·01- N7019	المتوكل على الله بن المستمسك	11

إبراهيم على طرخان، مصر في عصر دولة الماليك الجراكسة ١٣٨٢هـ/ ١٥١٧م، مكتبة النهضة المصرية،
 القاهرة، ١٩٦٠م.

# جدول (٢) سلاطين الماليك الجراكسة (٥)

## ( 3AY-77Pa\_\ 7A71-Y101q)

ملاحظات	مدة سلطنته	نهاية سلطنته	بداية سلطنته	السلطان
سلطنته	۲ سنین، ۸ شهور	ه جمادی	۱۹ رمضان	الظاهر
الأولى- خلع	۲۷ يومًا	الآخرة	٤٨٧هـ	أبو سعيد
ثم عاد		۷۹۱هـ		برقوق
سلطنته الثانية	۸ شهور وأيام	۱٤ صفر	۲ جمادی	المنصور
– خلع		۲۹۷هـ	الآخرة ٧٩١هـ	الصالح
				حاجي
توليته على	١٠ سنين إلا أيام	شوال	۱۹ رمضان	الظاهر
مبايعة أهل	سلطنته كاملة ١٦	۸۰۱هـ	۷۹۱هـ	أبو سعيد
الكرك له	سنة وأيام			برقوق
وهى سلطنته				
الثانية - توفي				
سلطنته	۲ سنین، ۵ شهور	۱۵ ربیع	١٥ شوال	الناصر
الأولى- خلع		الأول	۱۰۸مـ	فرج بن
ثم عاد		۸۰۸ھـ		برقوق
خلع	شهرين، ١٠ أيام	٤ جمادي	١٦ ربيع الأول	عبد العزيز
		الآخرة	۸۰۸ھـ	ابن برقوق
		۸۰۸ھـ		

سلطنته الثانية - قتل	۲ سنین، ۱۰ شهور سلطنته کاملة ۱٤ سنة	۱٦ صفر ۸۱۵ھـ	٥ جمادى الآخرة ٨٠٨هـ	النـاصر فرج بن برقوق
خلع	۷ شهور	اشعبان ۱۸۱۵ء	٥ عوم ١٥٨هـ	الخليفة المستعين بالله
توفى	۸ سنین، ٤ شهور، ۲۳ یومًا	۸ محرم ۲۲۵هـ	۱ شعبان ۸۱۵هـ	المؤيد شيخ المحمودي
تسلطن طفلًا - خلع	۸ شهور	۱۹ شعبان ۸۲۶هـ	۸ محرم ۲۲۸هـ	المظـفر أحمد بن المؤيد
توفى	۳ شهور ویومین	٤ من ذى الحجة ٨٢٤هـ	۱۹ شعبان ۸۲۶هـ	الظاهر ططر
خلع	٤ شهور، ٤ أيام	۸ ربيع الآخر ۱۸۵هـ	٤ من ذي الحجة ٤٢٨هـ	الصالح محمد بن ططر
توفى	۱٦ سنة، ۹ شهور، ۱۰ أيام	۱۳ من ذی الحجة ۸٤۱هـ	۸ ربیع الآخر ۸۲۵هـ	الأشرف برسباى
خلع	۳ شهور، ۲ أيام	۱۹ ربیع الأول ۸٤۲هـ	۱۳ من ذی الحجة ۸٤۱هـ	العزيز يوسف بن برسباي
أستعفى لمرضه	۱۴ سنة، ۱۰ شهور ويومين	۳ صفر ۸۵۷هـ	۱۹ ربيع الأول ۸٤۲هـ	الظاهر جقمق

خلع	٤٣ يومًا	٥ ربيع الأول ٥٩٨هـ	۱۱ عرم ۸۵۷هـ	المنصور عثمان بن جقمق
أستعفى لمرضه	۸ سنین، شهران، ۷ أیام	۱۶ جمادی الأولی ۸۲۵هـ	۸ ربیع الأول ۸۵۷هـ	الأشرف إينال
خلع	٤ شهور، ٣ أيام	۱۸ رمضان ۱۳۸هـ	۱۶ جمادی الأولی ۸۲۵هـ	المؤيد أحمد ابن إينال
توفى	٦ سنين، ٥ شهور، ٢٠ يومًا	۱۰ ربیع الأول ۸۷۲هـ	۱۹ رمضان ۸۲۵هـ	الظاهر خشقدم
خلع	أقل من شهرين	۷ جمادی الأولی ۸۷۲هـ	۱۰ ربیع الأول ۸۷۲هـ	الظاهر يلباي الإينالي
خلع	أقل من شهرين	۲ رجب ۸۷۲هـ	۷ جمادی الأولی ۸۷۲هـ	الظاهر تمريغا
•••••	يومًا واحدًا	•••••••	***************************************	خاير بك
ٍ توفی	۲۹ سنة، ٤ شهور، ۲۱ يومًا	۱۷ من ذی القعدة ۹۰۱هـ	۲ رجب ۷۷۲هـ	الأشرف قايتباي
سلطنته الأولى– خلع ثم عاد	قرابة أربعة أشهر	۱۵ ربيع الأول ۹۰۱هـ	۱۷ ذی القعدة ۹۰۱هـ	الناصر محمد بن قايتباي
خلع	٣ أيام	۲۰ جمادی الأولی ۹۰۲هـ	۱۸ جمادی الأولى ۹۰۲هـ	الأشرف قانصوه خسمائة
قتل	سنتين إلا أيام	۱۷ ربیع الأول ۹۰۶هـ	۲۰ جمادی الأولى ۹۰۲هـ	الناصر محمد بن قابتبای

خلع	۲۰ شهر، ۹ أيام	۱۹ من ذی القعدة ۹۰۵هـ	۱۷ ربيع الأول ۹۰۶هـ	الظاهر قانصوه المحمدي
خلع	٦ شهور، ٦ أيام	۱۸ جمادی الآخرة ۹۰۲هـ	۲ من ذی الحجة ۹۰۵هـ	الأشرف جانبلاط
قتل	۱۰۰ يوم	۱ شوال ۹۰۳هـ	۱۸ جادی الآخرة ۹۰٦هـ	العادل طومان بای الأول
قتل	۱۵ سنة، ۹ شهور، ۲۵ يومًا	۱۵ رجب ۹۲۲هـ	۱ شوال ۹۰۳هـ	الأشرف قانصوه الغوري
قتل شنقًا		۱۱ ربیع الأول ۹۲۳هـ	۹۲۲هـ	الأشرف طومان باى الثانى

<sup>◊</sup> من عمل الباحث

**جدول (٣)** أمراء المدينة المنورة في عصر الماليك الجراكسة<sup>(۵)</sup> ( ٧٨٤–٩٢٣هـ/ ١٣٨٢ –١٥١٧م)

ملاحظات	سنوات ولايته	اسم الأمير	الرقم
بالــوكالة عــن أخيه عطية بن منصور	ذو القعدة ۷۸۳هـ- ( مات ) ۱۵ من ذی القعدة ۷۸۳هـ	نعیر بن منصور بن جماز ابن شیحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا	١
( إمارته الأولى )	ذو القعدة ٧٨٣– ٧٨٥هـ	جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	۲
(إمارته الأولى) مشاركًا لابـن عمه جماز بن هبة	۵۸۷-۲۸۷هـ -	محـمدبـن عـطية بن منصور بن جماز بن شيحة	٣
( إمارته الثانية )	۷۸۷هـ- ( مات) جمادی الأولی ۷۸۸هـ	محمد بسن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	٤
( إمارته الثانية )	۸۸۷هـ- ۸۹۷هـ	جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	٥
نائب عن والده جهاز بن هبة	PAVAPAVA_	ابن جماز بن هبة بن جماز بن منصور	٦
تولى الإمارة استيلاء	۷۸۹هـ- ( مات ) ۷۸۹هـ	علی بن عطیة بن منصور بن جماز بن شیحة	٧
(إمارته الأولى)	۸۹۷هـ ۵۰۸هـ	ثابت بن نعیر بن منصور بن جماز بن شیحة	٨
( إمارته الثالثة )	۵۰۸هـ – ۷۰۸هـ	جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	٩

( إمارته الثانية )	۷۰۷هـ– ۲۰۸۹مـ	ثابت بن نعیر بن منصور بن جماز بن شیحة	١٠
( إمارته الرابعة)	۸۰۹هـ- ( قتل) جمادی الأخرة ۸۱۲هـ	جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	11
(إمارته الثالثة)	۸۱۱هـ- (مات) صفر ۸۱۱هـ	ثابت بن نعیر بن منصور بن جماز بن شیحة	۱۲
تولى ولاية الحجاز مكة والمدينة	۸۱۱هـ-(عزل عن ولاية الحجاز) ۸۱۸هـ	حسن بـن عجلان بن رمیثة بن أبی نمی	١٣
(إمارته الأولى) نائبًا عن الحسن بن عجلان أمير الحجاز	ربيع الآخر ١٨٨هـ- ١٨٨هـ	عـجلان بن نـعير بن منصور بن جماز بن شيحة	18
نائب عن الحسن بن عجلان أمير الحجاز	۸۱۵هـ– ( مات ) ۸۱۷هـ	سلیمان بـن هـبة بن جماز بن منصور بن شیحة	10
(إمارته الأولى) تولى الإمارة بعد القبض على عمه سليان بن هبة	ذی الحبجة ۱۵۸۵ــ- ۱۹۸۵ـ	غریر بن هیازع بن ثقبه بن جماز بن منصور بن جماز بن شیحة	17
أمير الحجاز مكة والمدينة	۸۱۸هـ– (مات) رجب ۸۳۷هـ	رميــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۱۷
(إمارته الثانية)	ذو الحجة ١٩هـ- ٨٢١هـ	عجلان بن نعیر بن منصور بن جماز بن شیحة	۱۸
( إمارته الثانية )	۲۲۸هـ-۲۲۸هـ	غریر بن هیازع بن ثقبه بن جماز بن منصور بن جماز بن شیحة	19
( إمارته الثالثة )	ذو الحجة ٤ ٨٢هـــ ٨٢٩هــ	عجلان بن نعیر بن منصور بن جماز بن شیحة	۲۰

۲۱	ثابت بن نعیر بن هبه بن جماز بن منصور بن جماز بن شیحة	<b>۱۹۲۸هـ-۱۹۲۸</b> هـ	أخو عجلان بن نعير تولى الإمارة استيلاء
**	خشرم بن دوغان بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شیحة	شوال ۸۲۹هـ- ۸۳۰هـ	اعتقل بالقاهرة سنة ۸۳۰هـ وقتل ذی الحجة ۸۳۲هـ
۲۳	مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	۲۶ من ذی الحجة • ۸۳هـ- (قتل) ۱۰جمادی الأخرة ۸۳۹هـ	قتل مانع بن على بن عطية من قبل حيدرة بن دوغان بدم أخيه خشرم بن دوغان
7 8	أميان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	رمضان ۸۳۹هـ - (عزل) ذي الحجة ۸۶۳هـ	( إمارته الأولى )
70	سلیمان بسن غریر بن هیازع بن هبة بن جماز	٨٤٣هـ- ( مات ) ربيع الآخر ٨٤٦هـ	عين حيدرة بن دوغان قاتل مانع بن على والد أميان نائبًا له على المدينة
77	حیدرة بـن دوغان بن جعفر بم هبة بن جماز	۸٤۳هـ– ( قتل ) رمضان ۲ ۸۶هـ	نائب عن سليمان بن غرير
۲۷	موسی بن کبیش بن هبه بن جماز بن منصور	رمضان ۸٤٦هـ– محرم ۸٤۷هـ	يسمى أيضًا مؤنس
۲۸	ضیغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعیر بن منصور	محرم ۸٤۷هـ- محرم ۸۵۰هـ	( إمارته الأولى )
<b>Y9</b>	أميان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	محرم ۸۵۰هـ- (مات) ۸۵۳هـ	( إمارته الثانية )

.

۳.	محـمد بـن بـركات بن حسن بن عجلان بن رميثة	PONa-7.Pa	أمير الحجاز مكة والمدينة وحلى بنى يعقوب وجازان
٣١	زبیری بن قیس بن ثابت بن نعیر بن منصور	۸۵۳هـ-(عزل) ۸۳۵هـ	( إمارته الأولى )
٣٢	زهیر بن سلیمان بن هبه بن جماز بن منصور	٨٦٥هـ- شوال ٨٦٥هـ	( إمارته الأولى )
**	ضیغم بـن خـشرم بن نجاد بن ثابت بن نعیر بن منصور	٥٢٨هـ- ٥٢٨هـ	(إمارته الثانية) مدة أربعة أشهر
٣٤	زهیر بن سلیمان بن هبه بن جماز بن منصور	٥٢٨هـ- ٢٢٨هـ	( إمارته الثانية )
70	ضیغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعیر بن منصور	۸۷۰هـ- محرم ۷۷۰هـ	( إمارته الثالثة ) مدة أربعة أشهر
٣٦	زهیر بن سلیمان بن هبه بن جماز بن متصور	محرم ۸۷۰هـ – (مات ) ۸۷۶هـ	( إمارته الثالثة )
٣٧	ضیغم بن خشرم بن نجاد ابن ثابت بن نعیر بن منصور	صفر ۶۸۷۵هـ- ۸۸۳هـ	( إمارته الرابعة)
۳۸	شامان بن زهير بن سليان	۸۷۸هـ- (مات) ۸۸۳هـ	خال أمير مكة محمد بن بركات
٣٩	مجول بن صخر بن مقبل الحسني	۳۸۸۳	برد - ناثب عن أمير الحجاز
٤٠	قسیطل بن زهیر بن سلیمان بن هبه بن جماز	۳۸۸هـ- ۷۸۸هـ	تولى بمساندة أمير الحجاز محمد بن بركات
١3	زبیری بن قیس بن ثابت بن نعیر بن منصور	۸۸۷هـ– ( مات) ۸۸۷هـ	(إمارته الثانية)

نائب عن أمير الحجاز	۷۸۸۵ – ۲۰۹ هـ	حسن بن زبیری بن	٤٢
محمد بن بركات		قيس بن ثابت بن نعير	
تولى الإمارة بدون	۹۰۱م	سرداح الحميضي بن مقبل	٤٣
مرسوم باختيار أهل		بن نخيار بن مقبل الحسني	
المدينة		الينبعى	
أمير الينبوع تولى الإمارة	ربيع الأول ٩٠١هـ	دراج بن معزى الحسيني	٤٤
لمدة يومين لحفظ الأمن			
في المدينة بعد واقعة			
الحسن بن زبيري			
أمير مكة	۱۰۹م	محمد بن بركات	٤٥
نائب أمير مكة محمد بن	رجب ۹۰۱هـ-	فارس بن شامان بن	27
بر کات	۳۰۹هـ	زهير بن سليهان بن زيان بن	
		منصور	
تولى الإمارة لمدة طويلة	۳۰۹ه- ۱۱۹۸	مانع بن زبیری بن قیس بن	٤٧
بسبب صراع أمراء مكة		ثابت بن نعیر	
على إمارتها وإنشغالهم			
عن شئون المدينة			
خلال إمارته انتقلت	P19a- 779a	ثابت بن ضيغه بن	٤٨
السلطة في مصر من		خشرم بن نجاد بن ثابت	
الماليك الجراكسة إلى			
العثمانيين ٩٢٣هـ			

ه من عمل الباحث.

## ثانيًا: البياات

بيان (۱)
تطور مساحة وعهارة المسجد النبوى الشريف (۱)

المساحة م٢		الفترة سنة
720	بعد أن أعاد الرسول على	۷ھـ
	بناءه	
11	زيـادة عمر بن الخطاب	۱۷هـ
	رَضَكِ الْمُعَنِّينُ الْمُعَنِينُ الْمُعَنِينُ الْمُعَنِينُ الْمُعَنِينُ الْمُعَنِينُ الْمُعَنِينُ الْمُعَنِينَ	
297	زیادة عثمان بن عفان رضی	۹۷_۰۳۵_
	الله عنه	
7779	زيادة الوليد بن عبد الملك	۸۸_۱۹۵_
	الأموى	
780.	زيادة المهدى العباسي	151_0514_
17.	زيادة الأشرف قايتباي	۸۸۸هـ
1797	زيادة السلطان عبد المجيد	٥٢٢١ _٧٧٢١هـ
	العثماني	
37.7	زيادة الملك عبد العزيز آل	۱۳۷۰ _۱۳۷۰ هـ
	سعود	
761741		جملة

<sup>(</sup>١) - أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م؛ انظر أيضًا: د/ عمر الفاروق سيدرجب، المدينة المنورة، التركيب الوظيفى... النمو والتغيرات، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م.

#### بيـــان (٢)

السنين التي مرت بين العهارة والعهارة في المسجد النبوي<sup>(١)</sup>

#### عدد السنين بالتقريب

١٠ بين عمارة النبي ﷺ بعد فتح خيبر وعمارة عمر بن الخطاب رَضَيَالْنَكُنُّ .

١٣ بين عمارة عمر بن الخطاب وعمارة عثمان بن عفان رَضَيَالْفَهُمُنا.

٦٣ بين عمارة عثمان بن عفان رَضَيَلْتُهُ وعمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك.

٧٢ بين عمارة الوليد بن عبد الملك وعمارة الخليفة العباسي المهدى.

٧٢٤ بين عبارة المهدى العباسى وعبارة الملوك والحكام المسلمين الذين تعاونوا عليها بعد الحريق الأول.

۲۱ بين عهارة الملوك والحكام المسلمين وعهارة السلطان المملوكي قايتباي بعد الحريق الثاني

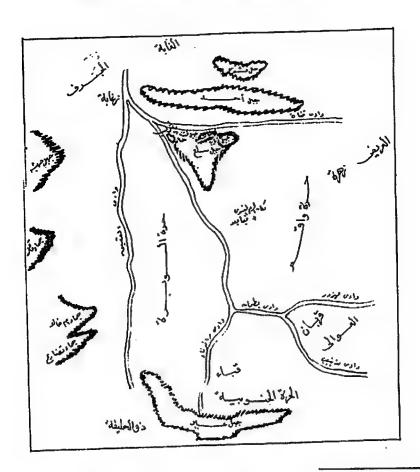
٣٨٧ بين عمارة قايتباي وعمارة السلطان العثماني عبد المجيد.

٩٨ بين عمارة السلطان عبد المجيد وعمارة الملك عبد العزيز آل سعود.

<sup>(</sup>١) - على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، دون تاريخ..

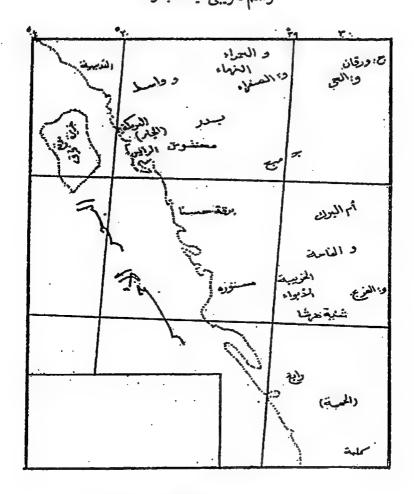
## ثالثًا ـ الخرائط والرسومات والأشكال

خريطة (١)(١) القرى والمناطق القديمة في منطقة المدينة المنورة



<sup>(</sup>۱) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول بَنْكِيَّ. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

# رسسسم (۱)(۱) رسم تقریبی لمیناء الجار

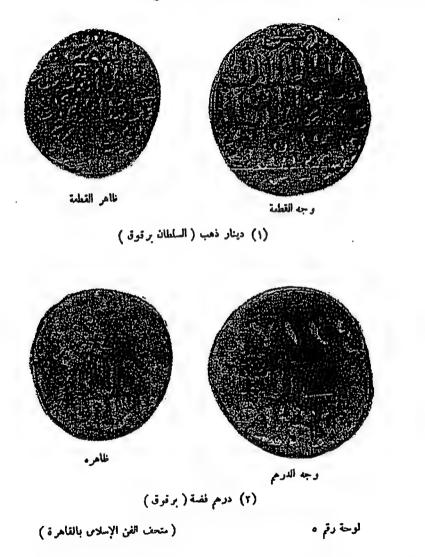


رسم تقریبی لموقع الجار (میناء المدینة القدیم) و= وادی - ج = جبل

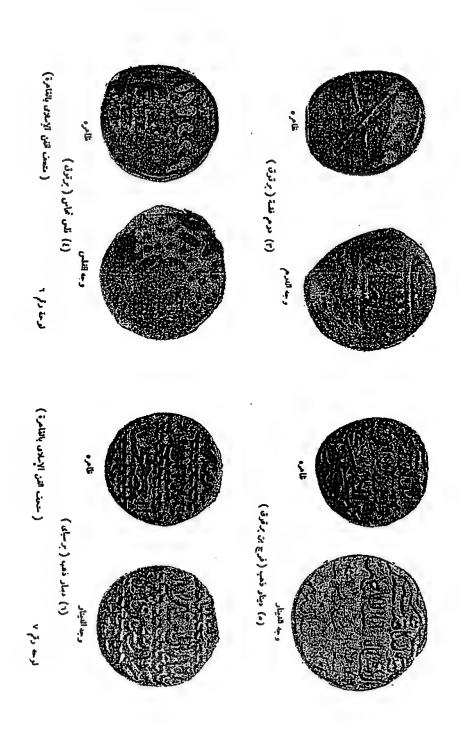
<sup>(</sup>١) عمر الفاروق سيدرجب، المدن الحجازية الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.

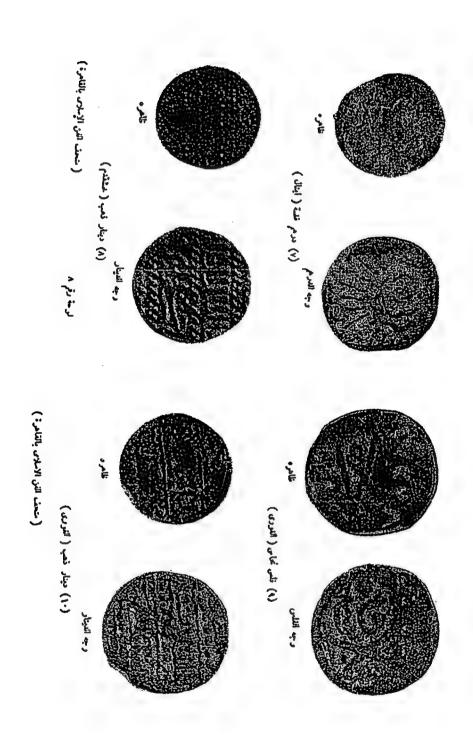
## ش\_\_\_کل (۱)(۱)

## بعض العملات من العصر المملوكي الجركسي مع جدول لشرحها



<sup>(</sup>١) ( متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ) عن إبراهيم على طرخان، مصر في عصر دولة المهاليك الجراكسة ١٣٨٢هـ/١٥١٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م..

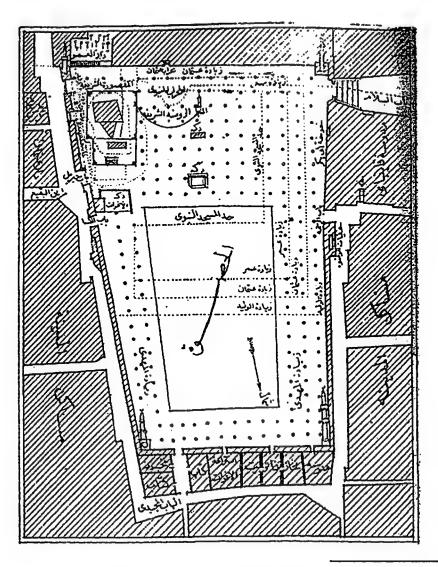




ر و و و و و و و و و و و و و و و و و و و	100 cm	مرب دن می مرکد بر بر بران از دند بران از دند برکن برک مرکد مد برول افذ	( کنا ء شرار عما )	المامرها المامره المامره المامرها المامرها المامرها المامرها المامرها المامرها المامرة المامرة المامرة المامرة
ار دوار پرکرگری وی پیس و درگردید پرکرگری کرگر پرکرگری و درگردی برگری و درگردی	قا نصوه (۲۰۰۰زنرویشرب)	دیداده صرب النده الله الله الله المرب ال حرب الن حرب الن حرب الله المرب الله الله الله الله الله الله الله الل	ا درعلان اللده دو مخرون د يذال ده مودن تتقيم	
النورى (١٨٥)	دللس تحکی العنوری ۱۷،۲ به	نستندا	13 o	1110
۲ دیاریص	1 للموناس	مر (رنیار ۱ هس	, ,	برافل رسلان
مومهت مولی داد. ۱۱۰۰ میر این مر هوان اور ایریم حالیده دیم کافزید بربرید اور ایریم میره دیم کافزید کرد. دیم است!	[ ] (1) (1) (2) (2) (2) (3) (4) (4) (4) (4) (4) (4) (4) (4) (4) (4	7	الدوليون المرادي المرا	مد السلط سه المدال الم
3	رون ۱۹۱۱ برود مرون ۱۹۱۱	برخرید ۱۹۹۳ و مرکزید بردای و درواله درواله درواله	עניר זיקיווו	مجاورًا لله مامط أرثرالتجير برنورد ١٨٥١
و بادر هد	على المرابع	٠٠٠ مرامه ميي.	، درمنۍ	دردار دهب

## شـــکل (۲)(۱)

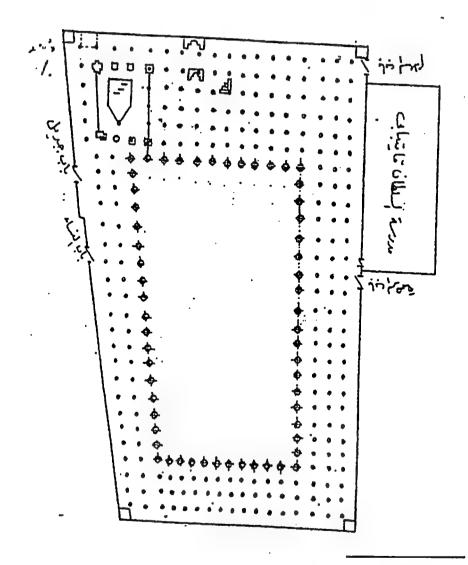
### المسجد النبوى الشريف وما حدث فيه من عمارة



(١) محمد حسين هيكل، في منزل الوحى، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.

# شـــکل (۳)(۱)

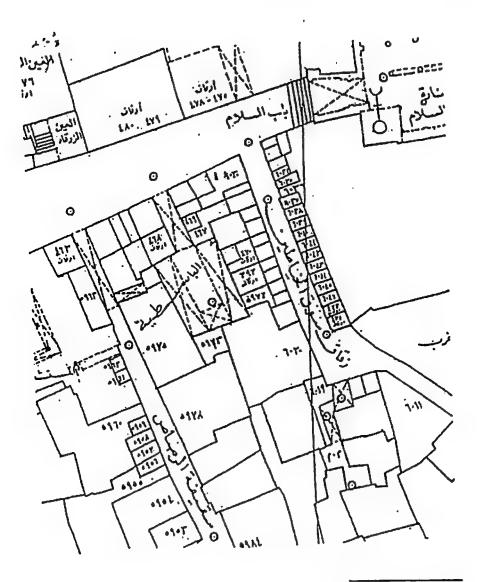
## عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوى الشريف ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م



<sup>(</sup>١) محمد هزاع الشهرى، عارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

## شـــکل ( ٤ )(١)

## مكان المدرسة الباسطية في المدينة المنورة



<sup>(</sup>١) مستخرجة من خريطة هيئة المساحة المصرية.

## رابعًا \_ نسخة تقليد بإمارة المدينة المنورة

تقاليد ما يجرى به القلم ويمضى السيف الحسام أفرادًا فى التحكيم وأنفة لمثله من ضرر التقسيم وفرارًا من الشركة المشتقة من الشرك ﴿إِنَ ٱلثِمْرِكَ لَظُلَّمُ عَظِيمٌ ﴾(١) ولاية تامة عامة كاملة شاملة لا يبقى من أهل نجد من لا يدخل فى حكمها وينضاف إلى قسمها وتقابل السوابق فى غاياتها وتقابل الجحافل تحت راياتها ويعد مع أهل بدر فيها ويعد من حقوقها ما يوفيها.

وقد سبق من الوصايا ما فيه غنى إلا ما لا تخل العوائد به مما يذكر هنا وقد حويت بحمد الله في جميع طباعك وجميل الحمد لله الفرد بلا ربك الواحد لا من أعداد تقتضى التشويك المليك الذي يتناهى إليه تقليد كل مليك.

نحمده حدًا يكمل مواهب التمليك ويحمد عواقب التسليك ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع التشكيك وتصد كل أفيك وتسد خلل التدريك ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير من حمى به عريك وحمى عليه تريك وحمل حتى تأتى له التحرير في التحريك وتأنى وما فاته على أعدائه النصر الوشيك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تخلص كالذهب السبيك وترفع ما شيد وتمنع ما شيك وسلم تسلياً كثرًا.

أما بعد فلها كانت المدينة الشريفة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - حرمًا لا يستباح وحمى ليس إلا لمن انتهكه دم مباح وجنابًا ما على من حله جناح ومهبط وحى لا يمسح بأركانه لغير الملائكة جناح ولا يمسك بعصمة من أغضى فيه على قذى وسكت لساكنيه على أذى (٢).

ولما اتصل بنا عن الروافض ما لا صبر لمسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ولا وجه

<sup>(</sup>١) (سورة لقيان، الآية: ١٣).

 <sup>(</sup>۲) القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الثانى عشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،
 بيروت، لبنان، ۱٤٠٧هـ/ ۱۹۸۷م.

لمن قنع فيها بإخراج يديه ولا عذر لمن لقى الله مغضبًا لما ينهى إليه لا مغضبًا لما ينال رسول الله على من التعرض إلى صاحبيه بما تقاضى منا ما يمحو ظلامه الممتد وظلمه المشتد وبدعهم فسواء من ابتدعها ومن ارتد - فمكنا بتقليدنا الشريف من أعطى الله وأعطانا على قوله موثقًا وجرد عزائم لا تردها من خدعهم الرقى وأشهد الله عليه ومن حضر أنه لا يدع هذه الفرقة الضالة حتى يدع يتيمها ويعد لمقاتل السيوف حطيمها: مما تضمنه نص ماضى ذلك التقليد وما ضم ذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ونبهنا على أنه بدر لم يبق مع طلوعه ظلمة ولا ظلامة ولا إضاعة ولا إضامة.

ولا ما تتجنب به الركاثب تمام الحج في مواقفها ولا تنكر ما جهلت في قباب قباء من معارفها وترد أعطانها ولا يسوقها إلى الأبرق بارق على إطلاله ولا يعجبها أن خيلا لها في النخيل مقيل في ظلاله.

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته ـ هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم الشريف من آلم كل قول يفترى ولم كل باطل يلم يقظة أو طيف كرى وإزالة كل شح فيها على من أمل قرى أم القرى وأماتة كل بدعة تسكب على مثلها العبرات وإماطة كل أذى من طريق منى والجمرات ومنع شقاشق شيعة تغلى مراجلها من الزفرات وقطع كل نجوى ينادون بها من وراء الحجرات وقلع طائفة لولا إقامة حدد الله لكفاهم ما يقطع أكبادهم من الحسرات وكان بها من أولاد أخيه، بل بعضه منه وبعضه من بنى أبيه من النهى عها تتحلى به شيم الشريف الشريفة وانتهى إلى ما لا يعنيه ولا يغنيه في تأخر خليفة وتقديم خليفة وأهمل حقوقًا عواقبها مع الله تعالى ورسوله على غيفة وأوهم عقوقًا لأصحابه بل له لقوله: "دعوا لى أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدى أحدهم ولا نصيفه " وبقى يتصل بنا في هذا المعنى ما لا يقال عما يقال عنهم ويصل أذاهم إلى رسول الله يحلى في صاحبيه وقد قال: "إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كها يرون النجم الطالع في أفق السهاء وأن أبا بكر وعمر منهم يطلبون في التقديم على من قدمه الله رد فئت ما جرى به القدر ويضربون صفحًا عها لا أراده الله ولا رسوله بحقي قدمه الله رد فئت ما قد بقى لى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر " مع قوله: "لا أدرى ما قد بقى لى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر " مع ما أضيف إلى هذا من قوادح نواب وفواتح أبواب وحوداث تزعج مقر النبوة أنباؤها ما أضيف إلى هذا من قوادح نواب وفواتح أبواب وحوداث تزعج مقر النبوة أنباؤها

وتمتد على مشارق الأنواء ظلماؤها وتغير عوائد الوفود فى كرامة زائرهم وإدامة بشاشة الملتقى لسائرهم وأمن سربهم أن يراع وشربهم أن يتمثل به لغير برق شعاع وضمنهم إلى ذلك الحمى الذى لا يضام نزيله ولا يرام فى طريق المجرة سبيله ولا يضل سار إليه ووجوه سكان الحمى دليله ولا يضيع وقد تلقاه من النسيم بليله ولا يقف وقفة المريب وضوء الصباح من أيمن النقا قنديله ولا يخشى وشعب ذلك الحى شعبه وقبيله قبيله وإراحة ركابهم التى أزعجها حادى السرى وإمتاعهم بقرب الجوار عوضًا من دموعهم عا جرى.

فلها لم يبق لمن أشرنا إليه - ممن أعطاني عهد موثقه وسار لا يريد إلا نقاء نقاه وبراءة أبرقه - إلا أن يحط بالمدينة الشريفة ركابه ويبعد الشكوى مما لا عهد من معاهدها اقترابه - أصر من فيها من ذوى قرابته على منعه أن يدخلها إلا بقتال يخل مقاعد الحرم ويحل معاقد الحرم ويشعل نارًا يصلى بها من لم تمتد له يد إليها إلى وقود ويروع من الألف فيها من يمتد له في غير مراتع غزلان النقا سجاف قيام معقود وقدم إلى أبوابنا العالية من كان فيها مقياً.

وأنعمنا عليه بإبقاء النصف ففاته الكل لما لم يقنع أن يكون قسيهًا فأبت حميتنا لله ولرسوله على الله المواطن المعظمة إلا أن نطهرها مما أسبلت على سريره أذيالها وما أطاقت على مضضه الأليم احتمالها.

فرسم بالأمر الشريف - ما زال قدره عاليًا وبره لا يخل بودى ولا يخلى مواليًا - أن تفوض إليه إمرة المدينة الشريغة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: مستقلا بأعبائها مستهلًا سحابه على أرجائها إمرة تستوعب جميعها وتستوعى أمر اسمه رباها وربوعها وعاصيها ومطيعها وتهائمها ونجودها وقريبها وبعيدها وكل ما يدخل لها في حد وينتظم لها في عد وأهل حاضرتها وباديتها وما تقف عليه من السحب ركائب رواعيها وغاديتها ومن تتبسم بهم ثناياها وتتنسم لهم أرواح بكرها وعشاياها ومن يضمهم جناحها المفضل ويلمهم وشاحها المفصل ويجمعهم جيشها السائر ويلفهم في شمله الدجى قمرها الزاهر - تفويضًا يدخل فيه كل شريف ومشروف ومجهول ومعروف ومستوطن من أهلها وغريب انتهت به إليها مطارح سبلها ما فيه تأويل ولا

تعليل ولا استثناء ولا انثناء ولا تخرج منه الأرض المغبرة ولا الروضة الغناء لا شبهة فيه لداحض ولا حجة لمعارض يستقل بها جميعها بدره التهام وبره الغهام وبحره الذى يأبى فريده أن يواخى فى نظام وأمره الذى يتلقى به عن الثقة من سادات بيته مقاليد الأحكام انطباعك من حق اعتزامك وصدق التزامك ما هو كالسنا للشمس والمنى للنفس مما تحسد على شرفه النجوم وتنافس العلياء ما تعلق به الغيوم.

فكمل بتقوى الله شرفك وأتبع في الشريعة الشريفة سلفك وكتاب الله المنزل أنتم أهل بيت فيكم تنزل وسنة جدكم سيدنا رسول الله ﷺ لا تهمل وهي مجدكم المؤثل ومعرفة حق من مضى عنكم وإلا فعمن تنقل ومنكم وإلا فممن تؤمل وإزالة البدع وإلا فلأى شيء سيوفكم تصقل ولماذا رماحكم تعدل والرافضة وغلاة الشيعة هم دنس من انتمى إلى هذا البيت الشريف بولائه وسبب وقوف من يقصد الدخول تحت لوائه فهم وأن حسبوا من أمداده ليسوا - وحاشى نوره الساطع - إلا من المكثرين لسواده أرادوا حفظ المودة في القربي فأخلوا وقصدوا تكثير عددهم فقلوا وأنف من هو بريء من سوء مذهبهم أن يتظاهر بالولاء فيعد من أهل البدع بسببهم مع أنهم طمعوا في رضاء الله فأخطاتهم المطامع وصحيح أنهم زادوهم عددًا إلا إنها كزيادة الشغياء أو كزيادة الأصابع. فصصم عزمك على ما عاهدت الله عليه من رفع أيدى قضاتهم ومنعهم هم ومن اتبع خطوات الشيطان في سبيل مرضاتهم وحذرهم مما لا يعود معه على أحد منهم ستر يسبل ولا يبقى بعده لغير السيف حكم يقبل فمن خاض للسلف الصالح بذم أغرق في تياره أو قدح فيهم زناد عناد أحرق بناره وألزم أهل المدينة الشريفة - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - بكلمة السنة فإنها أول ما رفعت بتلك المواطن المعظمة أعلامها وسمعت في تلك الحجرة المكرمة أحاكمها مع تعفية آثار ما ينشأ على هذه البدعة من الفتن حتى لا ينعقد لها نقع مثار وتوطئة أكناف ألحمي لئلًا يبقى به لمبطل في مدراج نطقه عثار والوصية بسكان هذا الحرم الشريف ومن ينزل به من نزيل ويجاور به مستقرًا في مهاد إقامة أو مستوفزًا على جناح رحيل ومن يهوى إليهم من ركائب ويأوى إليهم من رفقة مالت من نشوات الكرى بهم راقصات النجائب ومن يصل من ركبان الآفاق وأخوان لوى يتشاكون إليهم مر الفراق ومن يتلاقى بهم من طوائف كلهم فى بيوت هذا الحى عشاق وأمم شتى جموعهم من مصر وشام ويمن وعراق وما يصل معهم فى مسيل وفودنا وسبيل جودنا ومحاملنا الشريفة التى ينصب لنا بها فى كل أرض سرير وأعلامنا التى ما سميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير فمتى شعرت بمقدم ركابهم أو برقت لك عوارض الأقهار من سهاء قبابهم فبادر إلى تلقيهم وقبل لنا الأرض فى آثار مواطيهم وقم بها يجب فى طاعة الله وطاعة رسوله والمحتل وأخرج عنهم كل يد ولا تخرجهم عن جماعتنا وأهل البادية هم حزبك الجيش اللهام وحربك إذا كان وقودها جثث وهام وهم قوم لم يؤدبهم الحضر ولا يبيت أحد منهم لا فته على حذر فاستجلب بمداراتك قلوبهم الأشتات وبادر حبال إبلهم النافرة قبل الثبات وترقب مراسمنا المطاعة إذا ذرت لك مشارقها.

وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من الحروب بوارقها وأحسن كها أحسن الله إليك ولو لا أن السيف لا يحتاج إلى حلية لطلنا حمائل ما نمليه عليك فها شهد للشريف بصحة نسبه أزكى من عمله بحسبه والله تعالى يقوى أسبابك المتينة ويمتع العيون بلوامعك المبينة ويمسك بك ما طال به أرجاف أهل المدينة.

## المصادر والمراجع

```
أولًا - المصادر (١) حجب الأوقاف (٢) المصادر المخطوطة (٢) المصادر المطبوعة (٣) المصادر المطبوعة ثانيًا - المراجع (١) المراجع العسريسة (١) المراجع الأجنية المترجمة للعربية (٢) المراجع الأجنية المترجمة للعربية (٣) المراجع الأجنية
```

ثالثًا – الرسائيل العلمية

(١) رسائل الماجستير

(۲) رسائل الدكتوراه رابعًا - الدوريات العلمية

# أولًا - المصادر

### (١) حجرج الأوقساف

- (۱) حجة وقف السيفى أيتمش بن عبد الله الظاهرى مؤرخة فى ١٩ محرم سنة ٨٥١هـ، رقم الحجة (١١٤٣ ق)، الأوقاف.
- ( ٢ ) حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسنى مؤرخة فى ٢٧ محرم سنة ٨٠٨هـ، رقم الحجة ( ٦٢ )، رقم المحفظة ( ١٠ )، دار الوثائق القومية.
- (٣) حجة وقف الزيني عبد اللطيف الزمام مؤرخة في ١١ جمادي الأولى سنة ٩٠٣ مرقم الحجة (٣٥)، دار الوثائق القومية.
- ( ٤ ) حجة وقف السلطان الغوري رقم الحجة ( ٨٨٢ ق )، ( ٨٨٣ )، أوقاف، دراسة عبد اللطيف إبراهيم على.
- ( ٥ ) حجة وقف السلطان قايتباى مؤرخة في ١٥ ذى الحجة سنة ٨٩٥هـ، رقم الحجة ( ٨٩٠)، أوقاف، دار الوثائق القومية.
- (٦) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق مؤرخة في ٧ محرم سنة ١١٨هـ، رقم الحجة (٦٦)، رقم المحفظة (١١)، دار الوثائق القومية.

### (٢) المصادر المخطوطة

- \* على بن موسى (كان موجودًا سنة ١٣٠٣هـ)
- (١) رسالة في وصف المدينة المنورة، مخطوطة رقم (١٦٤٤) تاريخ، ميكروفيلم رقم (٣٠٧٧٩)، دار الكتب المصرية.
  - ابن فهد ( نجم الدين عمر بن محمد ت ١٤٨٥هـ/ ١٤٨٠م).
- (٢) الدرر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مخطوطة رقم (٣٠٣١)، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة.
- \* القليوبي (شهاب الدين أحمد القليوبي الأزهري الشافعي توفي أواخر شوال سنة ١٠٦٩هـ/ ١٠٦٩م)
- (٣) نبذة لطيفة في مباحث شريفة في تاريخ الحجاز ومعالمه، مخطوطة رقم (٢٤٩٢) تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم (٢٨٧١٦)، دار الكتب المصرية.
  - \* مؤلف مجهول
- (٤) المدينة المنورة وفضلها والقبر الشريف، مخطوطة رقم ( ١٩١٨) تاريخ طلعت، ميكروفيلم رقم ( ١٣٧٧٤)، دار الكتب المصرية.

#### (٣) المصادر المطبوعة

### (أ) القرآن الكريم

#### (ب) المصادر

- الإسحاقي ( محمد عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد المغنى بن على
   الإسحاقي المنوف من علماء القرن الحادى عشر الهجرى).
- (١) لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الشويخ، الكويت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- الإصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخرى المعروف
   بالكرخي ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)
- (٢) المسالك والمالك تحقيق د/ محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة د/ محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م
  - # ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م).
- (٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق/ محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.
  - \* ابن الأخوة ( محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م).
- (٤) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق/ محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.
  - الألوسى (السيد محمود شكرى ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م)
- ( ٥ ) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، الجزء الثالث، شرحه وصححه وضبطه/ محمد بهجت الأثرى، نشر/ أمين دمج، دار الشروق العربى، بيروت، دون تاريخ.
  - \* بابا التنبكتي ( أبو العباس أحمد باب بن أحمد ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م ).
- ( ٦ ) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الطبعة الأولى، تحقيق/ عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩م.
- ابن بطوطة (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى
   ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).
- (٧) رحلة ابن بطوطة المسهاه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق/ عبد الهادي التازي، المغرب، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

- \* البكرى ( عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسي ت ٤٨٧هـ).
- ( ٨ ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الجزء الأول، الثالث، الطبعة الثالثة، تحقيق/ مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- بن تغرى بردى ( جمال الدين أبو المحاسن يوسف ٨١٣ ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م ).
- ( ٩ ) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، الجزء الثاني، تحقيق/ محمد كمال الدين عز الدين، دون تاريخ.
- ( ۱۰ ) الدليل الشافى على المنهل الصافى، الجزء الأول، الثانى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ( ۱۱ ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، عدة أجزاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ۲۰۰۸م.
- ( ۱۲ ) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، الجزء الثالث، الرابع، تحقيق د/ نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥ –١٩٨٦م.
- # ابن جبیر ( أبی الحسین محمد بن أحمد بن جبیر ٥٤٠- ١١٤هـ/١١٥- # ١٢١٧م).
  - (١٣) رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
    - # الجزيرى (عبد القادر بن محمد الأنصارى ت ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م).
- (١٤) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، الجزء الأول، الثاني، الطبعة الأولى، تحقيق/ حمد الجاسر، دار اليهامة، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
  - \* ابن الحاج ( أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري ت ١٤٣٧هـ/ ١٤٣٣ م ).
- ( ١٥ ) المدخل، مدخل إلى الشرع الشريف على المذاهب، عدة أجزاء، القاهرة، ١٩٢٩ م.

- ابن حجر ( الحافظ شهاب الدین أحمد بن علی بن حجر العسقلانی ۷۷۳ ۸۵۲هـ/ ۱٤٤۸م).
- ( ١٦ ) إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق د/ حسن حبشى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ( ۱۷ ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، عدة أجزاء، الطبعة الثانية، تحقيق/ محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، دون تاريخ.
- الحسيني ( محمد كبريت بن عبد الله الحسيني المدني الموسوى ١٠١٢ ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م).
- ( ۱۸ ) الجواهر الشمينة في محاسن المدينة، الجوزء الأول، المطبعة الأولى، تحقيق د/ عائض الردادي، صفر ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م.
  - ابن حوقل ( محمد بن على بن حوقل البغدادى ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م )
    - (١٩) صورة الأرض، القسم الأول، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٦٧م.
  - \* ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ۱۶۰۵هـ/ ۱۶۰۵م)
  - ( ٢٠) مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ.
- ( ۲۱ ) العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبرالجزء، الأول، الرابع، الطبعة الأولى، تحقيق/ خليل شحادة، مراجعة/ سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1441هـ/ ١٩٨١م.
  - \* الخوارزمى ( محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧هـ).
- ( ۲۲ ) مفاتيح العلوم، الطبعة الأولى، تحقيق/ إبراهيم الإنبارى، بيروت، 18٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
  - \* دحلان (أحمد بن زيني ت ١٢٠٤هـ).

- ( ٢٣ ) خلاصة الكلام في أخبار أمراء البيت الحرام، القاهرة، ١٣٠٥ هـ.
- \* ابن رشید ( أبو عبد الله محمد بن عمر رشید الفهری السبتی ت ۱۳۲۱هـ/ ۱۳۲۱م).
- ( ۲۶ ) ملء العيبة بها جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الجزء الحامس، الطبعة الأولى، تحقيق/ محمد الحبيب بن الحوجه، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
  - # ابن الرومي ( محمد بن خضر الرومي الحنفي توفي في القرن العاشر الهجري).
- ( ٢٥ ) التحفة اللطيفة في عهارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة الطبعة الأولى، ضمن رسائل في تاريخ المدينة، تقديم وإشراف/ حمد الجاسر، منشورات دار اليهامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
  - السخاوى ( الإمام شمس الدين السخاوى ت ٢٠٩هـ/ ١٤٩٦م ).
- ( ٢٦ ) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عدة أجـزاء، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
  - ( ٢٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، عدة أجزاء، القاهرة، ١٩٣٤ م.
- (۲۸) التبر المسبوك فى ذيل السلوك، الجزء الأول، الشانى، تحقيق أ.د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 18۲۳هـ/٢٠٠٢م.
- ( ۲۹ ) وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام، الجزء الثالث، تحقيق/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
  - \* السمهودي (على بن عبد الله بن أحمد الحسنى ١٤٤ه ٩٢٢هـ).
- ( ٣٠ ) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، عدة أجزاء، الطبعة الرابعة، تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- (٣١) الوفا بها يجب لحضرة المصطفى، تقديم/ حمد الجاسر، ضمن رسائل في تاريخ المدينة، الرياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ( ٣٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ، الجزء الأول، الثاني، الطبعة الأولى، تحقيق د/ على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
  - السيوطي ( الإمام جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ).
- ( ٣٣ ) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة، تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الأمين، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ابن شاهین الظاهری ( زین الدین عبد الباسط بن خلیل الحنفی ۱۸۶۶
   ۹۲۰هـ).
- ( ٣٤ ) نيل الأمل فى ذيل الدول، مخطوطة مكتبة بوديتان بأكسفورد رقم ٢٦٠، ٢٨٥ الله المسلم السابع ( ٣٤ ) القسم السادس من الجزء الثانى ٨٦١ ٨٩٥ من الجزء الثانى ٨٩١ ٨٩٥ من الجزء الثانى ٨٩١ ٨٩٥ من الجزء الثانى ٨٩١ ٨٩٥ من الطبعة الأولى، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.
- بن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)
   ( ٣٥ ) زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك، الطبعة الثانية، نشره بولس راويس، دار العرب، القاهرة، ١٩٨٨م.
  - \* ابن شبة ( أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري ١٧٣هـ ٢٦٢هـ).
- ( ٣٦ ) تاريخ المدينة المنورة، الجـزء الأول، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
  - ابن الصیرفی ( الخطیب الجوهری علی بن داود الصیرفی ت ۹۰۰هـ).
- ( ٣٧ ) إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق د/ حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- ( ٣٨ ) نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان، الجزء الأول، تحقيق أ.د/ حسن حبشى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م. الجزء الثالث، الرابع، تحقيق أ.د/ حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- \* ابن طولون (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن على بن أحمد ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م).
- ( ٣٩) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان "تاريخ مصر والشام "، القسم الأول من سنة ١٨٨ إلى سنة ١٢١هـ ( ١٤٨٠ ١٥١٥ م)، تحقيق/ محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢ م.
  - # ابن ظهيرة، شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن ظهيرة الحنفى.
- ( ٤٠ ) روضة الأديب ونزهة الأريب، منشور ضمن بحوث الندوة الدولية في تاريخ القاهرة، عن النظم الإدارية بمصر في القرن التاسع الهجري، القاهرة، ١٩٧١م.
  - \* العباسى ( الشيخ أحد بن عبد الحميد العباسى ت ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م).
- ( ٤١ ) عمدة الأخبار في مدينة المختار، الجزء الخامس، تصحيح وتحرير الألفاظ / الشيخ محمد الطيب الأنصارى، أوضح غوامضه وأضاف إليه ناشره السيد/ أسعد طرابزونى، طبعه/ أسعد طربرازونى الحسينى، دون تاريخ.
- الله عبد العزير بن فهد (عز الدين بن عبد العزير بن عمر بن محمد عبد العزير بن عمر بن محمد ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م).
- ( ٤٢ ) غاية المرام بأخبار البلد الحرام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١هـ/ ١٩٨٦م.
  - ( ٤٣ ) بلوغ القرى في الذيل على إتحاف الورى، الجزء الأول، دون تاريخ.
    - \* العصامي ( عبد الملك بن حسين ت ١٠١١هـ/ ١٦٨٩م ).

- ( ٤٤) سمط النجوم العوالى فى أنباء الأواثل والتوالى، الجزء الرابع، المطبعة السلفية، القاهرة، دون تاريخ.
  - \* ابن العماد (أبو الفلاح بن عبد الحي بن أحمد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ).
  - ( ٤٥ ) شذرات الذهب بأخبار من ذهب، الجزء السابع، القاهرة، دون تاريخ.
  - #عمر بن فهد ( محمد بن محمد بن محمد بن عمد بن فهد ١٢٨هـ ٨٨٥هـ)
- ( ٤٦) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الجزء الثالث، الرابع، تحقيق وتقديم/ فهيم محمد شلتوت، دار المدنى، جدة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
  - \* العيني (بدرالدين محمود بن أحمد بن موسى ت ١٥٥٥هـ/ ١٤٥١م).
- ( ٤٧ ) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق د/ محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٨م.
  - الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ).
  - ( ٤٨ ) إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، دون تاريخ.
    - \* الغزى (نجم الدين محمد ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م).
- ( ٤٩ ) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، الطبعة الثانية، تحقيق/ جبرائيل سليهان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.
- الفاسى ( الحافظ أبى الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على المكى المالكى
   ٨٣٢-٧٧٥ ).
- ( ٥٠ ) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الجزء الأول، الثانى، دار الكتب العلمية، دون تاريخ.
- ( ٥١ ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، عدة أجزاء عدة أجزاء، تحقيق/ فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- \* الفيروزآبادى ( مجدالدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب ٧٢٩-٧٢٣هـ/ ١٣٢٩-

- ( ٥٢ ) المغانم المطابة في معالم طابة، الطبعة الأولى، تحقيق/ حمد الجاسر، منشورات دار اليهامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- ( ٥٣ ) القاموس المحيط، الجزء الأول، المؤسسة العربية للطباعة، بيروت، دون تاريخ.
- \* القلقـشندى (شـهاب الـديـن أبو العـباس أحـد بن عـلى القلقـشندى ت ١٤١٨هـ/ ١٤١٨م).
- ( ٥٤ ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء عدة أجزاء، تعليق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
  - ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٠٩ ٢٧٣هـ).
- ( ٥٥ ) سنن ابن ماجه، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
  - \* ابن المجاور ( جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد ).
- ( ٥٦ ) صفة بلاد اليمَنُ ومكة وبعض الحجاز المسهاه تاريخ المستبصر، تحقيق/ أوسكر لوفغرين، دونُ تُأريخ.
  - \* المراغى ( زين الدين أبي بكر بن الحسين ت ١٦٨هـ/١٤١٩ م).
- ( ٥٧ ) تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، الطبعة الثانية، تحقيق/ محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية، المدينة، ١٩٨١هـ/ ١٩٨١م.
- \* المقدسي (أبو عبد الله عبمد بن أحد بن أبى بكر البناء المعروف بالبشارى ت ١٣٨٧هـ).
- ( ٥٨ ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1811 هـ/ ١٩٩١م.

- القريزى (تقى الدين أحمد بن على ٧٦٦- ٨٤٥هـ).
- ( ٥٩ ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأثمة الفاطميين الخلفا، الجزء الأول، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.
- ( ٦٠ ) السلوك لمعرفة دول الملوك، عدة أجزاء، تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠م.
  - \* الملطى (عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطى ٤٤٨-٩٢٠هـ).
- ( ٦٦ ) نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، الطبعة الأولى، تحقيق/ محمد كمال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
  - ابن منظور ( محمد بن مكرم بن على ت ٧١١هـ/ ١٣١١م ).
- ( ٦٢ ) لسان العرب المحيط، عدة أجزاء، إعداد/ يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، دون تاريخ.
  - النابلسي (عبد الغني بن إسماعيل النابلسي ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م).
- ( ٦٣ ) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد د/ أحمد عبد المجيد هريدي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
  - \* ابن النجار ( الحافظ محمد بن محمود ٥٧٣-١٤٧هـ).
- ( ٦٤ ) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، الطبعة الأولى، تقديم وتحقيق وتعليق/ محمد زينهم محمد عزب، من تراث الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
  - النهروالي ( محمد بن أحمد بن محمد النهروالي ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م ).
- ( ٦٥ ) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، عدة أجزاء، تحقيق د/ على محمد عمر، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- \* ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
  - ( ٦٦ ) معجم الأدباء، الجزء السادس عشر، دار المستشرق، بيروت، دون تاريخ
- ( ٦٧ ) معجم البلدان، المجلد الخامس، تراث العرب، دار صادر، بيروت، 1٩٨٤ هـ/ ١٩٨٤م.
  - \* اليعقوبي ( أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت ٢٨٤هـ).
    - ( ٦٨ ) البلدان، دون طبع، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م.
    - \* اليوسفى ( موسى بن محمد بن يحيى اليوسفى ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م ).
- ( ٦٩ ) نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، الطبعة الأولى، تحقيق/ أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

## ثانيًا - المسراجع

### (١)- المراجع العسربية

- # إبراهيم البيومي غانم ( دكتور ).
- (١) الأوقاف والسياسة في مصر، الطبعة الأولى، دار الـشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
  - \* إبراهيم حسن سعيد ( دكتور ).
  - (٢) البحرية في عصر سلاطين الماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.
    - \* إبراهيم حلمـى.
    - (٣) المحمل، مكتبة التراث الإسلامي، دون تاريخ.
      - إبراهيم رفعت باشا.

- ( ٤ ) مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، الجزء الأول، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.
  - \* أحمد إبراهيم الشريف (دكتور).
- ( ٥ ) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1878هـ/٢٠٠٣م.
  - \* أحمد دراج ( دكتور ).
- (٦) الماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
  - أحمد عبد الرازق أحمد ( دكتور ).
- ( ٧ ) البذل والبرطلة زمن سلاطين المهاليك ( دراسة عن الرشوة ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
  - \* أحمد رجب محمد على ( دكتور ).
- ( ٨ ) المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الطبعة الأولى، المدار المصرية اللبنانية، رمضان ١٤٢٠هـ/ يناير ٢٠٠٠م.
  - # أحمد السباعي.
- ( ۹ ) تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتهاع والعمران، الجزء الأول، الثاني، الطبعة السادسة، مطبوعات نادى مكة الثقافي، مكة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
  - \* أحمد الشرباصي.
  - (١٠) المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
    - \* أحمد عمر الزيلعي.
- ( ۱۱ ) مكة وعلاقاتها الخارجية ( ۳۰۱–۴۸۷هـ )، الرياض، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ.

- \* أحمد فؤاد الأهواني.
- ( ۱۲ ) التربية فى الإسلام والتعليم فى رأى القابسى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.
  - البرادعي.
- ( ١٣ ) الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٤هـ.
  - \* أحمد هاشم أحمد بدر شيني ( دكتور ).
- ( ١٤ ) أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي ( دراسة تاريخية وثائقية حضارية) الطبعة الأولى، إصدار خاص بمناسبة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
  - \* أحمد ياسين الخيارى.
- ( ١٥ ) تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، المملكة العربية العر
  - الله بن صالح الرقيبة ( دكتور ).
- ( ١٦ ) الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة التوسعات والتطوير، صدرت هذه السلسلة عن وزارة التعليم العالى والجامعات السعودية بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم ١٤٠٢هـ عامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ ١٤٢٢هـ.
  - \* عبد الله عبد العزيز بن إدريس،
- ( ۱۷ ) مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، الطبعة الأولى، الناشر عهادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- \* عبد الله قاسم الوشلي.
- ( ۱۸ ) المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية، سلسلة نحو النور ( ۹ )، دار التوزيع والنشر الإسلامية، دون تاريخ.
  - \* عبد الباسط بدر ( دكتور ).
- ( ١٩ ) التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
  - # توفيق اليوزبكي ( دكتور ).
- ( ۲۰ ) تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي، وزارة التعليم العالى والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
  - \* جميل حرب محمود حسين ( دكتور ).
- ( ۲۱ ) الحجاز واليمن في العصر الأيوبي الطبعة الأولى، دار تهامة، جدة، السعودية، ١٩٨٥ م.
  - \* حاجى خليفة (ت١٠٦٩هـ/١٦٥٨م).
- ( ۲۲ ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون الجزء الأول، تحقيق/ محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.
  - الله خامد زيان غانم ( دكتور ).
- ( ٢٣ ) الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر عصر سلاطين المهاليك، القاهرة، ١٩٧٦م.
  - \* حسن إبراهيم حسن ( دكتور ).
- ( ٢٤ ) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الثاني، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م.

- \* حسن الياشا ( دكتور ).
- ( ٢٥ ) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
  - الله حسنين محمد ربيع ( دكتور ).
- ( ٢٦ ) وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانئ الحجاز واليمن في العصورالوسطى، ضمن الكتاب الأول من مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٩٧٩م.
  - \* حسين على المصطفى.
- ( ۲۷ ) أضواء على معالم المدينة المنورة وتاريخها، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
  - \* حكيم أمين عبد السيد ( دكتور ).
- ( ۲۸ ) قيام دولة الماليك الثانية تقديم د/ محمد مصطفى زيادة، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، وزارة الثقافة، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.
  - # حمد الجاسر.
- ( ۲۹ ) رسائل فى تاريخ المدينة، تقديم وإشراف/ حمد الجاسر، الطبعة الأولى، منشورات دار اليهامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ۱۳۹۲هـ/ ۱۹۷۲م.
- ( ٣٠) بلاد ينبع، لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، منشورات دار اليهامة، الرياض، دون تاريخ.
  - \* حياة ناصر الحجى ( دكتورة ).
- ( ٣١ ) أنهاط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتهاعية في سلطنة المهاليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والحامس عشر الميلاديين، الكويت، ١٩٩٥م.

- \* دخيل الله عبد الله الحيدري.
- ( ۳۲ ) التعليم الأهلى في المدينة المنورة من ١٣٤٤هـ إلى ١٤٠٨هـ، دراسة تاريخية وصفية، منشورات نادى المدينة المنورة الأدبى (٧٠)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
  - \* راشد سعد راشد القحطاني.
- ( ٣٣ ) أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
  - ( دكتور ).
- ( ٣٤ ) السكة الإسلامية في مصر عصر دولة الماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
  - \* عبد الرازق القرموط.
- ( ٣٥ ) العلاقات المصرية العثمانية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م.
- ( ٣٦ ) الحرم النبوى الشريف وصفحات من تاريخ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٧م.
  - سحر بنت عبد الرحن مفتى الصديقى.
- ( ٣٧ ) أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
  - \* سعيد عبد الفتاح عاشور ( دكتور ).
  - ( ٣٨) الأيوبيون والماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، ١٩٩٦م.
  - ( ٣٩ ) العصر الماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

- ( ٤٠ ) المجتمع المصرى في عصر سلاطين الماليك، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.
  - السلام هاشم حافظ.
- ( ٤١ ) المدينة المتورة في التاريخ، دراسة شاملة، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، دون تاريخ.
  - ₩ سيد سابق.
  - (٤٢) فقه السنة، الجزء الأول، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٦٥ هـ.
    - # صالح لمعي مصطفى.
- (٤٣) المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
  - پ صبحی عبد المنعم محمد ( دکتور ).
- ( ٤٤ ) العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، العربي للنشر والتوزيع، دون تاريخ.
- ( ٤٥ ) المجتمع الحجازى في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، المكتبة التاريخية، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
  - طرفة عبد العزيز العبيكان.
- ( ٤٦ ) الحياة العلمية والاجتهاعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
  - «طه عرفة.
- (٤٧) فضائل المدينة المنورة، تقديم/ محمد عبد المنعم البرى، حمدى عبد المقصود، القاهرة، ١٩٩٥م.

- \* عارف أحمد عبد الغنى.
- ( ٤٨ ) تاريخ أمراء المدينة المنورة ١ هـ- ١٤١٧ هـ، سلسلة كتب تواريخ المدن (٣)، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، دون تاريخ.
  - \* عائشة بنت عبد الله باقاسي.
- ( ٤٩ ) بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى ( ٥٦٧ ٦٤٨هـ/ ١١٧١ ١٢٥٠م )، الطبعة الأولى، منشورات نادى مكة الثقافى، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هــ/ ١٩٨٠م.
  - 🗯 عثران على محمد عطا.
- ( ٥٠ ) الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثرها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ( ٦٤٨ ١٢٥٠ م) تاريخ المصريين ( ٢١٣ )، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون تاريخ.
  - \* عدنان على الفراجي ( دكتور ).
- ( ٥١ ) الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
  - \* عدنان محمد فايز الحارثي .
- (٥٢) عمارة المدرسة في مصر والحجاز (في القرن ٩ هـ/ ١٥م)، دراسة ومقارنة الجزء الأول، ضمن سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها (١٣)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
  - \* على حافظ.
- ( ٥٣ ) فصول من تاريخ المدينة المنورة شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جـدة، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ.

- النباهين.
- ( ٥٤ ) نظام التربية الإسلامية في عصر دولة الماليك في مصر، الطبعة الأولى، مكتبة التربية الإسلامية ( ٣ )، إشراف د/ إبراهيم عصمت مطاوع، د/ عبد الغنى عبود، دار الفكر العربي، ١٩٨١م.
  - \* على السيد على ( دكتور ).
- ( ٥٥ ) الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين الماليك ٦٤٢-٩٢٣هـ، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- (٥٦) الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين الماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-
  - # على بن حسين السليان.
- (٥٧) العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين الماليك، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ( ٥٨ ) النشاط التجارى في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى الطبعة الأولى، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١م.
  - الله عمر الفاروق سيد رجب ( دكتور ).
- ( ٥٩ ) الحجاز، أرضه وسكانه، دراسة إيكولوجية، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
  - ( ٦٠ ) المدن الحجازية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.
- ( ٦١ ) المدينة المنورة التركيب الوظيفي... النمو والتغيرات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م.
  - عواطف محمد يوسف نواب.
- ( ٦٢ ) الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز فى القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة -، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- فاروق أباظة .
- ( ٦٣ ) عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٨١م.
  - خسين حسين ،
- ( ٦٤ ) الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموى، مطبعة دار الشعب، عمان، ١٩٧٨ م.
  - 🕸 فليب حتى .
- ( ٦٥ ) تاريخ العرب، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ترجمة/ محمد مبروك نافع، ١٩٥٢م.
  - \* قاسم عبده قاسم ( دكتور ) .
- ( ٦٦ ) النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين الماليك، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.
  - « قاسم عبده قاسم، على السيد على ( دكتوران ) .
- ( ٦٧ ) الأيوبيون والماليك ( التاريخ السياسي والعسكري )، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتهاعية، ١٩٩٥م.
  - \* عبد القدوس الأنصاري.
- ( ٦٨ ) آثار المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.
  - \* عبد اللطيف إبراهيم على ( دكتور ) .
- ( ٦٩) وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، الجزء الثانى، الثالث، الكتاب الأول، من أبحاث المؤتمر الدولي لتاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩م
  - (٧٠) المكتبة المملوكية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٢م.

- \* عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش ( دكتور ).
- ( ٧١ ) عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوى فى العهد السعودى، دراسة تاريخية حضارية، صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

#### الله محمد أحمد دهمان

- ( ۷۲ ) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
  - . \* محمد جمال الدين سرور ( دكتور ).
- ( ٧٣ ) تاريخ الدولة الفاطمية، تقديم د/ عصام عبد الرءوف الفقى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م.
  - الله محمد حسين هيكل.
  - ( ٧٤ ) في منزل الوحى الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.
    - المحدد عزة إسهاعيل الحداد.
- ( ٧٥ ) الأسبلة في العيارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة " دراسة تاريخية آثارية "، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، سلسلة العيارة الإسلامية في الجزيرة العربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٤م.
  - \* محمد الخضري ( دكتور ).
- ( ٧٦ ) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ( الدولة الأموية )، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
  - \* محمد عبد الرحن الشامخ.
  - ( ۷۷ ) التعليم في مكة والمدينة، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م.

- \* محمد صالح البليهشي
- ( ٧٨ ) المدينة المنورة، الطبعة الأولى، هذه بلادنا ( ٧ )، دون تاريخ.
  - \* محمد على فهيم بيومي ( دكتور ) .
- ( ۷۹ ) دور مصر فی الحیاة العلمیة فی الحجاز إبان العصر العثمانی ( ۹۲۳-۱۲۲۰هـ/۱۰۱۷–۱۸۰۰م)، دار القاهرة، ۱۲۲۲هـ/۲۰۰۲م.
- ( ۸۰ ) مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثباني في الفترة من ٩٢٣ ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧ م، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
  - \* محمد لبيب البتنوني.
- ( ٨١ ) الرحلة الحجازية لولى النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني حديوى مصر، الطبعة الأولى، مطبعة مدرسة والدة عباس الأولى، القاهرة، ١٣٢٧ هـ.

4 . . .

- \* محمد عبد اللطيف هريدي ( دكتور ).
- ( ٨٢ ) شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
  - خمد محمد أمين ( دكتور ).
- ( ۸۳ ) الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.
  - 🐲 محمد محمو د خلف العناقرة . 🤄
- ( ٨٤ ) الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المهاليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٤٥٠ -١٢٥١م، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- # محمد المنوني.
- ( ٨٥ ) الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، الجزء الثاني، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، دون تاريخ.
  - \* محمد هزاع الشهرى.
- ( ٨٦ ) عمارة المسجد النبوى منذ أنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
  - # محمود الشرقاوي .
  - ( ۸۷ ) المدينة المنورة، دار الشعب، القاهرة، دون تاريخ.
    - \* مختار محمد بلول.
- ( ۸۸ ) المدينة المنورة درة المدائن، الطبعة الأولى، دار بلول للنشر والتوزيع، الرياض، ٨٨ ) المدينة المنورة درة المدائن، الطبعة الأولى، دار بلول للنشر والتوزيع، الرياض،
  - نعيم زكى فهمى ( دكتور ).
- ( ٨٩ ) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
  - # يحيى محمود جنيد الساعاتي.
- ( ٩٠) الوقف وبنية المكتبة العربية، استبطان الموروث الثقافى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، دون تاريخ.
  - (٢) المراجع الأجنبية المترجمة للعربية
    - استيف.
- (۱) كتاب وصف مصر، النظام المالى والإدارى، الجزء الخامس، ترجمة/ زهير الشايب، دار الشايب، القاهرة، ۱۹۷۹م.

- # آدم مـتز.
- ( ۲ ) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، الجزء الثانى، ترجمة/ محمد عبد الهادى أبو ريدة، مكتبة الخانجى، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
  - اليوب صبرى باشا.
- (٣) مرآة جزيرة العرب، الجزء الأول، ترجمة د/ أحمد فؤاد متولى، د/ الصفصافي أحمد المرسى، دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
  - \* ك. سنوك هورخرونيه.
- ( ٤ ) صفحات من تاريخ مكة المكرمة، الجزء الأول، ترجمة د/ على عودة الشيوخ، تعليق/ محمد محمود السرياتي، د/ معراج نواب مرزا، مراجعة د/ محمد إبراهيم على، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس الملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
  - التر هنتس.
- ( ٥ ) المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة/ كامل العلى، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

# (٣)- المراجع الأجنبية

- \* Ashtor Eliyahu
- (1) East-West Trade In The Medieval Mediterranean Variorur Reprints London (1986.
  - \* Lane Poole
  - (2) History Of Egypt In The Middle Ages, London: 1925.

# ثالثًا - الرسائل العلمية

- \* أحمد عبد الحميد خفاجي
- (١) موقف مصر من الحجاز في عصر الماليك الجراكسة (١٤٢٦-٩٢٣هـ/ ١٤٣٨ ١٤٣٨ . ١٥١٧ م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٨م.
  - # أمنه حسين محمد على جلال.
- (٢) طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ٩٢٨-١٢٥٨ م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف أ.د/ أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٧٠٤١هـ/ ١٩٨٧م.
  - » ريتشارد مورتيل.
- (٣) الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراه فى الأداب، إشراف د/ محمد جمال الدين سرور، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
  - # سليان صالح كمال.
- (٤) إمارة الحج في العصر العباسي (١٣٢-٢٤٧هـ/ ١٧٤٩م)، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف د/ السيد محمد أبو العزم داود، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
  - \* سليان عطية.
- (٥) سياسة الماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباى (١٢٥٠- ١٢٥٠) رسالة دكتوراه، إشراف دكتور/ محمد مصطفى زيادة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٩م.
  - « سوزان مصطفى محمد.
- (٦) الأوضاع السياسية والحضارية لمصر في عصر السلطان أبو سعيد الظاهر جقمق (٦) الأوضاع السياسية والحضارية المصر في عصر السلطان أبو سعيد الظاهر جقمق (٦) الأول، إشراف

د/ عبد العزيز محمود عبد الدايم، د/ رأفت محمد النبراوي، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

#### \* عائشة مانع عبيد العبدلي

- (٧) إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة (٦٤٨ ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٨ م)، دراسة تاريخية تحليلية، رأسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف د/ جميل عبد الله المصرى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م.
  - \* عبد العظيم حامد خطاب
- ( ۸ ) قانصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكية فى مصر والشام، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د/ حسن حبشى، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م.
  - \* عبد الغنى محمود عبد العاطي.
- ( ٩ ) التعليم في مصر زمن الأيوبيين والماليك، رسالة ماجستير، إشراف د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.
  - عبد الفتاح أحمد دسوقي.
- ( ۱۰ ) الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، رسالة ماجستير، إشراف أ.د/ محمد صبحى عبد الحكيم، معهد الدراسات الإسلامية، دون تاريخ.
  - \* عبد اللطيف إبراهيم على.
- ( ۱۱ ) دراسات تاریخیة وأثریة فی وثائق من عصر الغوری، رسالة دکتوراه، الجزء الأول، الجزء الثانی، إشراف أ.د/ محمد مصطفی زیادة، د/ فرید شافعی، فرع الآثار الإسلامیة، قسم الآثار، کلیة الآداب، جامعة القاهرة، ۱۳۷۲هـ/۱۹۵۹م.

- \* محمد أمين صالح.
- (١٢) التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر الماليك الجراكسة، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د/ حسن حبشى، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ديسمبر ١٩٦٩م.
  - الله محمد عفيفي عبد الخالق عفيفي.
- ( ۱۳ ) الأوقاف ودورها في الحياة الاقتصادية في مصر ( ۹۲۳- ۱۰۲۹ مرا ۱۰۲۹ مرا الاقتصادية في مصر ( ۹۲۳- ۱۰۲۹ مرا ۱۰۲۹ مرا المراف د/ رءوف عباس حامد، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ۱۹۸۵م.
  - \* محمد محمد حسن بحرية شراب.
- ( ۱٤ ) تاريخ المدينة المنورة في العصر الأموى، رسالة ماجستير، إشراف أ.د/ على حسنى الخربوطلي، معهد الدراسات الإسلامية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
  - عبد الواحد محمود عبد الله يوسف.
- ( ١٥ ) الوقف ودوره في تنمية المجتمع رسالة ماجستير، إشراف أ.د/ محمد شوقى الفنجري، معهد الدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

# رابعًا - الدوريات العلمية

- » أحمد هاشم أحمد بدرشيني.
- (١) أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة في العهد المملوكي، عجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الرابع عشر، رجب ذو الحجة ٢٠٤٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م يناير ٢٠٠٦م.
- ( ٢ ) مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة إبان القرن الثامن الهجرى من خلال كتب الرحالة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الرابع

- عشر والخامس عشر، رجب ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م يناير٢٠٠٦م.
  - ا أحمد محمد شعبان.
- ( ٣ ) أسوار المدينة المنورة في التاريخ، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثاني عشر، محرم ربيع الأول ١٤٢٦هـ/ مارس- مايو ٢٠٠٥م.
  - \* أحمد محمد عدوان ( دكتور ).
- (٤) المكانة العلمية والاجتماعية للمرأة في مصر في العصر المملوكي، مجلة العصور، المجزء الأولى، المجلد الرابع، دار المريخ للنشر، لندن، جمادي الأولى، ١٤٠٩هـ يناير ١٩٨٩م.
- ( ٥ ) المكانة العلمية للمرأة في أرض الحرمين الشريفين، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.
  - \* آمنة حسين جلال ( دكتورة ).
- ( ٦ ) الأسرات العلمية في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي ٦٤٨- ٩٢٣ هــ/ ١٢٥٠ م، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، المجلد الثاني، العدد الرابع، يونيو ٢٠٠٩م.
  - \* عبد الباسط عبد الرزاق بدر.
- (٧) الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، بجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الخامس، ربيع الثاني جمادي الآخرة ١٤٢٤هـ/ يونيو أغسطس ٢٠٠٣م.
  - \* جميل حرب محمود حسين ( دكتور ).
- ( ٨ ) المدينة المنورة في العصر الأيوبي، نادى المدينة المنورة الأدبى، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، ضمن دراسات حول المدينة المنورة من محاضرات النادى الأدبى، الكتاب رقم ( ٩٨ )، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- الله مراد . الله مراد .
- (٩)المجاورونالمصريون في الحرمين الشريفين (٦٧ ٥-١٤٧ هـ/ ١٧١ ١٢٥٠م)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ( ٣٨ )، القاهرة، ١٩٩١ – ١٩٩٥م.
  - خالد بن محمد بن إبراهيم أحمد النعمان.
- ( ۱۰ ) تاريخ أسواق المدينة المنورة، نادى المدينة المنورة الأدبى، المجلد الثانى، الطبعة الأولى، ضمن دراسات حول المدينة المنورة من محاضرات النادى الأدبى، الكتاب رقم ( ۹۸ )، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
  - پ سهیل صابان ( دکتور ).
- ( ١١ ) أوليا جلبى ورحلته إلى الحجاز في أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.
  - \* عائشة عبد العزيز محمد التهامي.
- ( ۱۲ ) أضواء على بعض التحف الفنية التي أهداها السلطان قايتباي للحجرة النبوية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس، المجلد الأول، مارس ١٩٩٧م.
  - \* عبد الكريم كريم،
- ( ۱۳ ) بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشرللهجرة، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
  - \* عبد اللطيف إبراهيم على.
- ( ۱٤ ) وثيقة وقف مسرور عبد الله الشيلي الجمدار ( دراسة )، مجلة كلية الآداب، الجزء الثاني، المجلد الحادي والعشرون، جامعة القاهرة، ١٩٦٣م.

- \* عبد الوهاب عزام.
- ( ١٥ ) اهتهام المسلمين بدور العلم وخزائن الكتب، مجلة جامعة الملك سعود، العدد الثاني، السنة الثانية، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩م.
  - \* ليلي سعيد سويلم الجهني.
- ( ١٦ ) رحلة القيسى إلى المدينة المنورة المساة " أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب "، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد السادس، رجب رمضان ١٤٢٤هـ/ سبتمبر نوفمبر ٢٠٠٣م.
  - ا مصطفى نبيل.
- (١٧) المدينة المنورة طيبة الحجاز، مجلة العربي، العدد ٢٥٢، ذو القعدة ١٣٩٩هـ/ نوفمبر ١٩٧٩م.
  - \* محمد القاضي.
- (۱۸) المدينة المنورة في رحلة أبى سالم العياشى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الحادى والعشرون، ربيع الثانى جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ مايو يولية ٢٠٠٧م.
  - \* محمد محمود السرياني ( دكتور ).
- ( ۱۹ ) السكن الحضرى ضمن كتاب المدينة المنورة البيئة والإنسان " دراسة علمية عكمة "، الطبعة الأولى، إشراف أ.د/ محمد أحمد الروثى، أ.د/ مصطفى محمد خوجلى، ١٤١٨ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٧ ١٩٩٨ م.
  - پسرى أحمد زيدان ( دكتور ) .
- ( ۲۰ ) دور الهنود في الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين الماليك مجلة المؤرخ العربي، المجلد الأول، العدد الثاني عشر، القاهرة، مارس ٢٠٠٤م.

# المؤلف في سطور

الاسم: حسن أحمد حسن بركة.

الشهرة: حسن بركة.

تاریخ المیلاد: ۲۰/ ۱۹۷۳/۳ م

محل الميلاد: قرية أتريس - مركز منشأة القناطر (مركز إمبابة سابقًا) - محافظة

الجيزة.

المؤهلات:

\_ليسانس تاريخ \_ كلية الآداب \_ جامعة عين شمس.

- دبلوم المعهد العالى للدراسات الإسلامية

- ماجستير في التاريخ الإسلامي.

- دبلوم العلاقات العامة والإعلان - كلية الإعلام - جامعة القاهرة.

- باحث دكتوراه - كلية الآداب - جامعة طنطا.

العضوية:

-عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

-عضو جمعية العلاقات العامة العربية.

-عضو جمعية خريجي الإعلام.

-عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

صدر للمؤلف:

دُروب الأمل "مجموعة قصصية". ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

# الفهرس

إهداء	٥
تقديم	٩
المقدمة	11
عَهيد	<b>۲۳</b>
الفصل الأول: الأحوال السياسية في المدينة المنورة	٣٧
الفصل الثاني: الأحوال الاقتصادية في المدينة المنورة	٦٥
الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة	119
الفصل الرابع: الحركة العمرانية في المدينة المنورة	٧٤٧
الفصل الخامس: الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة	۱۸٥
الخاتمة	۲۳۱
الملاحق	777
المصادر والمراجع	777
المؤلف في سطور	<b>Y 9 V</b>
الفهرسالفهرس المستمللة المستملة المستمللة المستمل المستمللة المستملسة المستمللة المستملسة المستمللة المستملة المستمللة المستمللة المستمللة المستمللة المستمللة المستمللة المستمللة المستمللة المستمللة المستملة المستمللة المستملية المستملة المستملية المستملية المستملية المستملية المستملية المستملية الم	499

# منافذ بيع

# الهيئة المصرية العامة للكتاب

#### مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

#### مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت: ۱۱۳۱۱۷۰۳

#### مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعي

بالجامعة - الجيزة

#### مكتبة رادوييس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

# مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع محطة المساحة – الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

#### مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

Y0VV0 . . .

ت: ۲۵۷۷۵۲۲۸ داخلی ۱۹۴

4.104404

#### مكتبة مركز الكتاب الدولي

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

TOYAVOEA : J

#### مكتبة 22 يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

1011111 : I

#### مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

\*\*\*\*\*\*\*

#### مكتبة عرابي

ه ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت: ۲۰۷٤۰۰۷۵

#### مكتبة الحسن

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

Y041788V: -

# مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت: ۲/٤٨٦٢٩٢٥ ت

#### مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦ مدخل ( 1 ) - الإسماعيلية ت : ٢٤/٣٢١٤٠٧٨

\_\_\_\_

# مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

## مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة ناصية ش ۱۱، ۱۲ - بورسعيد

السوق السياحي - أسوان

## مكتبة أسوان

ت: ۲۹۲۰۷۹۰۰

#### مكتبة أسيوط

، ۲ ش الجمهورية - اسيوط ت: ۱۸۸/۲۳۲۲۰۳۲

# مكتبة النيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

· 3033577\274

# مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآدابِ -جامعة المنيا - المنيا

#### مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ינ: ۱۹۹۲۲۲۱ יָני

# مكتبة الحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

# مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع دمنهور الجديدة

# مكتبة المنصورة

ه ش السكة الجديدة - المنصورة

ت: ۱۷۲۶۲۲۱۹

# مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية جامعة منوف

# توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام ميدان التحرير – الزقازيق

# مكتبات ووكسلاء البيع بالدول العربية

#### لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة- بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣

ص. ب: ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان ٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب بيروت - الفرع الجديد - شروت -الصيداني - الحمراء - رأس بيروت -بناية سنتر ماربيا

ص. ب: ۱۱۳/۵۷۵۲

فاکس: ۱۹۹۱/۱/۱۲۹۹۰

#### سـوريا

دار اللدى للشقافية والنشر والتوزيع -سـوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -المتضرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

#### تونس

الكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر-٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

#### الملكة العربية السعودية

١ - ٥- وسسة العبيكان - الرياض
 (ص. ب: ٢٢٨٠٧) رمــز ١١٥٩٥ - تقــاطع
 طريق الملك فهــد مـع طريق العـروية هاتف: ٢٥٠٤٤٢٤ - ٢٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات
 والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية شارع الستين - ص. ب: ٢٠٧٤٦ جدة :
 ٢١٤٨٧ - ت : المسكسة سب: ٢٥٧٠٧٢٢ ٢٥١٠٤٢١ - ٢٥١٠٤٢٢ - ٢٥٧٠٢٢٨

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض - الملكة العربية السعودية ص. ب: ١٧٥٢٢ الـريـاض: ١١٤٩٤ - ت:

3 - مـؤسـسـة عـبـدالرحـمن
 السـديرى الخـيـريـة - الجـوف - الملكة العربية السعودية - دار الجوف
 للعلـوم ص. ب: ١٥٨ الجـــوف - هـاتف:
 ١٩٦٢٤٢٤٣٩٠٠ فاكس: ١٩٦٢٤٢٤٧٠٠٠

## الأردن-عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع

ミントン・・・

فاکس: ۲۰۰۹۶۲۲۶۲۱۰۰۰

۲ - دار الیازوری العلمیة للنشر والتوزیع
 عمان - وسط البلد - شارع الملك حسین
 ت: ۲۲۲۲۲۲۲۲۲ +

تلفاكس: ١٨٥٤ ٢٦٤٢٢٤ +

ص. ب: ٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

